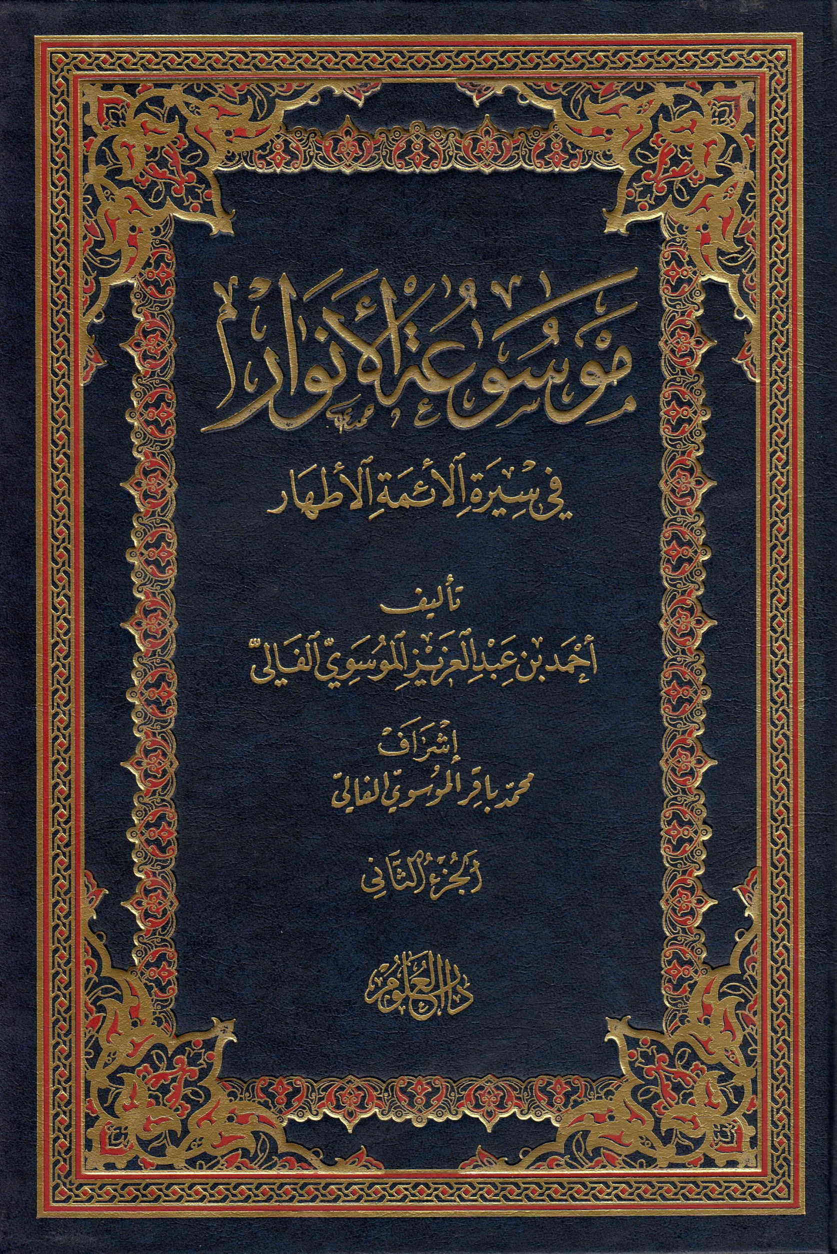

موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار
تأليف
أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
إشراف
محمد باقر الموسوي الفالي
الجزء الثاني
دار العلوم


موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠م





المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com



في سيرة الأئمة الأطهار

تأليف

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي

إشراف

محمد باقر الموسوي الفالي

الجزء الثاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن استعرضنا في الجزء الأوّل من الموسوعة جملة من نصوص آي الذكر الحكيم النازلة في شأن آل البيتعليهم السلام معتمدين بذلك نصوص الروايات التي رواها جملة من الصحابة والتابعيين عن رسول اللهصلى الله عليه وآله ونقلتها صحاح القوم ومتون أسانيدهم وكتب التفاسير والتاريخ والتراجم والسير، نشرع بحول الله وقوّته في ترقيم غيض من فيض ممّا رووه أنفسهم من الفضائل والآثار الثابتة تخصّصا في أميرالمؤمنين وفاطمة وأبنائهماعليهم السلام، لعلّ في البين من يرعوي بعد تدبّر، معرضاً عن زعيق كل أفاك أثيم، قد جانب الحق وانضوى تحت طيلسان الباطل، وهو يعلم أنّ الباطل لا يبدي ولا يعيد، فيعتبر مما يرتجي مندوحة من بعد ذلك، متّبعاً لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنهُ مَسؤُولاً﴾[1]. لينجو من أهوال يومٍ لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.[2] وليس بعد ذلك غير قولنا: خذ واغتنم.

---

١. سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

٢. إقتباس من قوله تعالى في سورة الشعراء، الآية: ٨٧ـ٨٩.

فصل في
الروايات الواردة في
آل البيت عليهم السلام

حديث الثقلين

روى هذا الحديث بطرق مختلفة أكثر العلماء من كلا الفريقين، كما صرّحوا على صحّته ونقاء مصدره، منهم:

مسلم في صحيحه، قال: حدّثني زهير بن حرب، وشجاع بن مخلّد جميعاً عن ابن علية، قال: قال زهير: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدّثني أبو حيان، حدّثني يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي والله، لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: أمّا بعد، ألا أيّها الناس، فأمّا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرموا الصدقة؟ قال: نعم.

وحدّثنا محمد بن بكّار بن الريان: حدّثنا حسان ـ يعني، ابن إبراهيم ـ عن سعيد بن مسروق، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم، عن النبي ﷺ. وساق الحديث بنحوه ـ بمعنى، حديث زهير ـ.

حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا محمد بن فضيل، وحدّثنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا جرير، كلاهما عن أبي حيان، بهذا الإسناد نحو حديث إسماعيل، وزاد في حديث جرير: كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ.

حدّثنا محمد بن بكّار بن الريان: حدّثنا حسّان ـ يعني، ابن إبراهيم ـ عن سعيد ـ وهو ابن مسروق ـ عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم، قال: دخلنا عليه، فقلنا له: لقد رأيت خيراً، لقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّيت خلفه. وساق الحديث بنحو حديث أبي حيان، غير أنّه قال: ألا وإني تارك فيكم ثقلين، أحدهما كتاب الله عزّ وجلّ، هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة. وفيه، فقلنا: مَن أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرموا الصدقة بعده.[1]

الترمذي في سننه، قال: حدّثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي، حدّثنا زيد بن الحسن ـ وهو الأنماطي ـ عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء، يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس، إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي.

قال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أُسيد، قال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قال: وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم.

---

١. صحيح مسلم: ج٧ ص١٢٢ـ١٢٣، باب فضائل علي عليه السلام.

وفيه أيضاً: حدّثنا علي بن المنذر الكوفي، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد. والأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن أرقم، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. قال: هذا حديث حسن غريب.[1]

وأحمد في مسنده، قال: حدّثنا أسود بن عامر، أخبرنا أبو إسرائيل - يعني، إسماعيل بن أبي إسحاق الملائي - عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وفيه أيضاً: حدّثنا أبو النضر، حدّثنا محمد - يعني، ابن طلحة - عن الأعمش، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما.

وفيه أيضاً: حدّثنا ابن نمير، حدّثنا عبد الملك - يعني، ابن أبي سليمان - عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

---

١. سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٧-٣٢٨، مناقب أهل البيت عليهم السلام.

وفيه أيضاً: حدثنا ابن نمير: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.[1]

وفيه أيضاً: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي حيان التيمي، حدثني يزيد بن حيان التيمي، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: يا ابن أخي والله، لقد كبرت سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوما خطيباً فينا بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: أمّا بعد، ألا يا أيّها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله، ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي.

وفيه أيضاً: حدثنا أسود بن عامر: حدثنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن علي بن ربيعة، قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّي تارك فيكم الثقلين؟ قال: نعم.[2]

---

١. مسند أحمد: ج٣ ص١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩، مسند أبو سعيد الخدري.

٢. مسند أحمد: ج٤ ص٣٦٦و ٣٧١، حديث زيد بن أرقم.

وفيه أيضاً: حدثنا الأسود بن عامر: حدثنا شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو ما بين السماء إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.

وفيه أيضاً: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم خليفتين، كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض جميعا.[1]

وابن المغازلي في مناقبه: بسنده عن أبي الضحى، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وفيه أيضاً: عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوشك أن أدعى فأُجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل، وعترتي أهل بيتي، فانظروا ماذا تخلفوني فيهما.[2]

ورواه عن عطية أيضاً الذهبي في سيَره.[3]

وروى الحاكم في المستدرك: مسنداً عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ونزل غدير خمّ، أمر بدوحات فقممن، فقال: كأني قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إنّ الله عز وجل

---

١. مسند أحمد: ج٥ص١٨١و١٨٩، حديث زيد بن ثابت.

٢. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص٢٣٤ رقم٢٨١ و٢٨٢.

٣. انظر سيَر أعلام النبلاء: ج٩ ص٣٦٥.

مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي عليه السلام، فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه....

فقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما ـ يعني، البخاري ومسلم ـ. ولم يخرجاه بطوله.

ثم قال: حدثنا أبو بكر بن اسحاق، ودعلج بن أحمد السجزي، قالا: أنبأنا محمد بن أيوب... إلى أن قال: عن أبي الطفيل، عن ابن واثلة، أنّه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بين مكّة والمدينة... ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه.. ثم قال: أيّها الناس، إنّي تارك فيكم أمرين، لن تضلّوا إن اتبعتموهما، وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي....

وأيضاً: بسنده عن مسلم بن صبيح، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض.

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين.[١]

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق: عن أبي الطفيل ـ عامر بن واثلة ـ أنّه سمع زيد بن أرقم يقول: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بين مكّة والمدينة.. ثم قام خطيباً، ثم قال: يا أيّها الناس، إنّي تارك فيكم أمرين، لن تضلّوا إذا اتبعتموهما، كتاب الله وأهل بيتي وعترتي....[٢]

وروى البلاذري: بسنده عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، فلما كنّا بغدير خمّ.. قام فقال: كأني قد دعيت

---

١. المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٠٩ و١٤٨.

٢. تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص٢١٥.

فأجبت، إنّ الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، وأنا تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت وليّه، فهذا وليّه.[١]

والسيوطي في الدر المنثور، قال: وأخرج الترمذي وحسّنه، وابن الأنباري في المصاحف عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.[٢]

وروى المتقي في كنز العمّال: عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب، قال: إنّ النبي ﷺ قال: إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله، سبب بيد الله وسبب بأيديكم، وأهل بيتي.

ثم قال: أخرجه ابن جرير، وصحّحه.[٣]

والفخر الرازي في التفسير الكبير، قال: وروي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنّه قال: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي.[٤]

وحديث أبي سعيد، ذكره المتّقي أيضاً في كنز العمّال، وقال: لإبن أبي شيبة وأبي يعلى عن أبي سعيد.

وذكره فيها ثانياً، وقال: للبارودي عن أبي سعيد.

---

١. أنساب الأشراف: ج٢ ص١١٠ رقم٤٨.

٢. تفسير الدر المنثور: ج٦ ص٧، مورد تفسير سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٣. كنز العمّال: ج١ ص٣٨٠.

٤. التفسير الكبير: ج٨ ص١٦٢، مورد تفسير سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

وذكره فيها ثالثاً، وقال: لأبي يعلى في مسنده، والطبراني في الكبير، عن أبي سعيد.[١]

وذكره الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني في الأوسط.[٢]

وروى ابن سعد في الطبقات: عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو ما بين السماء إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.[٣]

وهذا ذكره المتقي أيضاً في الكنز، وقال: للطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت.[٤]

وذكره المناوي أيضاً في فيض القدير، وقال تحت عنوان «تنبيه»: قال الشريف: هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة، حتى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسّك به، كما أنّ الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا، ذهب أهل الأرض. ثم قال: قال الهيثمي: رجاله موثّقون. ورواه أيضاً أبو يعلى بسند لا بأس به، والحافظ عبد العزيز الأخضر، وزاد: إنّه في حجّة الوداع... إلى أن قال: قال السمهودي: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة.[٥]

وقال ابن حجر في الصواعق: وأورد المحبّ الطبري: إنّه صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله

---

١. كنز العمّال: ج١ ص١٨٦ـ١٨٧.

٢. مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٣.

٣. الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٩٤.

٤. راجع كنز العمّال: ج١ ص١٨٦.

٥. فيض القدير: ج٣ ص١٩ رقم ٢٦٣١.

جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي، وإنّي سائلكم غداً عنهم.

وقد جاءت الوصيّة الصريحة بهمعليهم السلام في عدّة أحاديث:

منها حديث: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

قال الترمذي: حسن غريب، وأخرجه آخرون، ولم يصب ابن الجوزي في ايراده في العلل المتناهية، كيف وفي صحيح مسلم وغيره في خطبتهصلى الله عليه وآله قرب رابغ ـ غدير خمّ ـ عند مرجعه من حجّة الوداع قبل وفاته بنحو شهر: إنّي تارك فيكم الثقلين، أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي...!!

وقال أيضاً: وفي رواية صحيحة عنهصلى الله عليه وآله: كأني قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما آكد من الآخر، كتاب اللهعزّ وجلّ وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض.

وقال أيضاً: وفي رواية: وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، سألت ربي ذلك لهما، فلا تتقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، فلا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم.

وقال: ولهذا الحديث ـ أي، حديث الثقلين ـ طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً، لا حاجة لنا ببسطها.[١]

وفي سنن الدارمي: حدّثنا جعفر بن عون: حدّثنا أبو حيّان، عن يزيد بن حيّان، عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول اللهصلى الله عليه وآله يوما خطيباً، فحمد الله وأثنى

---

١. راجع الصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٥٢ـ٦٥٣.

عليه، ثم قال: يا أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به ـ فحثّ عليه، ورغّب فيه ـ ثم قال: وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي ـ ثلاث مرات ـ.[١]

حسبنا كتاب الله!!

لا شك أنّ حديث الثّقلين ـ الذي استعرضناه باقتضاب ـ إنّما يعبّر عن نصّ صريح في أنّ من تمسّك بالقرآن وعترة النبي صلى الله عليه وآله معاً دون فصل، لن يضلّ بعده أبداً. إذاً، فعلى ماذا يمكن أن يُفسّر قول عمر: حسبنا كتاب الله؟![٢]

فمما لا شكّ فيه أنّ يوم وفات النبي صلى الله عليه وآله ـ وبلا تريث، وقبل أن يغسَّل صلى الله عليه وآله ـ افترقت أصحابه على الإمارة، ضاربين عرض الحائط ما أوصاهم به رسول الله صلى الله عليه وآله من ضرورة التمسّك بالثّقلين: كتاب الله وعترته صلى الله عليه وآله، إلى ثلاث فرق:

١. فرقة من الأنصار، أرادوا أن يؤمّروا سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، وقد اجتمعوا لذلك في سقيفة بني ساعدة.

---

١. سنن الدارمي: ج٢ ص٤٣١، باب فضل من قرأ القرآن.

٢. صحيح البخاري: ج٧ص٩، باب قول المريض قوموا عنّي، وفيه: بسنده عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطّاب، قال النبي صلى الله عليه وآله: هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قد غلب عليه الوَجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله!! فاختلف أهل البيت، فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وآله كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول: ما قال عمر!! فلما أكثروا اللّغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا!! قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم. ورواه أيضاً مسلم في صحيحه: ج٥ ص٧٦، كتاب الوصيّة. وأحمد في مسنده: ج١ص٣٢٤، مسند عبد الله بن عباس.

٢. ومن المهاجرين عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح حين ذهبا برفقة أبي بكر إلى السقيفة وكانا من هاجسهما تأمير أبي بكر.[١]

٣. وبنو هاشم، والزبير بن العوام، وسلمان الفارسي، والمقداد، وعمار بن ياسر، وأبيّ بن كعب، وأبو ذر.. كانوا حول عترة الرسولﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

ممّا يدلّ على أنّ المناورة التي أحدثها عمر بن الخطاب من وراء قوله ذاك قد أحدثت شرخاً عميقاً في كيان الأمّة المسلمة الموحّدة على عهد رسول اللهﷺ فاتحاً الباب على مصراعيه لذوي النفوس الخبيثة، والمآرب اللئيمة كي يعبثوا كيفما شاؤا، ليمزّقوا جسد الأمّة الإسلاميّة شرّ ممزق من خلال استغلالهم عدم اتمام ما أراد المصطفىﷺ تأكيده من وراء الاشارة إلى الثقلين بتنصيب أمير المؤمنينعليه السلام خليفةً على الناس بعد رحيلهﷺ، بدليل الفتنة التي أحدثها قوله المسموم الذي أثار البلبلة والصخب بين الذين حضروا عند النبيﷺ، رغم علمهم بعدم جواز الشجار واللغط عند رسول اللهﷺ ممّا اضطرهﷺ لأن يُخرجهم من عنده، رغم أنّ جميع الأُمّة قد سمعت ووعت ما كان من أمر عليّعليه السلام يوم غدير خمّ، ولكن هيهات، هيهات! ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[٢].

نعم، فلدى أولي العلم والدراية، وعند أهل الإنصاف والمروءة أنّ حديث الثقلين نصّ صريح من النبيﷺ بأنّ خلفاءه الذين من تمسّك بهم لن يضل بعده أبدا ـ خصوصاً بعدما قرنهمﷺ مع القرآن ـ هم عترته أهل بيته، ولن تكون الخلافة في غيرهم إلى يوم القيامة.

---

١. قد تقدّم قصّة السقيفة في الجزء الأوّل، فراجع.

٢. سورة النمل، الآية: ١٤.

حديث خلفائي

وهذا الحديث متواتر، وقد صرح علماء الفريقين بصحّته. نذكر هنا بعض ما ورد منه في الصحاح:

ففي صحيح البخاري: حدّثني محمد بن المثنى، حدّثنا غندر، حدّثنا شعبة، عن عبد الملك، سمعت جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش.[1]

وفي صحيح مسلم: حدّثنا رفاعة بن الهيثم الواسطي ـ واللفظ له ـ: حدّثنا خالد ـ يعني، ابن عبد الله الطحّان ـ عن حصين، عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلّم بكلام خفي علي. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا ابن أبي عمر، حدّثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلاً. ثم تكلّم النبي صلى الله عليه وآله بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا أبو عوانة، عن سماك، عن جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وآله بهذا الحديث. ولم يذكر «لا يزال أمر الناس ماضياً».

وفيه أيضاً: حدّثنا هدّاب بن خالد الأزدي، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما

---

١. صحيح البخاري: ج٨ ص١٢٧، باب الإستخلاف.

قال؟ فقال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا أبو معاوية، عن داود، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: قال النبي ﷺ: لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. قال: ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا نصر بن علي الجهضمي، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا ابن عون. وحدّثنا أحمد بن عثمان النوفلي ـ واللفظ له ـ: حدّثنا أزهر، حدّثنا ابن عون، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعي أبي، فسمعته يقول: لا يزال هذا الدّين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة. فقال كلمة أصمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة، قالا: حدّثنا حاتم ـ وهو ابن إسماعيل ـ عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع، أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: فكتب إلي: سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي، يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا محمد بن رافع، حدّثنا ابن أبي فديك، حدّثنا ابن أبي ذئب، عن مهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد، أنّه أرسل إلى ابن سمرة العدوي: حدّثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول... فذكر نحو حديث حاتم.[1]

---

١. صحيح مسلم: ج٣ـ٤، كتاب الإمارة.

وفي سنن الترمذي: حدّثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدّثنا عمر بن عبيد الطنافسي، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً. قال: ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني؟ فقال: كلّهم من قريش. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وفيه أيضاً: حدّثنا أبو كريب، حدّثنا عمر بن عبيد، عن أبيه، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وآله مثل هذا الحديث. وقد روي من غير وجه عن جابر بن سمرة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، يستغرب من حديث أبي بكر بن أبي موسى، عن جابر بن سمرة. وفي الباب عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو.[1]

وفي سنن أبي داود: حدّثنا عمرو بن عثمان، حدّثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل ـ يعني، ابن أبي خالد ـ عن أبيه، عن جابر بن سمرة. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم تجتمع عليه الأمّة. فسمعت كلاماً من النبي صلى الله عليه وآله لم أفهمه، قلت لأبي: ما يقول؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا وهيب، حدّثنا داود، عن عامر، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. قال: فكبّر الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفيفة، قلت لأبي: يا أبت، ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا ابن نفيل، حدّثنا زهير، حدّثنا زياد بن خيثمة، حدّثنا الأسود بن سعيد الهمداني، عن جابر بن سمرة، بهذا الحديث، زاد: فلّما رجع إلى منزله

---

١. سنن الترمذي: ج٣ ص٣٤٠، باب ما جاء في الخلفاء.

أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج.[١]

وفي مسند أحمد: حدّثنا حسن بن موسى، حدّثنا حمّاد بن زيد، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، قال: كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود، وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم تملك هذه الأمّة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر، كعدّة نقباء بني إسرائيل.

وفيه أيضاً: حدّثنا أبو النضر، حدّثنا أبو عقيل، حدّثنا مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، قال: كنّا مع عبد الله جلوساً في المسجد، يُقرئنا فأتاه رجل، فقال: يا ابن مسعود، هل حدّثكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال: نعم، كعدّة نقباء بني إسرائيل.

وفيه أيضاً: حدّثنا حمّاد بن خالد، حدّثنا ابن أبي ذئب، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد، سألت جابر بن سمرة عن حديث رسول الله ﷺ؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش، ثم يخرج كذّابون بين يدي الساعة، ثم تخرج عصابة من المسلمين فيستخرجون كنز الأبيض، كسرى وآل كسرى، وإذا أعطى الله تبارك وتعالى أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهله، وأنا فرطكم على الحوض.

وفيه أيضاً: حدّثنا حمّاد بن أُسامة، حدّثنا مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجّة الوداع: إنّ هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناوأه، لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمّتي

---

١. سنن أبي داود: ج٢ ص٣٠٩، كتاب المهدي.

اثنا عشر خليفة. قال ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا ابن نمير، حدّثنا مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في حجّة الوداع: لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناوأه، لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمّتي اثنا عشر أميراً، كلّهم. ثم خفي من قول رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله صلى الله عليه وآله مني، فقلت: يا أبتاه، ما الذي خفي من قول رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: يقول: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا حمّاد بن خالد، حدّثنا ابن أبي ذئب، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد، قال: سئلت جابر بن سمرة عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش، ثم يخرج كذّابون بين يدي الساعة، ثم يخرج عصابة من المسلمين يستخرجون كنز الأبيض، كسرى وآل كسرى، وإذا أعطى الله تبارك وتعالى أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهله، وأنا فرطكم على الحوض.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله بن محمد، وسمعته أنا من عبد الله بن محمد، حدّثنا حاتم بن إسماعيل، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي، أخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فكتب إلي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي، يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر بن سمرة، قال: سمعت نبي الله صلى الله عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً.

فقال كلمة لم أسمعها، فقال القوم: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا بهز، حدّثنا حمّاد بن سلمة، حدّثنا سماك، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. فقال كلمة خفيفة لم أفهمها، قال: قلت لأبي: ما قال؟ قال: قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا ابن نمير، حدّثنا مجالد، عن عامر، عن جابر بن سمرة السوائي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجّة الوداع: لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناوأه، لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمّتي اثنا عشر أميراً، كلّهم من قريش. قال: ثم خفي علي قول رسول الله ﷺ قال: وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله ﷺ مني، فقلت: يا أبتاه، ما الذي خفي علي من قول رسول الله ﷺ؟ قال: يقول: كلّهم من قريش. قال: فأشهد على إفهام أبي إياي قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا هاشم: حدّثنا زهير، حدّثنا زياد بن خيثمة، عن الأسود بن سعيد الهمداني، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ أو قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش. قال ثم رجع إلى منزله، فأتته قريش، فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج.

وفيه أيضاً: حدّثنا أبو كامل، حدّثنا زهير، حدّثنا سماك بن حرب، حدّثني جابر، إنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً. ثم لا أدري ما قال بعد ذلك، فسألت القوم كلّهم، فقالوا: قال كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن عبد الملك بن عمير، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً. قال: فقال كلمة لم أسمعها، قال أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الصمد، حدّثنا أبي، حدّثنا داود، عن عامر، قال: حدّثني جابر بن سمرة السوائي، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ هذا الدين لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. قال: ثم تكلّم بكلمة لم أفهمها، وضجّ الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا يونس بن محمد، حدّثنا حمّاد ـ يعني، ابن زيد ـ حدّثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفات، فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناوأه، حتى يملك اثنا عشر، كلّهم. قال: فلم أفهم ما بعد، قال: فقلت لأبي: ما قال بعدما قال: كلّهم؟ قال: كلّهم من قريش. ومن حديث أبي عبد الرحمن عن مشايخه من حديث جابر بن سمرة، عن نبي الله صلى الله عليه وآله.

وفيه أيضاً: حدّثنا حسن، حدّثنا زهير، حدّثنا سماك ـ هو ابن حرب ـ حدّثني جابر بن سمرة، إنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً. ثم لا أدري ما قال بعد ذلك، فسألت القوم؟ فقالوا: قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر بن سمرة، قال: سمعت نبي الله صلى الله عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها، فقال القوم: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدّثني خلف بن هاشم البزّار المقري، حدّثنا حمّاد بن زيد، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفة، فقال: لن يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناوأه، لا يضرّه من فارقه أو خالفه، حتى يملك اثنا عشر كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا يونس بن محمد، حدّثنا حمّاد ـ يعني، ابن زيد ـ حدّثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفات، فقال: لن يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناوأه، حتى يملك اثنا عشر

كلّهم. قال: فلم أفهم ما بعد، قال: فقلت لأبي: ما بعد كلّهم؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: جئت أنا وأبي إلى النبيﷺ وهو يقول: لا يزال هذا الأمر صالحا حتى يكون اثنا عشر أميراً. ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول اللهﷺ يقول: لا يزال هذا الأمر ماضياً حتى يقوم اثنا عشر أميراً. ثم تكلم بكلمة خفيت علي، فسألت عنها أبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدّثنا أبو جعفر، محمد بن عبد الله الرازي، حدّثنا أبو عبد الصمد العمي، حدّثنا عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: كنت مع أبي عند رسول اللهﷺ، فقال رسول اللهﷺ: لا يزال هذا الدين عزيزاً، أو قال: لا يزال الناس بخير ـ شكّ أبو عبد الصمد ـ إلى اثني عشر خليفة. ثم قال كلمة خفيّة، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدّثنا محمد بن أبي بكر بن علي المقدمي، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا أبو عون، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، عن النبيﷺ قال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً، يُنصرون على من ناوأهم عليه إلى اثني عشر خليفة. ثم قال كلمة أصمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدثني محمد بن أبي بكر بن علي المقدمي، حدّثنا زهير بن إسحاق، حدّثنا داود بن أبي هند، عن عامر ـ يعني، الشعبي ـ عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. فكبّر الناس وضجّوا، وقال كلمة خفية، قلت لأبي: يا أبت، ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدثني أبو الربيع الزهراني، سليمان بن داود وعبيد الله بن عمر القواريري ومحمد بن أبي بكر المقدمي، قالوا: حدّثنا حمّاد بن زيد، حدّثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفات «وقال المقدمي في حديثه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب بمنى ـ وهذا لفظ حديث أبي الربيع ـ» فسمعته يقول: لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً حتى يملك اثنا عشر، كلّهم. ثم لغط القوم وتكلّموا، فلم أفهم قوله بعد: كلّهم. فقلت لأبي: يا أبتاه، ما بعد كلّهم؟ قال: كلّهم من قريش. وقال القواريري في حديثه: لا يضرّه من خالفه أو فارقه، حتى يملك اثنا عشر.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدّثني عبيد الله القواريري، حدّثنا سليم بن أخضر، عن ابن عون، عن الشعبي، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً، يُنصرون على من ناوأهم عليه إلى اثني عشر خليفة. قال: فجعل الناس يقومون ويقعدون.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدّثني سريج بن يونس، عن عمر بن عبيد، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً. فتكلّم فخفي علي، فسألت الذي يليني أو إلى جنبي؟ فقال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا بهز بن أسد، حدّثنا حمّاد بن سلمة، حدّثنا سماك، حدّثنا جابر بن سمرة، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. فقال كلمة خفيّة لم أفهمها، قال: فقلت لأبي، ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، قال: سمعت جابر بن سمرة السوائي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يزال هذا الأمر ماضياً حتى يقوم اثنا عشر أميراً. ثم تكلّم بكلمة خفيّت علي، فسألت أبي ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم: عن ابن عون، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: كنت مع أبي أو ابني. قال: وذكر النبيﷺ فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً، يُنصرون على من ناوأهم عليه إلى اثني عشر خليفة. ثم تكلّم بكلمة أصمّنيها الناس، فقلت لأبي أو لابني: ما الكلمة التي أصمّنيها الناس؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا مؤمل بن إسماعيل، حدّثنا حمّاد بن سلمة، حدّثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبيﷺ يقول: يكون لهذه الأمّة اثنا عشر خليفة.

وفيه أيضاً: حدّثنا بهز، حدّثنا حمّاد بن سلمة، حدّثنا سماك، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول اللهﷺ يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. ثم قال كلمة خفيّة لم أفهمها، قال: قلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا وكيع، عن فطر، عن أبي خالد الوالبي، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول اللهﷺ: لا يزال هذا الأمر مؤاتي أو مقارباً حتى يقوم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: جئت أنا وأبي إلى النبيﷺ وهو يقول: لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً. ثم قال كلمة لم أفهمها، قلت لأبي: ما قال؟ قال: قال كلّهم من قريش.

وفيه أيضاً: حدّثنا عمر بن عبيد، أبو حفص، عن سماك، عن جابر، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً. قال: ثم تكلّم فخفي عليّ ما قال، قال: فسألت بعض القوم أو الذي يليني: ما قال؟ قال: كلّهم من

قريش.[1]

أقول: وهناك روايات أُخر تبين أنّ خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله كلّهم من قريش وإن لم يذكر فيها العدد، وبالجمع بين هاتين الطائفتين، يتبين لكل منصف أنّ خلفاءه صلى الله عليه وآله اثنا عشر، ومن قريش فقط، ولا يعدوا أن يكون المشار إليهم بقوله صلى الله عليه وآله: اثنا عشرخليفة. هم: علي وبنوه الأئمة المعصومين عليهم السلام. وذلك بضميمة روايات الثقلين وغيرها، كما مرّ سابقاً وسيأتي لاحقاً.

حديث السفينة

روى الحاكم في المستدرك: بسنده عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر يقول ـ وهو آخذ بباب الكعبة ـ : أيّها الناس، من عرفني، فأنا من عرفتم، ومن أنكرني، فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق.

وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم.[2]

وقد ذكره المتّقي أيضاً في كنز العمّال، وقال: أخرجه ابن جرير، عن أبي ذر. وذكره الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد، وقال: رواه البزّار، والطبراني في الثلاثة. وذكره علي بن سلطان القاري أيضاً في المرقاة، في المتن، وقال في الشرح: رواه أحمد بن حنبل.[3]

وابن المغازلي في المناقب: بسنده عن ابن المعتمر، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن

---

١. مسند أحمد: ج١ ص٣٩٨ و٤٠٦، مسند عبد الله بن مسعود. وج٥ ص٨٧ـ١٠٨، حديث جابر بن سمرة السوائي.

٢. المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٣٤٣، وج٣ ص١٥٠.

٣. كنز العمّال: ج٦ ص١٢. ومجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨. والمرقاة: ج٩ ص٦١٠.

تخلّف عنها غرق.[١]

وهذا رواه ابن كثير أيضاً في تفسيره بهامش فتح البيان، عن أبي يعلى، وفيه: ومن تخلّف عنها هلك. ورواه من طريق أبي يعلى أيضاً السيوطي في الخصائص. وذكره الخطيب أيضاً في مشكاة المصابيح، عن أبي ذر، وقال: رواه أحمد بن حنبل.[٢]

ومن الذين رووا حديث أبي ذر: ابن قتيبة في عيون الأخبار، وفي المعارف. والطبراني في المعجم الكبير بسنده عن سعيد بن المسيّب، عن أبي ذر، وبطريق آخر عن حنش بن المعتمر، عن أبي ذر، بمثل ما مرّ عن الحاكم في المستدرك. والذهبي في ميزان الإعتدال، وفي تلخيص المستدرك بذيله. والزرندي في نظم درر السمطين. والصفوري في المحاسن. والسيوطي في تاريخ الخلفاء، وفي الخصائص الكبرى. وابن حجر في الصواعق من طريق الحاكم. وعثمان مدوخ في العدل الشاهد. والقدّوسي في سنن الهدى. والنبهاني في الفتح الكبير، وفي جواهر البحار.[٣] وكثير من غير هؤلاء.

وروى ابن المغازلي في مناقبه: بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك.[٤]

---

١. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص١٣٣.

٢. تفسير ابن كثير: ج٤ ص١٤٢، مورد تفسير سورة الشورى، الآية: ٢٣. والخصائص: ج٢ ص٢٦٦. ومشكاة المصابيح: ج٣ ص٣٤٨ رقم ٦١٧٤.

٣. عيون الأخبار: ج١ ص٢١١. والمعارف: ص٨٦. والمعجم الكبير: ج٣ ص٤٥. وميزان الإعتدال: ج١ ص٢٢٤. وتلخيص المستدرك: ج٣ ص١٥٠. ونظم درر السمطين: ص٢٣٥. والمحاسن: ص١٨٨. وتاريخ الخلفاء: ص٥٧٣. والخصائص: ج٢ ص٢٦٦. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٤٣. والعدل الشاهد: ص١٢٣ و١٤٢. وسنن الهدى: ص٥٦٤. والفتح الكبير: ص١١٣ و٤١٤. وجواهر البحار: ج١ ص٣٦١.

٤. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص١٣٢.

ورواه أبو نعيم أيضاً في الحلية من طريق سعيد بن جبير باختلاف يسير في اللفظ. وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه، وقال: رواه البزّار والطبراني، وفي طريق آخر رواه عن عبد الله بن الزبير، وقال: رواه البزّار. وذكره المحبّ الطبري في ذخائره. وقال: أخرجه الملا في سيرته. وذكره المتقي في كنزه. وقال: رواه البزّار، عن ابن عباس وابن الزبير.[1]

ومن الذين رووا حديث ابن عباس: الطبراني في المعجم الكبير. والسيوطي في الجامع الصغير. وابن حجر في الصواعق. والمتقي في منتخب الكنز، بهامش مسند أحمد. والكمشخانوي في راموز الأحاديث من طريق الطبراني. والنبهاني في الفتح الكبير من طريق البزّار. والتونسي في السيف اليماني من طريق البزّار. والآمرتسري في أرجح المطالب من طريق الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والبزّار في المسند.[2]

وروى الهيثمي في مجمعه عن عبد الله بن زبير: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها سلم، ومن تركها غرق.[3]

ومن الذين رووا حديث ابن الزبير: السيوطي في الجامع الصغير، من طريق البزّار، عن عبد الله بن الزبير. والمتقي الهندي في كنز العمال من طريق البزّار. وابن حجر في الصواعق المحرقة. والنبهاني في الفتح الكبير من طريق البزّار. والآمرتسري في أرجح المطالب من طريق البزّار. والتونسي في السيف اليماني

---

١. حلية الأولياء: ج٤ ص٣٠٦. ومجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨. وذخائر العقبى للطبري: ص٢٠. وكنز العمّال: ج٦ ص٢١٦.

٢. المعجم الكبير: ج٣ ص٤٦ ح ٢٦٣٨. والجامع الصغير: ص٤٨٠. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٤٣، المسند: ج٥ ص٩٢. وراموز الأحاديث: ص٣٩١. والفتح الكبير: ص١٣٣. والسيف اليماني: ص٩. وأرجح المطالب: ص٣٣٠.

٣. مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨، باب فضل أهل البيت عليهم السلام.

من طريق أبي داود.[١]

وروى المحبّ الطبري في ذخائره، قال: وعن عليﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زجّ في النار. وقال: أخرجه ابن السري.[٢]

ومن الذين رووا حديث عليﷺ: المتقي الهندي في كنز العمال من طريق أبي سهل القطّان في أماليه. والمناوي في كنوز الحقائق، وفيه: مثل عترتي كسفينة نوح. وقال: أخرجه الثعلبي.[٣]

والدولابي في الكنى والأسماء: بسنده عن عامر بن واثلة، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق.[٤]

وابن المغازلي في مناقبه: بسنده عن أياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال: قال رسول اللهﷺ: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا.[٥]

وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللهﷺ: إنّما مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق.[٦]

وروى الطبراني في المعجم الصغير: بسنده عن أبي سلمة الصانع، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: إنّما مثل أهل بيتي

---

١. الجامع الصغير: ص٤٦٠. والمسند: ج٥ ص٩٥. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٤٣. والفتح الكبير: ص١٣٣. وأرجح المطالب: ص٣٣٠. والسيف اليماني: ص٩.

٢. ذخائر العقبى: ص٢٠.

٣. كنز العمّال: ج١ ص٢٥٠، وج٦ ص٢١٦. وكنوز الحقائق: ص١٣٢.

٤. الكنى والأسماء: ج١ ص٧٦.

٥. مناقب علي بن أبي طالبﷺ: ص١٣٢.

٦. تاريخ بغداد: ج١٢ ص١٩.

فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غُفر له.[١]

وهذا رواه الهيثمي في مجمع الزوائد أيضاً من طريق الطبراني في الصغير والأوسط. ورواه السيوطي أيضاً في إحياء الميّت بهامش الإتحاف من طريق الطبراني في الأوسط. وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي من طريق الطبراني في الصغير والأوسط.[٢]

وهذا تجده أيضاً في أرجح المطالب للآمرتسري.[٣]

وأفرد القندوزي للحديث بكافّة طرقه باباً في ينابيعه أيضاً.[٤]

نعم، لم يركب سفينة نوح عليه السلام إلا قليل، ولم يبلغ عددهم ثمانون نسمة، فالذين ركبوا سفينة نوح عليه السلام ونجوا من الغرق والهلاك كانوا أقلية يسيرة من قومه، والباقون كلّهم اتبعوا الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، فكان عاقبة أمرهم الغرق والهلاك والدمار.

كذلك الأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث لم يبق مع أهل بيته صلى الله عليه وآله من الصحابة إلا أُولئك الذين لم ينقضوا عهد الغدير، وبقوا متمسّكين بالثقلين، وكانوا لقلّتهم يُعدّون على أصابع اليد، وعلى الرغم من ذلك فهم الذين وحدهم نجوا من الضلالة والغواية والهلاك، كما نجا الذين ركبوا سفينة نوح عليه السلام من الغرق والهلاك.

إنّ آل البيت حبي ... لهم مائي وزادي

وهم سفن نجاتي ... فيم عاشي ومعادي

---

١. المعجم الصغير: ص١٧٠.

٢. مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨. والإتحاف: ص١١٢. ورشفة الصادي: ص٧٩.

٣. أنظر أرجح المطالب: ص٣٣٠.

٤. راجع ينابيع المودّة: ج١ص٩٣، ب٤.

حديث الأمان

قال الحاكم في مستدركه: روى محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن النبي ﷺ: أنّه خرج ذات ليلة وقد أخّر صلاة العشاء.. والناس ينتظرون في المسجد، فقال ﷺ: ما تنتظرون؟ فقالوا: ننتظر الصلاة. فقال ﷺ: إنّكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتموها، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمان لأهل السماء، فإن طمست النجوم، أتى السماء ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمّتي، فإذا ذهب أهل بيتي، أتى أمّتي ما يوعدون.[1]

ومثله عن محمد بن المنكدر، عن جابر، وقال: صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ـ أي، الشيخان ـ .[2]

وفيه أيضاً: بسنده عن قتادة، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب إبليس. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد.[3]

ذكره الهندي في كنز العمال من طريق ابن عباس. ورواه السيوطي أيضاً في إحياء الميّت بهامش الإتحاف من طريق الحاكم. وأحمد في فضائله من طريق يوسف بن نفيس، عن علي عليه السلام. وابن حجر الهيثمي في الصواعق. والحمزاوي في مشارق الأنوار. والكمشخانوي في راموز الأحاديث. وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي.[4] وغير هؤلاء.

---

١. المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٥١٧.

٢. راجع المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٤٨٦.

٣. المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٩.

٤. كنز العمّال: ج١٢ ص١٠٢. والإتحاف: ص١١٤. وفضائل الصحابة: ج٢ ص٦٧١. والصواعق المحرقة: ج٢ص٦٧٥. ومشارق الأنوار: ص٩٠. وراموز الأحاديث: ص٢٣٨. ورشفة الصادي: ص١٧ و٧٨.

وروى الحمويني في فرائد السمطين: بسنده عن موسى بن عبيدة، عن أياس بن سلمة الأكوع، عن أبيه، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمّتي. ورواه أيضاً عنه بطريق آخر.[1]

ورواه المحبّ الطبري أيضاً في ذخائره بمثل ما في الفرائد. والزرندي في نظم درر السمطين. والسيوطي في الجامع الصغير، وفي إحياء الميّت بهامش الإتحاف، وقال: أخرجه ابن أبي شيبة، ومسدد في مسنديهما. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول. والطبراني عن سلمة بن الأكوع. وذكره المتقي أيضاً في كنز العمال.[2] وكثير من غير المذكورين.

وروى محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: بسنده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم، ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي، ذهب أهل الأرض. وقال: أخرجه أحمد في المناقب.[3]

ورواه الحمويني في فرائد السمطين. والخوارزمي في مقتله. وابن حجر في الصواعق المحرقة. والنبهاني في الشرف المؤبّد. وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي. وابن الصبّان في إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي. والآمرتسري في أرجح المطالب،[4] وغيرهم.

وقال القندوزي في ينابيع المودّة: أخرج الحمويني عن أبي سعيد الخدري،

---

١. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٤١ رقم٥١٥، وص٢٥٢ رقم٥٢١.

٢. ذخائر العقبى: ص١٧. ونظم درر السمطين: ص٢٣٤. والجامع الصغير: ص٥٨٧. والإتحاف: ص١١٢. ونوادر الأُصول: ج٣ ص٦١ الأصل الثاني والعشرون والمائتان. والمعجم الكبير: ج٧ ص٢٢. وكنز العمّال: ج١٢ ص١٨٠.

٣. ذخائر العقبى: ص١٧.

٤. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٥٣. مقتل الحسين عليه السلام: ص١٨. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٧٥. الشرف المؤبّد: ص٢٩. رشفة الصادي: ص٧٨. هامش نور الأبصار للشبلنجي: ص١٤٤. أرجح المطالب: ص٣٢٨.

قال: قال رسول اللهﷺ: أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء... وقال: أخرجه الحاكم عن قتادة، عن عطاء، عن ابن عباس.

وقال أيضاً: أخرج الحاكم، عن جابر بن عبد الله، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، قالوا: قال رسول اللهﷺ: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم، ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي، ذهب أهل الأرض.[1]

حديث الرّحمة

روى الحمويني في فرائد السمطين: بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول اللهﷺ: نحن أهل البيت، مفاتيح الرحمة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم.[2]

رواه الآمرتسري أيضاً من طريق الديلمي.[3]

حديث الحكمة

روى أحمد بن حنبل في الفضائل: بسنده عن حميد بن عبد الله بن يزيد: إنّه ذُكر عند النبيﷺ قضاءً قضى به علي بن أبي طالبعليه السلام، فأعجب النبيﷺ، فقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت.[4]

ورواه الطبري في ذخائره أيضاً. والقندوزي في ينابيع المودّة.[5]

---

١. ينابيع المودّة: ج١ ص٧٢ ب٣.

٢. فرائد السمطين: ج١ ص٤٤ رقم٩.

٣. أرجح المطالب: ص٣٢٨.

٤. فضائل الصحابة: ج٢ ص٦٥٤.

٥. ذخائر العقبى: ص٣٠. وينابيع المودّة: ج٢ ص٣٦٦.

حديث الشجرة

روى ابن عساكر في تاريخه: بسنده، عن علي، وعن عاصم بن ضمرة، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شجرة أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرها، والشيعة ورقها. فهل يخرج من الطيب الا الطيب...[1]

ذكره الحسكاني أيضاً في شواهده.[2]

وروى الكنجي الشافعي في كفايته، قال: قال صلى الله عليه وآله: مثل علي كشجرة أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرها، والشيعة ورقها.[3]

وأيضاً رواه الآمرتسري في أرجح المطالب.[4]

حديث لا يقاس بنا

روى المحبّ الطبري في ذخائره، قال: عن أنس بن ـ مالك ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نحن أهل بيت لا يقاس بنا.

وقال: أخرجه الملاّ.[5]

وقال البدخشي في مفتاح النجا: قال علي (كرم الله وجهه) على منبر الجماعة: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد من الناس.[6]

---

١. تاريخ دمشق: ج٤٢ ص٣٨٣.

٢. شواهد التنزيل: ج١ ص٣٧٨.

٣. كفاية الطالب: ص٩٨.

٤. أرجح المطالب: ص٤٥٨.

٥. ذخائر العقبى: ص١٧. وذكر المتقي أيضا في منتخب الكنز بهامش مسند أحمد: ج٥ ص٩٤. والمناوي في كنوز الحقائق: ص١٦٥. والقندوزي في ينابيع المودّة: ص١٧٨ و١٨١ من طريق الديلمي، وفي ص١٩٢ من طريق الملاّ.

٦. مفتاح النّجا: ص٢ (مخطوط).

وهذا ذكره القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة، والآمرتسري في أرجح المطالب.[١]

أقول: كيف يُقاس بهم، وفيهم أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، محمدﷺ. وفيهم مَن هو سيّد الأوصياء وخاتمهم، عليعليه السلام[٢]. وفيهم بضعته الصديقة الكبرى[٣] وسيّدة النساء، فاطمةعليها السلام[٤]. وفيهم سيّدا شباب أهل الجنّة، الحسن والحسينعليهما السلام[٥]. وقد نسب إليهعليه السلام:

قد يعلم الناس أنّا خيرهم نسبا ... ونحن أفخرهم بيتا إذا فخروا

رهط النبي وهم مأوى كرامته ... وناصر الدين والمنصور من نصروا

والأرض تعلم أنّا خير ساكنها ... كما به تشهد البطحاء والمدر[٦]

ومن طريف مايُذكر: إنّ عبد الله بن أحمد بن حنبل، سأل أباه عن التفضيل؟ فقال: أبو بكر، وعمر، وعثمان. ثم سكت! قال عبد الله: قلت: يا أبة، فأين علي بن أبي طالبعليه السلام؟! قال: هو من بيت لا يقاس به هؤلاء.[٧]

---

١. ينابيع المودّة: ج٢ ص١١٧. وأرجح المطالب: ص٣٣٠.

٢. اشارة إلى مارواه القندوزي في ينابيع المودّة: ج٣ ص٢٦٤ ب٧٣، من قوله: ﷺ نبينا من أفضل الأنبياء، وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء، وهو بعلك. .. .

٣. اشارة إلى قولهﷺ: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني. راجع صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦١ ح٣٥١٠، كتاب المناقب.

٤. اشارة إلى ما ذكره البخاري في صحيحه: ج٥ ص٢٣١٧ ح٥٩٢٨، من قولهﷺ: فاطمة سيّدة نساء المؤمنين، أو سيّدة نساء هذه الأمّة. وفي الـ : ج٣ ص١٣٧٤، من قولهﷺ: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة.

٥. اشارة إلى قولهﷺ: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. راجع سنن الترمذي: ج٥ ص٦٥٦ ح٣٧٦٨، وص٦٦٠ ح٣٧٨١، كتاب المناقب.

٦. منسوب لأميرالمؤمنين عليعليه السلام، ذكره الهروي في الأربعين: ص٦٥.

٧. انظر ينابيع المودّة: ج٢ ص٢٩٨.

حديث باب حطّة

روى برهان الدين الحلبي في السيرة، قال: وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني اسرائيل، مَن دخله غفر له الذنوب.[١]

وعثمان مدوخ في العدل الشاهد، قال: ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، مَن دخله غفر له.

وقال أيضاً: روي عن سليم بن قيس الهلالي، قال: قال أبو ذر في حديث: سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة....[٢]

وروى الحمويني في فرائد السمطين: بسنده عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطّة في بني إسرائيل، مَن دخله غفر له.[٣]

وهذا رواه الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني في معجميه الصغير والأوسط.[٤]

وروى المتّقي الهندي في كنز العمّال، قال: عن عباد بن عبد الله الأسدي، قال: بينا أنا عند علي بن أبي طالب عليه السلام في الرحبة إذ أتاه رجل فسأله عن هذه الآية: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٥]، فقال: ما من رجل من قريش، إلا قد نزلت فيه طائفة من القرآن.. والله، إنّ مثلنا في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح في قوم نوح، وإنّ مثلنا في هذه الأمّة كمثل باب حطّة في بني اسرائيل.[٦]

---

١. السيرة الحلبية: ج٣ ص١١.

٢. العدل الشاهد: ص١٢٣ و١٤٣.

٣. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٤٢.

٤. مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨.

٥. سورة هود، الآية: ١٧.

٦. كنز العمّال: ج٦ ص٢٥٠.

والقندوزي في ينابيع المودّة رواه عن أبي ذر، وأبي سعيد الخدري، ثم قال: أيضاً أخرجه أبو يعلى، والبزّار، والطبراني في الأوسط والصغير.[١]

وروى الآمرتسري في أرجح المطالب، قال: عن ابن عباس، وأبي ذر، قال رسول اللهﷺ: مثل أهل بيتي كمثل باب حطّة بني اسرائيل، مَن دخله غفر له.

قال: وأخرجه الديلمي عن كليهما، والحاكم في تاريخه، وأبو يعلى، والسمّان والبزّار، وأبو الحسن المغازلي عن أبي ذر. والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي ذر، وفي الصغير والأوسط عن أبي سعيد الخدري.[٢]

حديث أساس الدين

روى محمد صالح الكشفي الحنفي في المناقب المرتضوية: بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: لكل شيء أساس، وأساس الدين حبنا أهل البيت....[٣]

وروى المتقي الهندي في كنز العمال: بسنده عن عليعليه السلام أنّه قال: قال رسول اللهﷺ: يا علي، إنّ الاسلام عريان، لباسه التقوى، ورياشه الهدى، وزينته الحياء، وعماده الورع، وملاكه العمل الصالح، وأساس الإسلام حبّي وحبّ أهل بيتي.[٤]

وهذا رواه الكمشخانوي في راموز الأحاديث من طريق ابن عساكر.[٥]

---

١. ينابيع المودّة: ج١ ص٩٤ ب٤.

٢. أرجح المطالب: ص٣٢٩.

٣. المناقب المرتضوية: ص١٠٠.

٤. كنز العمّال: ج٦ ص٢١٨.

٥. راموز الأحاديث: ص٤٩٨.

حديث المسائلة

روى ابن المغازلي في مناقبه: بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن حبّنا أهل البيت.[١]

وهذا أخرجه الطبراني أيضاً في الكبير والأوسط على ما في مجمع الزوائد، ورواه السيوطي أيضاً في إحياء الميّت بهامش الإتحاف، وذكره القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة، والنبهاني في الشرف المؤبّد.[٢]

وروى الحمويني في فرائد السمطين: بسنده ـ الذهبي ـ عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيما أفناه.. إلى أن قال: وعن حبّنا أهل البيت.[٣]

والقندوزي أيضاً في ينابيع المودّة، قال: وفي المناقب بالسند عن أبي حمزة الثمالي، عن محمد الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال قدم عبد يوم القيامة واقفا حتى يسئل عن أربع: عمرك فيم أفنيته، وجسدك فيم أبليته، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته، وعن حبّنا أهل البيت.[٤]

وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي، قال: عن أبي برزة ـ الأسلمي ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ونحن جلوس ذات يوم ـ : والذي نفسي بيده، لا تزول قدم عن قدم يوم القيامة حتى يسأل الله الرجل عن أربع: عن عمره فيم أفناه...

---

١. مناقب ابن المغازلي: ص١١٩.

٢. مجمع الزوائد للهيثمي: ج١٠ ص٤٦. والإتحاف: ص١١٥. وينابيع المودّة: ج١ ص٣٣٥ ب٣٧. والشرف المؤبّد: ص٧٤.

٣. فرائد السمطين: ج٢ ص٣٠١.

٤. ينابيع المودّة: ج١ ص٣٣٧ ب٣٧.

الحديث.[١]

ورواه أيضاً الكنجي في كفاية الطالب. والآمرتسري في أرجح المطالب. والكشفي في المناقب المرتضوية. والهيثمي مجمع الزوائد. والخوارزمي كما في المناقب، ومقتل الحسين عليه السلام.[٢]

حديث العهد

روى المحبّ الطبري في ذخائره، قال: عن عبد العزيز بإسناده، إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من حفظني في أهل بيتي، فقد إتخذ عند الله عهداً.

وقال: أخرجه أبو سعد، والملاّ.

وذكره أيضاً القندوزي في ينابيع المودّة. والحضرمي في رشفة الصادي. والآمرتسري في أرجح المطالب.[٣]

وفيه أيضاً: من طريق أبي سعد والملاّ، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صنع مع رجل من أهل بيتي يداً، كافأته عنها يوم القيامة.[٤]

وهذا رواه الزرندي أيضاً في نظم درر السمطين. والذهبي في ميزان الإعتدال. ورواه ابن حجر في الصواعق من طريق ابن عساكر. والسيوطي في إحياء الميّت بهامش الإتحاف، وفي الجامع الصغير من طريق ابن عساكر أيضاً. والعسقلاني في لسان الميزان.[٥] وكثير آخرون من الأعلام يطول المقام بذكرهم.

---

١. رشفة الصادي: ص٤٥.

٢. كفاية الطالب: ص١٨٣. وأرجح المطالب: ص٥٢٤. والمناقب المرتضوية: ص٩٩. ومجمع الزوائد: ج١٠ ص٣٤٦. والمناقب: ص٤٥، ومقتل الحسين عليه السلام: ص٤٢.

٣. ينابيع المودّة: ج٢ ص١١٤ ب٥٣. ورشفة الصادي: ص٨٩. وأرجح المطالب: ص٣٤١.

٤. ذخائر العقبى: ص١٨ و١٩.

٥. نظم درر السمطين: ص٢٣٦. وميزان الإعتدال: ج٢ ص٣١٣. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٤٥، الإتحاف: ص١١٦. والجامع الصغير: ج٢ ص٥٣٤. ولسان الميزان: ج٤ ص٣٩٩.

حديث الشفاعة

روى الخطيب البغدادي في تاريخه: بسنده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي، وهم شيعتي.[١]

ورواه السيوطي أيضاً في إحياء الميّت بهامش الإتحاف، وفي الجامع الصغير. والمتقي الهندي أيضاً في كنز العمال. والقندوزي في ينابيع المودّة.[٢]

حديث المودّة

روى الهيثمي في مجمع الزوائد، قال: وعن الحسن بن علي عليهما السلام، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إلزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقيَ الله عزّ وجلّ وهو يودّنا، دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً علمه إلاّ بمعرفة حقّنا. وقال: رواه الطبراني في الأوسط.[٣]

ورواه ابن حجر أيضاً في الصواعق من طريق الطبراني. ومثله السيوطي في إحياء الميّت بهامش الإتحاف. والقندوزي في ينابيع المودّة. والنبهاني في الشرف المؤبّد. والحمزاوي في مشارق الأنوار. والصبّان في إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار. والحضرمي في رشفة الصادي[٤]، وغير هؤلاء.

---

١. تاريخ بغداد: ج٢ ص١٤٦.

٢. الإتحاف: ص١١٤. والجامع الصغير: ج٢ ص٤٩. وكنز العمّال: ج١٢ ص١٨٨ رقم٣٤١٧٩. وينابيع المودّة: ج٢ ص٩٥ ب٥٦.

٣. مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٧٢ رقم١٥٠٠٧.

٤. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٦٢. والإتحاف: ص١١٢. وينابيع المودّة: ج٢ ص٣٦٥ ب٥٨. والشرف المؤبّد: ص٨٥. ومشارق الأنوار: ص٩١. ونور الأبصار: ص١٢٣. ورشفة الصادي: ص٤٤.

حديث الوصيّة

روى محبّ الدين الطبري في ذخائره، قال: روي عن عبد العزيز، قال: قال رسول الله ﷺ: استوصوا بأهل بيتي خيراً، فإني أخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار.

وقال: أخرجه أبو سعد والملاّ.[١]

ورواه الحضرمي أيضاً في رشفة الصادي، من طريق أبي سعد والملاّ. وابن حجر في الصواعق. والشبلنجي في نور الأبصار. والقندوزي في ينابيع المودّة. والآمرتسري في أرجح المطالب[٢]، وغيرهم.

حديث الجنّة

روى محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى، قال: عن علي الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله حرّم الجنّة على من ظلم أهل بيتي، أو قاتلهم، أو أغار عليهم، أو سبّهم.[٣]

ورواه أيضاً القندوزي في ينابيع المودّة عن علي عليه السلام. ورواه الحضرمي في رشفة الصادي بمثل ما في الينابيع، وكذلك الآمرتسري في أرجح المطالب. ومحمد بن عبد الغفّار في أئمة الهدى،[٤] وغيرهم.

---

١. ذخائر العقبى: ص١٨.

٢. رشفة الصادي: ص٨٩ و٢٧٣. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٤٤١. ونور الأبصار: ص١٠٥. وينابيع المودّة: ج٢ ص١١٥ ب٥٦. وأرجح المطالب: ص٣٤١.

٣. ذخائر العقبى: ص٢٠.

٤. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٩٢ ب٦٦. ورشفة الصادي: ص٦٠. وأرجح المطالب: ص٣٣٤. وأئمة الهدى: ص١٤٨.

حديث حبّ أهل البيت عليهم السلام

روى الترمذي في سننه: بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبّوني بحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي.[1]

ورواه الطبراني أيضاً في المعجم الكبير مثل الترمذي سنداً ومتناً. وكذلك الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ورواه الخطيب البغدادي أيضاً في تاريخه مثل الترمذي. ورواه الزرندي أيضاً في نظم درر السمطين. والبيهقي في شُعب الإيمان. ورواه ابن المغازلي أيضاً في مناقبه مثل الترمذي. ورواه ابن الأثير أيضاً في أُسد الغابة. والمحبّ الطبري في ذخائره. والذهبي في ميزان الإعتدال. وابن كثير في تفسيره. والآحوذي في شرحه.[2] وكثير من الأعلام غير المذكورين.

روى السيوطي في إحياء الميّت بهامش الاتحاف، قال: أخرج الديلمي عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيّكم، وحبّ أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإنّ حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، مع أنبيائه وأصفيائه.[3]

رواه أيضاً الطبراني في الجامع الصغير من طريق أبي نصر الشيرازي في فوائده، وابن النجّار. وذكره القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة. والنبهاني في الفتح

---

١. سنن الترمذي: ج٥ ص٦٦٤ ح٣٧٨٩، كتاب المناقب.

٢. المعجم الكبير: ج٣ ص٤٦ رقم٢٦٣٩. والمستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٩. وتاريخ بغداد: ج٤ ص١٥٩. ونظم درر السمطين: ص٢٣١. وشعب الإيمان: ج١ ص٣٦٦ رقم٤٠٨. ومناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ص١٣٦. وأُسد الغابة: ج٢ ص١٢. وذخائر العقبي: ص١٨. وميزان الإعتدال: ج٢ ص٤٣. وتفسير ابن كثير: ج٩ ص١١٥. وشرح الآحوذي: ج١٣ ص٢٠.

٣. الإتحاف: ص١١٥.

الكبير[1] وغيرهم.

روى محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى، قال: عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يحبّنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي.

قال: أخرجه الملاّ.[2]

ورواه القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة من طريق الملاّ. والآمرتسري في أرجح المطالب. وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي. وابن حجر في الصواعق.[3]

روى الحاكم في المستدرك: بسنده عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.[4]

ورواه ابن المغازلي أيضاً في مناقبه. والذهبي في تاريخ الإسلام. والسيوطي في الخصائص. والزرندي في نظم درر السمطين. والكازروني في شرف النبي ﷺ. وابن حجر في صواعقه.[5] وكثير من غير هؤلاء من الأعلام.

وروى الذهبي في ميزان الإعتدال: بسنده عن أبي جعفر، محمد بن علي الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: مَن أبغضنا

---

١. الجامع الصغير: ج١ ص٤٢. وينابيع المودّة: ج٢ ص٣٦١ ب٥٨. والفتح الكبير: ج١ ص٥٩.

٢. ذخائر العقبى: ص١٨.

٣. ينابيع المودّة: ج٢ ص٤٦٠ ب٥٩. وأرجح المطالب: ص٣٤١. ورشفة الصادي: ص٤٧. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٠٠، و٦٦٣، و٦٨٧.

٤. المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٠.

٥. المناقب: ص١٣٧. وتاريخ الإسلام: ج٢ ص٩٠. والخصائص: ج٢ ص٢٦٦. ونظم درر السمطين: ص١٠٦. وشرف النبي ﷺ: ص٢٨١. والصواعق المحرقة: ص٢٣٧.

أهل البيت، حشره الله يوم القيامة يهودياً، وإن صام وصلّى....[1]

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد قال: وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فسمعته وهو يقول: أيّها الناس، من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً. فقلت: يا رسول الله، وإن صام وصلّى؟ قال: وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم. احتجر بذلك من سفك دمه وأن يؤدّي الجزية عن يد وهم صاغرون، مثّل لي أمتي في الطين، فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته. قال: رواه الطبراني في الأوسط.[2]

رواه السيوطي أيضاً في إحياء الميّت بهامش الإتحاف من طريق الطبراني في الأوسط. ورواه الديلمي أيضاً في قواعد عقائد آل محمد صلى الله عليه وآله، من طريق أحمد بن سليمان، والشيخ عبيد الله. والآمرتسري في أرجح المطالب.[3]

روى السيوطي في إحياء الميّت بهامش الإتحاف، قال: أخرج الديلمي في الإفراد، والخطيب في المتّفق، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستّة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والراغب عن سنّتي إلى بدعة، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط على أمّتي بالجبروت ليعزّ من أذلّ الله ويذلّ من أعزّ، والمرتد إعرابيا بعد هجرته.[4]

وهذا رواه الحدّاد الحضرمي أيضاً في القول الفصل، وبطريق ثان عن علي عليه السلام، وفيه: فقال صلى الله عليه وآله: لعنت سبعة فلعنهم الله....[5]

والسيوطي أيضاً: أخرج الترمذي، والحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، عن

---

١. ميزان الإعتدال: ج١ ص٣٦٩.

٢. مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧٢.

٣. الإتحاف: ص١١٢. وقواعد عقائد آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١٠٤. وأرجح المطالب: ص٣٤٣.

٤. الإتحاف: ص١١٧.

٥. القول الفصل: ج١ ص٤٦٦.

عائشة، مرفوعا: ستّة لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله.. والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله.[١]

ورواه الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد من طريق الطبراني في الكبير، وابن حيّان في صحيحه، والبيهقي في شعب الإيمان. وأبو بكر الحضرمي أيضاً في رشفة الصادي من طريق الطبراني في الكبير، وابن حيّان في صحيحه، والحاكم ملخصاً.[٢]

وروى الذهبي في ميزان الإعتدال: عن قتادة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أربعة لعنتهم وكل نبي: الزائد في كتاب الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله....[٣]

وروى الحضرمي أيضاً في القول الفصل: بسنده عن عبيد الله بن موهب، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم ـ وهو أمير المدينة ـ : أن اكتب إليّ من حديث عمرة بنت عبد الرحمن. فكان فيما أملت علي: حدّثتني عائشة: ستّة لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله.. والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله.

ثم قال: حدّثنا إبراهيم بن أبي داود، عن ابن موهب، عن أبي بكر بن محمد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله يقول: ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب.. والمستحل من عترتي ما حرّم الله.[٤]

والهيثمي في مجمع الزوائد، قال: عن عمرو بن سغوى اليافعي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمستحلّ

---

١. الإتحاف: ص١١٦.

٢. مجمع الزوائد: ج١ ص١٧٦. ورشفة الصادي: ص٦٠.

٣. ميزان الاعتدال: ج١ ص٥٠.

٤. القول الفصل: ج١ ص٤٦٠.

من عترتي ما حرّم الله....

وقال: رواه الطبراني في الكبير.[١]

وروى الترمذي في سننه، قال: حدّثنا قتيبة: حدّثنا عبد الرحمن بن زيد بن أبي الموالي المزني، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن عمرة، عن عائشة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستّة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي كان: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمتسلّط بالجبروت ليعزّ بذلك من أذلّ الله، ويذلّ من أعزّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنّتي.

قال أبو عيسى هكذا روى عبد الرحمن بن أبي الموالي هذا الحديث، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن عمرة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله. ورواه سفيان الثوري وحفص بن غياث وغير واحد، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن علي بن حسين، عن النبي صلى الله عليه وآله مرسلا، وهذا أصحّ.[٢]

روى السيوطي في إحياء الميّت بهامش الإتحاف قال: أخرج الديلمي، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم الحوائج، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه.[٣]

ورواه المحبّ الطبري أيضاً في ذخائره. وابن حجر في صواعقه. والمتقي الهندي في كنزه. والقندوزي في ينابيع المودّة من طريق الديلمي. والحمزاوي في مشارق الأنوار. والحضرمي في رشفة الصادي. ومحمد بن عبد الغفار

---

١. مجمع الزوائد: ج١ ص١٧٦.

٢. سنن الترمذي: ج٤ ص٦٥٧ ح٢١٥٤.

٣. الإتحاف: ص١١٥.

الأفغاني في أئمة الهدى. والشوكاني في فوائده.[١] وغيرهم من الأعلام.

روى الثعلبي في تفسيره: بسنده عن قيس بن حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات على حبّ آل محمد، مات شهيداً، ومن مات على حبّ آل محمد، مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد، مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مؤمناً، مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد، بشّره ملك الموت بالجنّة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد، يُزفّ إلى الجنّة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد، فُتح له في قبره باباً إلى الجنّة، ألا ومن مات على حب آل محمد، جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض أل محمد، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد، مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد، لم يشم رائحة الجنّة.[٢]

ورواه الحمويني أيضاً في فرائد السمطين من طريق قيس بن حازم. وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة. والموسوي الدهلوي في تجهيز الجيش، عن تفسير الزمخشري وتفسير الرازي. وابن حجر العسقلاني أيضاً في لسان الميزان. والهيثمي في الصواعق. وابن الفوطي في الحوادث الجامعة.[٣] وكثير في الأعلام غير المذكورين.

---

١. ذخائر العقبى: ص١٨. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٥١٢ و٦٨٤. وكنز العمّال: ج١٢ ص١٨٨. وينابيع المودّة: ج٢ ص١١٥ و٢٧٠ و٣٨٠. ومشارق الأنوار: ص٩١. ورشفة الصادي: ص٤٦. وأئمة الهدى: ص١٤٨. والفوائد المجموعة: ج١ ص٣٩٧.

٢. تفسير الثعلبي: مورد تفسير سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٣. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٥٥. والفصول المهمّة: ص١١٠. وتجهيز الجيش: ص١٣. لسان الميزان: ج٢ ص٤٥٠. والصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٦٤. والحوادث الجامعة: ص١٥٣.

والفخر الرازي في تفسيره الكبير بعد أن نقل الحديث عن صاحب الكشّاف[١]، قال: هذا هو الذي رواه صاحب الكشّاف، وأنا أقول: آل محمد صلى الله عليه وآله هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل، كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل... وروى صاحب الكشاف: أنّه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما.

ثم قال الفخر: فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله، وإذا ثبت هذا، وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ المودّةَ فِى القُربَى﴾[٢]، ووجه الاستدلال به لما سبق.

والثاني: لا شك أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يحبّ فاطمة عليها السلام، وقال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها.[٣]

وثبت بالنقل المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه كان يحبّ علياً والحسن والحسين عليهم السلام،[٤] وإذا ثبت ذلك، وجب على كل الأمّة مثله، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾[٥].

---

١. جاد الله الزمخشري.

٢. سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٣. ذكره البخاري في صحيحه: ج٣ ص١٣٦١ ح٣٥١٠، وج٥ ص٢٠٠٤ ح٤٩٣٢.

٤. روى البخاري: بسنده عن سلمة، قال:. .. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطيّن الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله. وروى بسنده عن أُسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّه ـ أي، رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كان يأخذه ـ أي، الحسين عليه السلام ـ والحسن عليه السلام، فيقول: اللهم، إنّي أُحبّهما، فأحبّهما. أُنظر صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٥٧ و١٣٦٩ ح٣٤٩٩ و٣٥٣٧، كتاب المناقب.

٥. سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

ولقوله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[١].

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٢].

ولقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣].

والثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمداً وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكل ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمد، واجب.

وقال الشافعي ـ إمام الشافعية ـ :

يا راكباً قفّ بالمحصّب من منىً	واهتف بساكن خيفها والناهض
سَحَراً إذا فاض الحجيج إلى منىً	فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمد	فليشهد الثقلان إنّي رافضي

انتهى كلام الفخر.[٤]

حديث من آذاني

روى المناوي في كنوز الحقائق، قال: وأخرج أبو نعيم، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: من آذاني في أهلي، فقد آذى الله.[٥]

ورواه أيضاً البدخشي في مفتاح النجاة (مخطوط) عن أبي نعيم مثل المناوي.

---

١. سورة النور، الآية: ٦٣.

٢. سورة آل عمران، الآية: ٣١.

٣. سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٤. التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٥، مورد تفسير سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٥. كنوز الحقائق: ص٤٤.

والقندوزي في ينابيع المودّة من طريق الديلمي. واليافعي الحضرمي في تاريخ حضرموت. والقلندر في الروض الأزهر.[١]

حديث المعرفة

روى الحمويني في فرائد السمطين: بسنده من طريق محمد بن سعد بن سعد بن أبي طيبة، عن المقداد بن الأسود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: معرفة آل محمد، براءة من النار، وحبّ آل محمد، جواز على الصراط، والولاية لآل محمد، أمان من العذاب.

ثم قال الحمويني: وقد أخبرنا بهذا الحديث الشيخ الإمام تاج الدين علي بن انجب بن عبيد الله بن الخازن. إلى قوله: أنبأنا القاضي المصنّف عياض بن موسى، قال: قال بعض العلماء: معرفتهم معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وآله، وإذا عرفهم بذلك، عرف وجوب حقّهم وحرمتهم بسببه.[٢]

والحديث رواه القاضي المغربي في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله مثل الحمويني. والصفوري في نزهة المجالس. والقندوزي في ينابيع المودّة. ومحمد صالح الترمذي في المناقب المرتضوية. والبشراوي الشافعي في الإتحاف بحبّ الأشراف. والقلندر في الروض الأزهر.[٣]

حديث الحرمة

روى الطبراني في المعجم الكبير: بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال

١. ينابيع المودّة: ج٢ ص٨٩ ب٥٦. وتاريخ حضرموت: ج٢ ص٢٦٤. والروض الأزهر: ص٣٦٠.

٢. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٥٦.

٣. الشفاء: ج٢ ص٤١. ونزهة المجالس: ج٢ ص١٠٥. وينابيع المودّة: ج١ ص٧٨ ب٣. والمناقب المرتضوية: ص١٠٢. والإتحاف بحبّ الأشراف: ص٤. والروض الأزهر: ص٣٥٧.

رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لله عزّ وجلّ حرمات ثلاث، من حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئا: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي.[١]

رواه الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد من طرق الطبراني في الأوسط والكبير. ورواه الخوارزمي في مقتله مثل الطبراني. والسيوطي في إحياء الميّت بهامش الإتحاف من طريق الحاكم في تاريخه، والديلمي. والقندوزي في ينابيع المودّة من طريق الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو الشيخ في الثواب، والحاكم في المستدرك. والكمشخانوي في راموز الأحاديث من طريق أبي نعيم والطبراني. والنبهاني في الشرف المؤبّد. والخركوشي في شرف النبي (مخطوط). والحضرمي في رشفة الصادي.[٢] وغيرهم.

حديث العصبة

روى الطبراني في الكبير: بسنده عن عمر ـ ابن الخطاب ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كل بني أنثى فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنّي أنا عصبتهم، وأنا أبوهم.[٣]

رواه المحبّ الطبري في ذخائره أيضاً عن عمر، باختلاف يسير في اللفظ. والهيثمي في مجمع الزوائد من طريق الطبراني في الكبير. وكذلك السيوطي في

---

١. المعجم الكبير: ج٣ ص١٢٦ رقم٢٨٨١.

٢. مجمع الزوائد: ج١ ص٨٨. ومقتل الحسين عليه السلام: ج٢ ص٧٩. والإتحاف: ص١١٨. وينابيع المودّة: ج٢ ص٣٦٥ ب٥٨. وراموز الأحاديث: ص١٢٩. والشرف المؤبّد: ص٨٧. وشرف النبي صلى الله عليه وآله: ص٢٩٥. ورشفة الصادي: ص١١.

٣. المعجم الكبير: ج٣ ص٤٤ رقم٢٦٣١.

الجامع الصغير، وفي إحياء الميّت بهامش الإتحاف.[1]

والقندوزي في ينابيع المودّة، وقال: أخرجه أبو صالح والحافظ عبد العزيز بن الأخضر، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، والدارقطني والطبراني في الأوسط. وذكره النبهاني أيضاً في الفتح الكبير، وابن حمزة في البيان والتعريف.[2]

وروى الحضرمي في القول الفصل، قال: وعن عمر بن الخطاب، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، وكل ولد آدم فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإني أبوهم وعصبتهم.

وقال: أخرجه أبو صالح المؤذّن في أربعينه في فضل الزهراء، والحافظ أبو محمد عبد العزيز الأخضر.[3]

وروى مثله، ابن حجر في صواعقه. والمولوي الهندي في الروض الأزهر. والبدخشي في مفتاح النجاة (مخطوط)،[4] وقد روى الحديث كثير من الأعلام غير هؤلاء المذكورين.

وكذلك روي مثله عن فاطمة عليها السلام، كما في مقتل الخوارزمي: بسنده عن شبيب بن نعيم، عن فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل بني أم ينتمون إلى عصبة، إلا ولد فاطمة فأنا أبوهم وعصبتهم.[5]

وروى ابن حجر في الصواعق، قال: أخرج الطبراني عن فاطمة الزهراء عليها السلام إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليه الا ولد فاطمة، فأنا عصبتهم.[6]

---

١. ذخائر العقبى: ص١٢١. ومجمع الزوائد: ج٤ ص٢٢٤. والجامع الصغير: ج٢ ص٢٣٤. والإتحاف: ص١١٣.

٢. ينابيع المودّة: ص٢٦٧. والفتح الكبير: ج٢ ص٣٢٣. والبيان والتعريف: ج٢ ص١٤٥.

٣. القول الفصل: ج٢ ص١٨.

٤. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٤٥٥، الفصل الأوّل: في الآيات الواردة فيهم عليهم السلام. والروض الأزهر: ص١٠٣.

٥. مقتل الحسين عليه السلام: ج١ ص٨٩.

٦. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٤٧، الفصل الثاني: في سرد أحاديث واردة فيهم عليهم السلام.

وأخرج الطبراني: بسنده عن فاطمة: أنّ النبيﷺ قال: كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليّهم، وأنا عصبتهم.[١]

ورواه الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد من طريق الطبراني وأبي يعلى. والسيوطي في الجامع الصغير من طريق الطبراني. والحاكم عن جابر بن عبد الله الانصاري، كما في المستدرك. والسيوطي في إحياء الميّت بهامش الإتحاف.[٢] ورواه غير هؤلاء كثير من الأعلام.

وقد أورد ابن حجر الهيثمي أبواباً في فضائل أهل البيتعليهم السلام في كتابه الصواعق المحرقة ننقلها انتقاءً تتميماً للفائدة:

وصية النبيﷺ بهمعليهم السلام

قالﷺ: ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي، وإنّ كرشي الأنصار فاعفوا عن مسيئهم،[٣] واقبلوا من محسنهم. حديث حسن.

أقول: ثم تعرّض إلى تفسير آية المودّة[٤] بقوله:

وجاء: إنّ ابن عباس فسّرها بما فسّر به ابن جبير، ورفع ذلك إلى النبيﷺ فقال: قالوا يا رسول الله ـ عند نزول الآية ـ من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

ويؤيّد ما مرّ من تفسير ابن جبير أنّ الآية في الأل، ما جاء عن علي (كرم الله وجهه) قال: نزلت فينا في الرحم آية لا يحفظ مودّتنا إلا كل مؤمن، ثم قرأ الآية.

---

١. المعجم الكبير: ج٣ ص٤٤ رقم٢٦٣٢.

٢. مجمع الزوائد: ج٤ ص٢٢٤. والجامع الصغير: ج٢ ص٢٣٤. والمستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٦٤. والإتحاف: ص١١٣.

٣. أقول: أرادﷺ من العفو والتجاوز عن مسيئهم، خصوص الأنصار حصراً ولا يشمل أهل بيت رسول اللهﷺ لما عرفت من نزول آية التطهير في حقّهم.

٤. سورة الشورى، الآية: ٢٣.

وجاء ذلك عن زين العابدين أيضاً، فإنّه لما قُتل أبوه الحسين عليه السلام جيء به أسيراً، فأُقيم على درج دمشق، فقال رجل من أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة. فقال له زين العابدين: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. فبيّن له: إنّ الآية فيهم وإنّهم القربى فيها، فقال: وإنكم لأنتم هم!؟ قال: نعم. وقال: أخرجه الطبراني.

وأخرج الدولابي: إنّ الحسن عليه السلام قال في خطبته: إنّا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كل مسلم، فقال لنبينا صلى الله عليه وآله: ﴿**قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجرًا إِلا المَوَدَّةَ فِي القُربَى وَمَن يَقتَرِف حَسَنَةً نَّزِد لَهُ فِيهَا حُسنًا**﴾[1]، واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

وحديث: من أحبّنا بقلبه، وأعاننا بيده ولسانه، كنت أنا وهو في عليين، ومن أحبّنا بقلبه، وكفّ عنّا لسانه ويده، فهو في الدرجة التي تليها.

وأخرج أبو الشيخ أيضاً والديلمي: مَن لم يعرف حق عترتي، فهو لإحدى ثلاث: إمّا منافق، وإمّا لزنية، وإمّا حملت به أمّه في غير طهر.

دعائه صلى الله عليه وآله بالبركة في هذا النسل المكرم

روى النسّائي في عمل اليوم والليلة: إنّ نفراً من الأنصار قالوا لعلي عليه السلام: لو كانت عندك فاطمة عليها السلام؟ فدخل على النبي صلى الله عليه وآله ليخطبها، فسلّم عليه، فقال: ما حاجتك يا ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مرحباً وأهلاً. لم يزده عليها، فخرج إلى الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري غير أنّه قال لي: مرحباً وأهلاً. قالوا: يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما، قد أعطاك الأهل، وأعطاك الرحب. فلما كان بعد ذلك بعدما زوّجه، قال: يا علي، لابدّ للعرس من وليمة.

قال سعد: عندي كبش، وجمع له رهطاً من الأنصار أصوعاً من ذرة، قال:

---

١. سورة الشورى، الآية: ٢٣.

فلما كان ليلة البناء، قال: لا تُحدث شيئاً حتى تلقاني. فدعاﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي وفاطمة، وقال: اللهم، بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما.

ورواه آخرون مع حذف بعضه.

بشارتهمﷺ بالجنّة

عن ابن مسعود، قال: قال رسول اللهﷺ: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذرّيتها على النار.

أخرجه تمّام في فوائده، والبزّار والطبراني بلفظ: فحرّمها وذرّيتها على النار.

وجاء عن عليعليه السلام، قال: شكوت إلى رسول اللهﷺ حسداً في الناس. فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرّيتنا خلف أزواجنا.

وروى ابن السدّي والديلمي في مسنده: نحن بنو عبد المطّلب، سادات أهل الجنّة: أنا وحمزة وعلي وجعفر ابنا أبي طالب والحسن والحسين والمهدي.

وجاء بسند رواته ثقات: إنّهﷺ قال لفاطمة: إنّ الله غير معذّبك ولا ولدك.

وروى المحبّ الطبري والديلمي وولده بلا إسناد حديث: سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي، فأعطاني ذلك.

وفي حديث: يا علي، إنّ الله قد غفر لك ولذريّتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين.

وفي حديث: أوّل من يرد علي حوضي، أهل بيتي، ومن أحبّني من أمّتي.

الإقتداء بهمعليهم السلام

وعن ولده زين العابدينعليه السلام: إنّما شيعتنا من أطاع الله وعمل مثل أعمالنا.

وعن المحبّ الطبري: لأبي معيد في شرف النبوّة، بلا إسناد، حديث: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسّك بها اتخذ إلى ربّه سبيلاً.

وأورد أيضاً بلا إسناد حديث: في كل خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

خصوصياتهم الدّالة على عظيم كراماتهم عليهم السلام

أخرج أبو داود، والنسائي، وابن ماجة وآخرون، خبر: المهدي من عترتي من ولد فاطمة.

وفي أخرى لأحمد وغيره: المهدي منّا أهل البيت، يُصلحه الله في ليلة.

وفي أخرى للطبراني: المهدي منّا، يختم الدين بنا كما فتح.

وروى أبو داود في سننه عن علي (كرم الله وجهه) أنّه نظر إلى ابنه الحسين فقال: إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه النبي صلى الله عليه وآله وسيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق، يملأ الأرض عدلاً.

وفي رواية: إنّ عيسى عليه السلام يصلّي خلفه.

إكرام الصحابة ومن بعدهم, لأهل البيت عليهم السلام

صح عن أبي بكر أنّه قال لعلي (كرم الله وجهه): والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحبّ إلي أن أصل من قرابتي.

وأتى عبد الله بن الحسن بن حسين، عمر بن عبد العزيز في حاجة، فقال له: إذا كانت لك حاجة فأرسل واكتب بها إلي، فإني أستحي من الله أن يراك على بابي.

وقال أبو بكر بن عيّاش: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأنّ أخرّ من السماء إلى الأرض أحبّ إلي من أن أقدمهما عليه.

ودخلت فاطمة بنت علي على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فبالغ في إكرامها، وقال: والله، ما على ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إلي منكم، ولأنتم أحبّ إلي من أهلي.

وعوتب أحمد في تقريبه لشيعي! فقال: سبحان الله! رجل أحبّ قوماً من أهل

بيت النبيﷺ، وهو ثقة. وكان إذا جاء شريف، بل قرشي، قدّمه، وخرج وراءه.

وقال رجل للباقر عليه السلام، وهو بفناء الكعبة: هل رأيت الله حيث عبدته؟ فقال: ما كنت أعبد شيئاً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيـان، لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. وزاد علـى ذلـك مـا أبهـر الـسامعين، فقـال الرجل: ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1].

وقارف الزهري ذنباً، فهام على وجهه، فقال له زين العابدين عليه السلام: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك، فقال الزهري: ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، فرجع إلى أهله وماله.

وكان هشام بن اسماعيل يؤذي زين العابدين عليه السلام وأهل بيته، وينال من علي، فعزله الوليد وأوقفه للناس، وكان أخوف ما عليه أهل البيت، فمـرّ علـيهم، فلـم يتعرّض له أحد منهم، فنادى: ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

إشارتهﷺ بما حصل هم عليهم السلام من الشدّة بعده

قالﷺ: إنّ أهل بيتي سيلقون بعدي من أمّتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنـا بغضاً بنو أميّة، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم. وصححه الحاكم.

وأخرج ابن ماجة: إنّهﷺ رأى فتيّة من بني هاشم، فاغرورقت عيناه، فسُئل؟ فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً.

نكتفي بهذا الغيض من فيض ما ذكره الهيثمي في صواعقه، والذي قد نوهنـا إليه آنفاً.[2]

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٢. راجع الصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٤٩ـ٦٨٥، تتمة في أبواب منتقاة من كتاب للحافظ السخاوي.

أحاديث أُخر

روى أحمد في مسنده، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا عوف، عن أبي المعدّل ـ عطية الطفاوي ـ عن أبيه: إنّ أم سلمة حدّثته، قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي يوما... فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين، وهما صبيّان صغيران، فأخذ صلى الله عليه وآله الصبيين فوضعهما في حجره، فقبّلهما، واعتنق علياً بإحدى يديه، وفاطمة باليد الأخرى، فقبّل فاطمة، وقبّل علياً، فأغدف عليهم خميصه سوداء، فقال: اللهم إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي. قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله؟ فقال: وأنت.[1]

وذكر ابن حجر الهيثمي في صواعقه، قال: أخرج الديلمي، عن أبي سعيد، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اشتدّ غضب الله على مَن آذاني في عترتي.

وفيه أيضاً: قوله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يُنسأ ـ أي، يُؤخّر ـ في أجله، وأن يتمتّع بما خوّله الله، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم، بُتر عمره، وورد عليّ يوم القيامة مسوداً وجهه.

وفيه أيضاً: أخرج الحاكم عن أبي هريرة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: خيركم، خيركم لأهلي من بعدي.

وفيه أيضاً: أخرج أبو القاسم بن بشران في أمانيه، عن عمران بن حصين: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: سألت ربي ألا يدخل أحد من أهل بيتي النار، فأعطاني.

وفيه أيضاً: أخرج ابن عساكر، عن علي عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من صنع إلى أهل بيتي يداً، كافأته يوم القيامة.

وفيه أيضاً: أخرج ابن عدي والديلمي، عن علي عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أثبتكم على الصراط، أشدّكم حبّاً لأهل بيتي ولأصحابي.

---

١. مسند أحمد: ج٦ ص٢٩٦ ح٢٦٥٨٢.

أقول: لا يخفى أنّ المراد: حبّ الصالحين من الأصحاب، لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنهُم مَّغفِرَةً وَأَجرًا عَظِيمًا﴾[1]، وذلك لمكان (منهم) في الآية.

وفيه أيضاً: أخرج الترمذي وابن ماجة وابن حيّان والحاكم: إنّ رسول اللهﷺ، قال: أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم.

وفيه أيضاً: أخرج أحمد والترمذي عن عليعليه السلام: إنّ رسول اللهﷺ، قال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة.

وفيه أيضاً: أخرج ابن ماجة والحاكم: إنّ رسول اللهﷺ، قال: نحن ولد عبد المطّلب سادة أهل الجنّة، أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي.[2]

---

١. سورة الفتح، الآية: ٢٩.

٢. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٤٣ـ٥٤٧، الفصل الثاني: في سرد أحاديث واردة في أهل البيتعليهم السلام

فصل في

مشروعية الصلاة عليهم

كيفية الصلاة على محمد وآل محمد

روى ابن جرير الطبري في تفسيره: بسنده عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: أتى رجل النبيﷺ فقال: سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قل: اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

وفيه أيضاً: بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، قال: لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[1]، قمت إليه، فقلت: السلام عليك، قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: قل: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[2]

وذكر الفخر الرازي في التفسير الكبير: سُئل النبيﷺ: كيف نصلّي عليك يا رسول الله؟ فقال: قولوا: اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[3]

والسيوطي في الدر المنثور، قال: وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن كعب بن عجرة، قال: قلنا: يا رسول الله... فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد... .

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٢. جامع البيان: ج٢٢ ص٣٠، مورد تفسير سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٣. التفسير الكبير: ج٢٥ ص٢٢٧، مورد تفسير سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

وفيه أيضاً: وأخرج ابن جرير عن يونس بن خبّاب، أنبأني من سمع ابن عباس يقول: فقالوا: يا رسول الله... فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارحم محمداً وآل محمداً كما رحمت إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم...

وفيه أيضاً: وأخرج ابن جرير، عن إبراهيم: قالوا: يا رسول الله... فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صلّ على عبدك ورسولك وأهل بيته كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل بيته كما باركت على إبراهيم....

وذكر فيه كيفية الصلاة على النبي ﷺ بالكيفية المذكورة عن طلحة بن عبيد الله بطريقين، وعن كعب بن عجرة بطريق آخر غير ما مرّ.

وفيه أيضاً: وأخرج عبد بن حميد، والنسّائي، وابن مردويه، عن أبي هريرة: إنّهم سألوا رسول الله ﷺ: كيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وفيه أيضاً: وأخرج ابن مردويه، عن علي عليه السلام، قال: قلت: يا رسول الله، كيف نصلّي عليك؟ قال: إذا أنتم صلّيتم عليّ، فقولوا: اللهم صلّ على محمد النبيّ الأمّي وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبيّ الأمّي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وفيه أيضاً: وأخرج البخاري في الأدب المفرد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: من قال: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، شهدت له يوم القيامة بالشهادة، وشفعت له.

وفيه أيضاً: وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن مردويه، عن بريدة الأسلمي، قال: قلنا: يا رسول الله فكيف نصلّي عليك؟ قالﷺ: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد.

وفيه أيضاً: وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن ماجة، وابن مردويه، عن ابن مسعود، قال: إذا صلّيتم على النبيﷺ، فاحسنوا الصلاة عليه... قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه الأوّلون والآخرون، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.[١]

وذكر البخاري في صحيحه: حدّثنا آدم، حدّثنا شعبة، حدّثنا الحكم، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية! إنّ النبيﷺ خرج علينا، فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فقولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[٢]

وذكره مسلم في صحيحه بطريق آخر ينتهي إلى ابن أبي ليلى، وبنفس المتن.

وفيه أيضاً: حدّثنا يحيى بن يحيى التميمي، قال: قرأت على مالك، عن نعيم بن عبد الله المجمر: إنّ محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري ـ وعبد الله بن زيد هو الذي كان أري النداء بالصلاة ـ أخبره عن ابن مسعود الأنصاري، قال: أتانا رسول اللهﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله

---

١. راجع الدر المنثور: ج٥ ص٢١٥ـ٢١٩، مورد تفسيرسورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

٢. صحيح البخاري: ج٣ ص١٢٣٣ ح٣١٩٠.

تعالى أن نصلّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم.[١]

وقال الترمذي في سننه: حدّثنا إسحاق بن موسى الأنصاري: حدّثنا معن، حدّثنا مالك بن أنس، عن نعيم بن عبد الله المجمر: أنّ محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري ـ وعبد الله بن زيد الذي كان أري النداء بالصلاة ـ أخبره عن أبي مسعود الأنصاري، إنّه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلّي عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم.

وفي الباب عن علي، وأبي حميد، وكعب بن عجرة، وطلحة بن عبيد الله، وأبي سعيد، وزيد بن خارجة ـ ويقال: ابن جارية ـ وبريدة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.[٢]

وروى النسّائي في سننه: أخبرنا محمد بن سلمة، والحارث بن مسكين، قراءة عليه وأنا أسمع، واللفظ له، عن ابن القاسم، قال: حدّثني مالك، عن نعيم بن عبد الله المجمر: أنّ محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري ـ وعبد الله بن زيد الذي أري النداء بالصلاة ـ أخبره عن أبي مسعود الأنصاري، إنّه قال: أتانا رسول

---

١. صحيح مسلم: ج٢ ص١٦، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد.

٢. سنن الترمذي: ج٥ ص٣٥٩ ح٣٢٢٠.

الله ﷺ في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله ﷻ أنّ نصلّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلّ عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم.

وفيه أيضاً: أخبرنا سويد بن نصر قال: حدّثنا عبد الله، عن شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، قال: قال لي كعب بن عجرة: ألا أهدي لك هدية! قلنا: يا رسول الله، قد عرفنا كيف السلام عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وفيه أيضاً: أخبرنا عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد، قال: حدّثنا عمّي، قال: حدّثنا شريك، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن أبيه: أنّ رجلا أتى نبيّ الله ﷺ فقال: كيف نصلّي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[١]

وفي سنن أبي داود، قال: حدّثنا حفص بن عمر، حدّثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، قال: قلنا [أو قالوا]: يا رسول الله، أمرتنا أن نصلّي عليك وأن نسلّم عليك، فأمّا السلام، فقد عرفناه، فكيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وفيه أيضاً: حدّثنا مسدد، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا شعبة بهذا الحديث،

---

١. راجع سنن النسّائي: ج٣ ص٤٥ـ٤٨، باب كيفية الصلاة على النبي ﷺ.

قال: صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم.

وفيه أيضاً: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا ابن بشر، عن مسعر، عن الحكم بإسناده هذا، قال: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

قال أبو داود: رواه الزبير بن عدي، عن ابن أبي ليلى كما رواه مسعر إلا أنّه قال: كما صلّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد. وساق مثله.[١]

وفي موطأ مالك قال: حدثني، عن مالك، عن نعيم بن عبد الله المجمر، عن محمد بن عبد الله بن زيد، إنّه أخبره، عن أبي مسعود الأنصاري، إنّه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم.[٢]

وفي سنن الدارمي قال: أخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد، حدثنا مالك، عن نعيم المجمر ـ مولى عمر بن الخطاب ـ: إنّ محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري ـ الذي كان أري النداء بالصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ أخبره: إنّ أبا مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس معنا في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد ـ وهو أبو النعمان بن بشير ـ: أمرنا الله أن نصلّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تمنينا أنّه لم يسأله، ثم قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت

---

١. سنن أبي داود: ج١ ص٣٢١.

٢. موطأ مالك: ج١ ص١٦٥، باب ما جاء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله.

على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت علـى آل إبـراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم.[١]

وذكر أحمد بن حنبل في المسند، ولفظه: اللهم، إنّـك جعلـت صـلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم. اللهم، إنّهم مني وأنـا منهم، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعلـيهم. ــ يعنـي، علياً وفاطمةً وحسناً وحسيناً ـ وقال: أخرجه الطبراني عن واثلة.[٢]

وفيه أيضاً: بسنده عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: إنّ رسول الله ﷺ قـال لفاطمة: ائتني بزوجك وابنيك. فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكياً، ثم وضـع يده عليهم، ثم قال: اللهم، إنّ هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك علـى محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد.

وهذا رواه الطحاوي أيضاً في مشكل الآثار. والمتّقي في كنز العمّال.[٣]

وروى الهندي في الكنز أيـضاً: بـسنده عـن واثلـة: إنّ رسـول الله ﷺ جمـع فاطمة والحـسن والحـسين تحـت ثوبـه، وقـال: اللهـم، قـد جعلـت صـلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. اللهم، إنّ هـؤلاء مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم.... وقال: أخرجه الديلمي.[٤]

وحديث واثلة ذكره الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني.[٥]

---

١. سنن الدارمي: ج١ ص٣٥٦ ح١٣٤٢.

٢. مسند أحمد بن حنبل: ج٦ ص٢١٧ و٣٢٣.

٣. مشكل الآثار: ج١ ص٣٣٤. وكنز العمّال: ج٧ ص١٠٣.

٤. كنز العمّال: ج٧ ص٩٢.

٥. مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٧.

والعجيب الغريب ! !

فلا ريب ـ وما ارتاب إلا من كان في قلبه مرض ـ إنّ أهل بيت النبي ﷺ وعترته الذين نزلت فيهم آية التطهير، وعندما نزلت آية المباهلة، باهل بهم النبي ﷺ نصارى نجران، والذين جعلهم النبي ﷺ عدل كتاب الله في حديث الثقلين،[1] لم ولن يكونوا إلا بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. الذين أمر النبي ﷺ المسلمين قاطبةً أن يصلّوا عليهم بعد الصلاة عليه ﷺ، إذ قال ﷺ: لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء. فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال ﷺ: تقولون: اللهم صلّ على محمد، وتمسكون. بل قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد.[2]

غير أنّ العجيب الغريب من حملة العلم ورواة الحديث وأصحاب التفاسير وأرباب التصانيف والتآليف من أهل السنّة والجماعة، عندما يروون الأحاديث والأخبار الدالّة على النهي عن الصلاة البتراء لا يرعوون عندما يستفتحون أحاديث المصطفى ﷺ بقولهم:

[قال صلى الله عليه وسلّم: **لا تصلّوا علي الصلاة البتراء**] هكذا يروونه كما هو ديدنهم في الرواية!!

---

١. راجع ماتقدّم من الأحاديث الواردة في أسباب نزول آية التطهير، والمباهلة، فضلاً عن الأحاديث الواردة في الثقلين.

٢. الصواعق المحرقة لإبن حجر: ج٢ ص٤٣٠، في الآيات الواردة فيهم عليهم السلام. وحاشية الطحاوي على المراقي: ج٢ ص١٠. وكشف الغمّة للشعراني: ج١ ص٢١٩.

أقول: واليحصبي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ: ج٢ ص٥١، فصّل في حكم الصلاة على النبي ﷺ، روى: بسنده المتّصل عن رسول الله ﷺ قوله: مَن صلّى صلاةً لم يُصلّي فيها علي وعلى أهل بيتي، لم تُقبل منه. والجرجاني في تاريخ جرجان: ج١ ص١٨٩ رقم ٢٦٣، في ترجمة الحسن بن الحسين الجرجاني الشاعر، روى: بسنده المتّصل عن علي عليه السلام قوله: إنّ الله تعالى فرض على العالم الصلاة على رسول الله ﷺ وقرننا به، فمن صلّى على رسول الله ﷺ ولم يُصلّ علينا، لقي الله تعالى وقد بتر الصلاة عليه، وترك أوامره.

وكأنّ لاحياة لمن تنادي، ولا حياء لمن سار عريانا. ألم يسأل مريدوهم: كيف تُقرّون وتنكرون؟! وتَنهون عن مَثل وتأمرون بمثله؟! أليس عار عليكم إذ قيّدتم أنفسكم بعدم ذكر الآل بعد ذكركم اسمهﷺ، وأنتم تروون عنهﷺ ـ إن كنتم ممتثلين لأوامره ونواهيه كما تزعمون ـ قولهﷺ: لاتصلّوا علي الصلاة البتراء؟!

والعجب كل العجب!! كيف يروون أنّ الدعاء محجوب حتى يصلّي على محمد وآل محمد.[١] وكذلك روايتهم أنّ الصلاة لا تقبل حتى يصلّي فيها على محمد وآل محمد، ممّا انبرى له قطب الشافعية الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن ادريس، بقوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم ... مَن لم يصلّ عليكم لا صلاة له[٢]

ولكن مع كل ذلك تراهم يصرّون شديداً على ترك ذكر الآل، مقتصرين على ذكر النبيﷺ لوحده من دون أي علّة أوسبب، وكأنهم قد نُهوا أن يذكروهم معهﷺ!! ولكن، هيهات! أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.[٣]

وأعجب من ذلك أنّهم يسمّون أنفسهم بأهل السنّة، أي، يفترض أنّهم يعملون بسنّة رسول اللهﷺ، وأنّ أقوالهم وأفعالهم كلّها مطابقة للسنّة الشريفة!

فعلى هذا نتساءل ونقول: ألم يحذّر المولى تعالى من الخيّرة فيما اذا اختار الله ورسولهﷺ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

---

١. راجع الصواعق المحرقة لإبن حجر: ج٢ ص٤٣٤. شعب الإيمان للبيهقي: ج٢ ص٢١٥. كنز العمّال للهندي: ج٢ ص١١٧. فيض القدير للمناوي: ج٣ ص٥٤٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفىﷺ لليحصبي: ج٢ ص٥٤، وغيرهم.

٢. راجع الصواعق المحرقة: ج٢ ص٤٣٥، الفصل الأوّل: في الآيات الواردة فيهم عليهم السلام.

٣. سورة هود، الآية: ٢٨.

﴿الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم﴾[1]؟

ثم إنّ أوامرالنبيﷺ ونواهيه ألم تكن من سنخ سنّتهﷺ؟

وعلى هذا، ماهو الكيف الذي أراده النبيﷺ من الصلاة عليهﷺ؟ ألم يأمر بأن يقولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد؟ إذاً، فلم تركوا هذه السنّة الشريفة؟!

ولِمَ لم يعملوا بحديث الثقلين ويتمسّكوا بأهل بيته وعترتهﷺ بينما تمسّكوا بمناوئيهم، ومخالفيهم، وأعدائهم أمثال تيم وعدي وآل أميّة وآل مروان و.. و..؟!

ولِم تركوا آل البيتعليهم السلام وخذلوهم في الوقت الذي كان لزاما عليهم اتباعهم ونصرتهم؟!

فباليقين أقطع، لا يكون لهم عن أي من هذه الأسئلة جواب، سواء كان منطقيًا أم شرعيًا أم عرفيًا سوى ما وصفهم به المولى تعالى بقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2].

---

١. سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

٢. سورة النمل، الآية: ١٤.

فصل في

أقوال وأشعار بعض أعلام

أهل السنّة في حقّ أهل البيت عليهم السلام

لاغرو أنّ الإنصاف من عدمه ليس بتلك القوّة في إحقاق الحقّ واظهار كلمته بقدر ما لارغام المولى تعالى من قوّة على تلك الأُنوف المتغطرسة باستخراج مااستبطنته نفوسها من يقين قد جحدت به، لاهي سكتت عنه واعتزلته، ولا هي اعترفت به وناصرته، بل لم يكفها حتى حاربته بكل صور الحسد والبغض، بدأً بالسطوة وتحريف الوقائع والأحداث، وانتهاءً بتمييع الدين وتسييس السنّة والآيات، فأراد الله سبحانه أن يُظهر كلمته العليا، ليُلزمهم بما ألزموا به أنفسهم، فأنطق الخرّس الذي لازم أفواههم عن قول الحقّ، وأجرى أقلامهم التي طالما تشفّت بتحريف وطمس الحقائق والآثار. ليت شعري، يرعووا ليقولوا: الآن حصحص الحقّ، وما كنا عن ذلك بغائبين، بل ران على قلوبنا غِل، فلم نكن سوى جاحدين. هاكم غيض من فيض أقوالهم.

الشيخ بهاء الدين الدمشقي

قال الشيخ بهاء الدين البيطار الدمشقي في نقد عيش الميزان: أمّا مودّة أهل البيت وكونها من الواجبات، فقضية مسلّمة مقبولة، ومعلومة غير مجهولة.[1]

الشيخ حسن النجار

وقال الشيخ حسن النجّار في الأشراف: وروي عن سيّدي الخواصّ إنّه كان يقول: ومن حقّ الأشراف علينا أنّ نفديهم بكل ما نملك، لسريان لحم رسول الله ﷺ ودمه الكريمين فيهم، فهم بضعة منه، وللبعض في الإجلال والتوقير والتعظيم ما للكل، وحرمة جزئه ﷺ ميّتا كحرمة جزئه حيّا على حدّ سواء.[2]

---

١. نقد عيش الميزان: ص١٣.

٢. الأشراف: ص٢١.

القاضي عيّاض

وقال القاضي عياض في كتاب الشفا: ولو علم أنّه قصد سبَّ مَن في أبائه من الأنبياء على علم، لقُتل... أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وآله قولاً قبيحاً في آبائه أو من نسله أو ولده على علم منه أنّه من ذرية النبي صلى الله عليه وآله ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وآله ممّن سبّه منهم.[1]

أقول: أيّها القاضي! إذا كان قتل من سبّ أبا أحد من ذرية النبي صلى الله عليه وآله واجباً، فما حكم خلفائكم من آل أبي سفيان: معاوية، ويزيد، ومروان وآله.. الذين سنّوا سبّ نفس النبي صلى الله عليه وآله أميرالمؤمنين علي عليه السلام وابني رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانتيه وسبطيه، الحسن والحسين عليهما السلام؟ فلِم ترك المسلمون هذا الواجب الذي كان هناك؟!

منصور النميري

وقال العلاّمة المغربي في رفع اللبس والشبهات: وفي كنوز المطالب، قال صاحب الكمائم ـ يعني البيهقي ـ: لما قال منصور النميري تقرّباً لهارون الرشيد، ليعطيه:

يسمّون النبي أباً ويأبى لدى الأحزاب سطر من السطور

ـ يعني، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾[2] ـ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه وهو صلى الله عليه وآله يهوي إليه بقضيب، وهو يقول له: أنت الذي تنفي ذريّتي مني؟ فانتبه مذعوراً ومال إلى محبّة آل النبي صلى الله عليه وآله وقال في ذلك ما أوجب أن أمر الرشيد بقتله، فذهبوا إليه ليقتلوه فوجدوه قد مات، ونجّاه الله.[3]

---

١. الشفا في تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله: ج٢ ص٢٠٣، الوجه الرابع: أن يأتي من الكلام بمجمل، ويلفظ من القول بمشكل.

٢. سورةالأحزاب، الآية: ٤٠.

٣. رفع اللبس والشبهات: ص٨٩.

العلامة الهندي

وقال العلامة الشاه تقي الهندي في الروض الأزهر: قال في خزائن الحكمة، بعد كلام له: ثم اعلمن أنّ هؤلاء المستنيرين بنور النبوّة على طبقات ثلاث: الأولى: وارث الحكمة والعصمة والوجاهة، وهم أهل البيت، وقد جرت السنّة الإلهية على أن يكون أهل بيت كل نبي من وارث هذا التفضيل الجلي، وهؤلاء: علي وأولاده وفاطمة عليهم السلام.[١]

السيّد علوي الحضرمي

وقال العلاّمة المعاصر السيّد علوي الحضرمي في القول الفصل: فمحبّة رسول الله صلى الله عليه وآله ومحبّة أهل بيته متلازمة، ومن أحبّهم أحبَّ ذريّتهم وذوي قرباهم لا محالة، لأنّ من أحبّهم إنّما أحبّهم بحبّه لسلفهم، ومن أبغضهم فإنّما أبغضهم لبغضه لسلفهم.[٢]

القندوزي الحنفي

وقال القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة: وقال بعض كبراء العارفين في معرفة سرّ سلمان الفارسي الذي ألحقه بأهل البيت: ولمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله عبداً محضاً قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً كاملاً، وأذهب عنهم الرجس وعن كل ما يشينهم، فهم المطهرون، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية تدلّ على أنّ الله قد أشرك أهل البيت برسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تبارك وتعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣]، فدخل الشرفاء أولاد فاطمة عليها السلام قاطبة كلّهم ولا يظهر حكم هذا

---

١. الروض الأزهر: ص٣٢٨.

٢. القول الفصل: ج٢ ص٣٨.

٣. سورة الفتح، الآية: ٢.

الشرف لأهل البيت إلا في دار الآخرة، فإنّهم يحشرون مغفوراً لهم.

فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمّة بهم وقد شهد الله بتطهيرهم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1]، فسلمان منهم، لقوله صلى الله عليه وآله: سلمان منّا أهل البيت، بل أرجو أن يكون عقب علي عليه السلام مطلقا تلحقهم هذه العناية، وموالي أهل البيت منهم... إلى أن يقول: وإن تنسب فيهم بسوء. والله، ما ذلك إلا من نقص ايمانك، ومن مكر الله بك، واستدراجه إياك من حيث لا تعلم، فلو كشف الله لك يا ولي الله! منازلهم عند الله تعالى في الآخرة، لوددت أن تكون مولى من مواليهم.[2]

العلامة الفارسي

وقال الفارسي في رياض الجنّة: فصلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وعترته الذين جعلتهم في مفرق المجد تاجاً، وفي دجى الكون نوراً وسراجاً، وآتيتهم من الفضل ما لم تؤت أحداً من العالمين، ونشرت مآثرهم على تعاقب السنين، وكلأتهم، فلم تغيرهم الحوادث والتنقلات، أو تنقص من بهجتهم نقائص الحالات، ومنحتهم اجلالاً وتعظيماً وتوقيراً بقولك:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، وجعلت التمسّك بهم أماناً لأهل الأرض، طولها والعرض (كذا)، وحفظتهم مع القرآن من الإنقراض والإنعدام، كما أفصح عنه حديث نبيك صلى الله عليه وآله ـ يعني، حديث الثقلين ـ.[4]

غانمة بنت غانم

روى العلامة ابراهيم بن محمد البيهقي في المحاسن والمساوئ، قال:

---

١. سورة الجمعة، الآية: ٤.

٢. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٧٣ ب٦٥.

٣. سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٤. رياض الجنّة: ج٢ ص٢، في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله.

قيل: ولما بلغ غانمة بنت غانم سبّ معاوية وعمرو بن العاص بني هاشم، قالت لأهل مكّة: أيّها الناس، إنّ قريشاً لم تلد من رقم ولا رقم، سادت وجادت، وملكت فملكت، وفضلت ففضلت، واصطفيت فاصطفيت، ليس فيها كدر عيب، ولا عفن ريب، ولا حُشروا طاغين، ولا حادوا نادمين ولا المغضوب عليهم ولا الضالين. إنّ بني هاشم أطول الناس باعاً، وأمجد الناس أصلاً، وأحكم الناس حكما، وأكثر الناس عطاءً. منّا عبد مناف، والذي يقول الشاعر فيه:

كانت قريش بيضة فتفلّقت ... فالمخ خالصها لعبد مناف

إلى أن قالت:

ومنّا أبو الحسن علي بن أبي طالب، أفرس بني هاشم، وأكرم من احتفى وتنعّل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن فضائله ما قصر عنكم أنباؤها، وفيه يقول الشاعر:

وهذا علي سيّد الناس فاتقوا ... علياً باسلام تقدّم من قبل

ومنّا الحسن بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة، وفيه يقول الشاعر:

ومن يك جدّه حقّاً نبياً ... فإنّ له الفضيلة في الأنام

ومنّا الحسين بن علي الذي حمله جبرئيل عليه السلام على عاتقه، وكفى بذلك فخراً، وفيه يقول الشاعر:

نفى عنه عيب الآدميين ربّه ... ومن مجده مجد الحسين المطّهر[١]

أبو بكر الحضرمي

قال الحضرمي في رشفة الصادي: وكإخباره صلى الله عليه وآله في أحاديث متعددة: بأنّ

---

١. المحاسن والمساوئ: ص٩١.

المهدي الموعود به في آخر الزمان من أهل بيته صلى الله عليه وآله إلى غير ذلك من الأحاديث والأخبار الدّالة قطعاً على أنّ هذه السلالة الطاهرة، والعناصر الزكية هم أهل البيت المطهّرون، وإنّهم المرادون بكل ما ورد في فضل أهل البيت من الآيات والأحاديث والآثار، وإنّهم لن يفارقوا الكتاب إلى يوم القيامة، وإنّهم أحد الثقلين اللذين تركهما فينا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمر أمّته بالتمسّك بهما، وقد أجمعت الأمّة على ذلك، فلا حاجة لاطالة الاستدلال له.

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ثم أفرد جملة من أقوال علماء أهل السنّة في أهل البيت عليهم السلام، منهم:

الشيخ أبو الحسن الحرّاني

قال الحضرمي: ونقل السيّد السمهودي في كتابه جواهر العقدين، عن توثيق عرى الإيمان للبارزي، نقلا عن الشيخ العلامة العارف بالله أبي الحسن الحرّاني، قال في جملة كلام له: وبالحقيقة لا يعدّ من المؤمنين من لم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله وذريّته أحب اليه وأعزّ عليه من أهله وولده والناس أجمعين.

الكمال الردّاد

وفيه أيضاً: وأفتى الكمال الردّاد في من قال: لعن الله والدي الشريف. إنّه يصير بذلك مرتداً خارجاً عن الإسلام، ويجب عليه تجديد الشهادتين، فإن لم يُسلم، قُتل بالسيف، وجاز طرحه للكلاب والحالة هذه.

العلامة باصهي الحضرمي

وفيه أيضاً: وفي فتاوى العلامة سالم باصهي الحضرمي، مسألة: ما حكم من تلب[1] ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟ حاصل ما أجاب به: إنّه قدم على ما يسخط الله عليه،

١. التلب: الهلاك والخسارة، والمتالب: المهالك والمقاتل.

ويمقته به. لأنّ الإيمان منوط بحبّهم، والنفاق مربوط ببغضهم... وأطال إلى أن قال: فيجب على الوالي استتابته وتعزيره، فإن لم يتب مستحلا لذلك، قتل وأُعزي بجيفته للكلاب.

وقال الحضرمي معقّباً: وروى السلف: إنّ من أطلق لسانه في الذريّة العليّة، لا يموت إلا مرتداً عن الإسلام إن لم يتب توبة مثمرة للندم، والإقلاع والعزم على أن لا يعود، مع استيفاء التعزير الشرعي من السابّ، والاستحلال من الشريف الذي سبّه. فواجب على ولاة المسلمين أن يشدّدوا في التنكيل والتهديد على من فعل ذلك لمخالفته القرآن، وعناده للسنّة، وقد شوهد كثير من المبتلين بسبّ الذرية لم يلبثوا الا قليلا حتى عجّل الله تعالى العقوبة عليهم بالمصائب العظام، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. وقد قيل في المعنى:

حذار يا أيّها الباغي ظلامتنا ... فإنّ لحم بني الزهراء مسموم

الشيخ الشعراوي

وفيه أيضاً: وقال سيّدي الشيخ الكبير عبد الوهاب الشعراوي في اليواقيت والجواهر: ويجب اعتقاد وجوب محبّة ذرية نبيّنا محمد وإكرامهم، وهم: الحسن والحسين ابنا فاطمة وأولادهما إلى يوم القيامة، وأن نكره كل من آذى شريفاً وهجره ولو كان من أعزّ أصحابنا، لقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودّة في القربى﴾[1].

الشيخ أحمد الرفاعي

وفيه أيضاً: وقال سيّدي الشيخ الكبير أحمد الرفاعي: نوّروا قلوبكم بمحبّة آله الكرام، فهم أنوار الوجود اللامعة، وشموس السعود الطالعة، من أراد الله به

١. سورة الشورى، الآية: ٢٣.

خيراً ألزمه وصيّة نبيّه في آله، فأحبّهم، واعتنى بشأنهم وعظّمهم، وحماهم وصان حماهم، وكان لهم مراعياً، ولحقوق رسوله فيهم راعياً، المرء مع من أحبّ، ومن أحبّ الله أحبّ رسول الله، ومن أحبّ رسول الله أحبّ آل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أحبّهم كان معهم، وهم مع أبيهم صلى الله عليه وآله، قَدّموهم عليكم ولا تَقدموهم... إلى آخره.

الشّيخ محي الدّين بن العربي

وفيه أيضاً: وقال الشيخ محيي الدين بن العربي في الباب الثاني بعد الخمسمائة من الفتوحات المكّية:

إعلم أنّ من الخيانة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أن تخونه فيما سألك فيه المودّة لقرابته وأهل بيته، فإنّ من كره أحداً من أهل بيته، فقد كره رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه صلى الله عليه وآله واحد من أهل بيته، وحبّ أهل البيت لا يتبعّض، فإنّه ما تعلّق إلا بمطلق أهل البيت، لا بواحد بعينه، فاجعله ببالك واعرف قدر أهل البيت، فمَن خان أهل البيت، فقد خان رسول الله صلى الله عليه وآله في سننه، ومَن خان ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله فقد خانه صلى الله عليه وآله.

ولقد أخبرني الثقة عندي بمكّة: إنّ شيخاً كان يكره ما يفعله الشرفاء بمكّة في الناس، فرأى في المنام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مُعرضة عنه، فسلّم عليها وسألها عن إعراضها.

فقالت عليها السلام له: إنّك تقع في الشرفاء.

قال: فقلت: يا سيّدتي، ألا ترين ما يفعلون في الناس؟

فقالت عليها السلام: أليس هم بنيّ؟

قال: فقلت لها: من الآن تبت إلى الله. فأقبلت عليّ، وتبسّمت.

فلا تعدل يا أخي بأهل البيت أحداً، لأنّهم أهل الشهادة، فبغض الانسان لهم

خسران حقيقي، وحبّهم عبادة شرعية.

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً   فأهل البيت هم أهل السيادة
وبغضهم لأهل العقل خُسر   حقيقي وحبّهم عبادة

واستدرك الحضرمي قائلاً: وقال في الكتاب المذكور ـ الفتوحات المكيّة ـ في الباب التاسع والعشرين بعد كلام طويل في التحذير من ذمّهم، والعياذ بالله، قال: فإنّ النبيﷺ ما طلب منّا عن أمر الله الا المودّة في القربى، وفيه سرّ صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيّه فيما سأله فيه ممّا هو قادر عليه، بأي وجه يلقاه غداً، أو يرجو شفاعته، وهو ما أسعف نبيّهﷺ فيما طلب منه من المودّة في قرابته؟ فكيف بأهل بيته فهم أخصّ القرابة.

وقال أيضاً: قال بعضهم ـ يعني، بعض علماء أهل السنّة ـ: هذا الحديث[1] أيضاً مصرّح بكفر من سبّ شريفاً، والعياذ بالله تعالى، وإذا كانت اللعنة ـ وهي الطرد عن رحمة الله تعالى ـ واقعة من الله ورسوله، ومن كل نبي على من استحلّ منهم ما حرّم الله تعالى ـ كما في حديث عائشة السابق ـ[2] فلا يبعد السابّ لهم، لا سيّما إن كان السبّ مقرونا باستخفاف بمقام الشرف أو استحلال لذلك.

وفيه أيضاً: قال سيّدي العارف بالله شيخ بن عبد الله العيدروس في كتابه العقد النبوي، بعد كلام يتعلّق بالذريّة العلية:

---

١. يمكن أن يكون الحديث الوارد في سبب نزول آية المودّة، قبيل ماوراه أحمد في فضائل الصحابة: ج٢ ص٦٦٩، من فضائل عليعليه السلام، والذي فيه: قالوا: يا رسول الله، مَن قرابتك هؤلاء الذين وجّبت علينا مودّتهم؟ قال: ﷺ علي وفاطمة وابناهماعليهم السلام.

٢. قولها: قال رسول اللهﷺ: ستّة لعنتهم، ولعنهم الله، وكل نبي كان: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله.. والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنّتي. تقدّم آنفاً تحت عنوان: في قولهﷺ: ستّة لعنتهم، ولعنهم الله. فراجع.

واعلم أنّ حبّهم يبلغ صاحبه عند الله الدرجة العالية، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله دليل على محبّة الله وطاعته كما قال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودّة في القربى﴾[2]، وكلّما ازددت قرباً ونفعاً من النبي صلى الله عليه وآله ازددت قرباً بقدرة الله.. إلى آخره.

وفيه أيضاً: وصحّ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[3]، إنّه قال: حفظاً بصلاح أبيهما، وما ذكر عنهما صلاحاً. وروي أنّه كان بينهما سبعة أو تسعة آباء، فكيف لا تحفظ ذريّة النبي صلى الله عليه وآله به وإن كثرت الوسائط بينهم وبينه، ومن ثم قال جعفر الصادق عليه السلام: احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين وكان أبوهما صالحاً. وقال: أخرجه عبد العزيز بن الأخضر في معالم العترة.[4]

ممّا ذُكر من كراماتهم عليهم السلام

لما عذّكم الناس

روى العلامة المعاصر السيّد الحدّاد الحضرمي، قال: وأذكر هنا ما أخبرني به بعضهم، قال: إنّ بعض المبتلين بجذام النصب من أهل العصر ـ وكان عربياً ـ ركب البحر مرّة فضمّه السفر إلى بعض المتعلّمين من الصينيين في إحدى السفن التجارية، فلما أدنى التعارف أحدهما إلى الآخر، أخذا يتداولان أطراف الأحاديث من قديم وحديث، حتى أفضى ذلك الشانئ المبتلى إلى ذكر السادة الأشراف، فأخذ يقصيهم ويعيبهم ويحقّر شأنهم ويستصغر قديمهم ويقذف ما

---

١. سورة النساء، الآية: ٨٠.

٢. سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٣. سورة الكهف، الآية: ٨٢.

٤. راجع رشفة الصادي: ص١٧ و٥٠ و٥٢ و٥٩ و٦٣.

شاء من رجيع بطنه ودغل قلبه.

فلم يستمر في مقاله حتى استشاط ذلك الصيني غضباً، قال له: إنّك ما تريد بما تسمعني من أكاذيبك إلا أن تسمني بسمة البلاهة والغباوة. كأنك لا تعلم أنّي متعلّم، متخرج من المدارس العالية، قد قرأت التاريخ، واطّلعت عليه، وعرفت أوّل أمركم وقديمه، وما كنتم عليه قبل الاسلام، وإنّه لولا منّة الله عليكم بهذا البيت، لما عدّكم الناس في الأمم. قال: فكأنما ألقمه حجراً.

وهناك نظائر لهذه القصّة ممّا لا محلّ لذكره، لأننا لسنا بصدد نزح هذا البحر الذي لا ينقطع أمداده، ولا عدّ الرمل الذي يستحيل تعداده، من رام عدّ القطر عدّ طويلاً، وإنّما نتعرض من ذلك لما نكلم فيه التلميذ من تلك المفاخر العظيمة والمناقب الكريمة... انتهى.[١]

إكرام أولاد علي عليه السلام

قال العلامة الأبهيشي في المستطرف: وذكر أبو العباس الشيباني، قال:

وفد على أبي دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام في العلّة التي مات فيها، فأقاموا ببابه شهراً لا يؤذن لهم لشدّة العلّة التي أصيب بها، ثم أفاق، فقال لخادمه بشر: إنّ قلبي يحدّثني أنّ بالباب قوماً لهم إلينا حوائج، فافتح الباب ولا تمنعن أحداً. قال: وكان أوّل من دخل آل علي عليه السلام، فسلّموا عليه، ثم ابتدء الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار، فقال: أصلحك الله، إنّا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وفينا من ولده، وقد حطّمتنا المصائب، واجحفت بنا النوائب، فإن رأيت أن تجبر كسيراً، وتغني فقيراً لا يملك قطميراً، فافعل.

فقال لخادمه: خذ بيدي وأجلسني، ثم أقبل معتذراً إليهم، ودعا بدواة

---

١. أنظر القول الفصل: ج١ ص٤٤٢.

وقرطاس، وقال: ليكتب كل منكم بيده أنّه قبض منّي ألف دينار. قالوا: فبقينا والله، متحيّرين. فلما كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه، قال لخادمه: عليَّ بالمال. فوزن لكل واحد منّا ألف دينار، ثم أمر بوضع تلك الرقاع في كفنه.[1]

أما يسع جاهنا

قال النبهاني في الشرف المؤبّد: وحكى العلامة ابن حجر الهيثمي عن التقي الفارسي، عن بعض الأئمة: إنّه كان يبالغ في تعظيم الأشراف! فسئل عن سبب تلك المبالغة؟ فقال: إنّ شخصاً من الأشراف يقال له: مطير. قد مات، وكان كثير اللعب واللهو، فتوقّف الأستاذ عن الصلاة عليه، فرأى النبي في المنام، ومعه فاطمة الزهراء، فأعرضت عنه، فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته، وقالت له: أما يسع جاهنا مطيراً.

الولد العاق

وفيه أيضاً: وعن سيّدي محمد الفارسي، أنّه قال: كنت أُبغض أشراف المدينة، بني حسين ـ لأنّه كان يرى منهم ما يخالف ظاهره السنّة ـ فقال لي النبي مناماً: يا فلان ـ بإسمي ـ! مالي أراك تبغض أولادي؟ قلت: حاشا لله، ما أكرههم يا رسول الله، وإنما كرهت ما رأيت من فعلهم. فقال لي مسألة فقهية: أليس الولد العاق يلحق بالنسب؟ قلت: بلى، يا رسول الله. قال: هذا ولد عاق. فلما انتبهت، صرت لا ألقى منهم أحداً إلا بالغت في إكرامه.

تيمورلنك

وفيه أيضاً: وعن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الخلاّل البغدادي، أنّ بعض

---

١. المستطرف في كل فن مستظرف: ج٢ ص٢٤٩، الفصل السابع.

أمراء تيمورلنك أخبره: إنّه لما مرض مرض الموت، اضطرب ذات يوم اضطرابا شديداً، واسودّ وجهه، وتغيّر لونه، ثم أفاق، فذكروا له ذلك، فقال: إنّ ملائكة العذاب أتوه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم: اذهبوا عنه، فإنّه كان يُحبّ ذريّتي، ويُحسن إليهم. فذهبوا.

وفيه أيضاً: وعن شمس الدين محمد بن حسن الخالدي، قال: رأى شخص النبي صلى الله عليه وآله: في المنام، ورأى عنده تيمورلنك، فقال له: وصلت إلى هنا يا عدو الله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنّه كان يحبّ ذريّتي.[1]

العلوية البلخيّة

والحمزاوي في مشارق الأنوار، قال: ذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الملتقط، قال: كان رجل ببلخ من العلويين نازلاً بها، وكان له زوجة وبنات فتوفي الرجل، قالت المرأة: فخرجت بالبنات إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، فوصلت في شدّة البرد، فأدخلت البنات مسجداً، ومضيت لأحتال لهن القوت، فرأيت الناس مجتمعين على شيخ، فسألت عنه، فقالوا: هذا شيخ البلد. فتقدّمت إليه وشرحت حالي له.

فقال: أقيمي عندي البيّنة أنك علويّة؟ ولم يلتفت إليّ، فعُدت إلى المسجد، فرأيت في طريقي شيخاً جالساً على دكّة وحوله جماعة، فقلت: مَن هذا؟

فقالوا: ضامن البلد، وهو مجوسي.

فقلت: عسى أن يكون عنده الفرج، فتقدّمت إليه وحدّثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد، وأنّ بناتي في المسجد ما لهن شيء يقتتن به. فصاح بخادم له. فخرج، فقال: قُل لسيّدتك تلبس ثيابها. فدخل، وخرجت ومعها جَوار، فقال

---

١. راجع الشرف المؤبّد: ص٨٩ـ٩٤.

لها: اذهبي مع هذه إلى المسجد الفلاني، واحملي بناتها إلى الدار.

فجاءت معي وحملت بناتي إلى الدار، وقد أفرد لنا داراً في بيته، وادخلنا الحمام، وكسانا ثياباً فاخرة، وأرغد علينا بألوان الأطعمة.

فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم كأنّ القيامة قد قامت وأنّ اللواء على رأس محمدصلى الله عليه وآله، فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله، تعرض عني وأنا رجل مسلم؟

فقال لهصلى الله عليه وآله: أقم البيّنة أنّك مسلم. فتحيّر الرجل.

فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: نسيت ما قلت للعلويّة؟ وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره الآن، فانتبه الرجل وهو يبكي ويلطم، وبعث غلمانه في البلد... إلى أن قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: مَن صلّى صلاة لم يصلّ فيها عليّ وعلى أهل بيتي، لم تُقبل.[1]

أقول: أأصحاب هذه الفضائل الذهبية، والمناقب الدريّة، والمفاخر المضيئة، أحق وأجدر بأن يكونوا خلفاءً لسيّد الأنبياء والمرسلين، محمدصلى الله عليه وآله من بعده، فيكونوا أئمةً للمسلمين وأولياء أمورهم؟ أم آل أمية، المنافقون، الفسقة، الفجرة، الكفرة كمعاوية بن آكلة الأكباد، وجُروَهُ يزيد بن ميسون، قاتل النفوس الطاهرة الزكية؟ أم آل الحكم بن عاص بن أميّة، طريد رسول اللهصلى الله عليه وآله؟

فمالكم كيف تحكمون؟

---

١. مشارق الأنوار: ص١١١.

أشعارهم في مدح أهل البيت عليهم السلام

حفل التاريخ الإسلامي بكم هائل من أولئك الذين طرّزوا جبينه بأكاليل ذوي العلى والسؤدد، ذوي النهى المؤيد، آل الرسول أحمد صلى الله عليه وآله، فتوشّح بها أُفق المشارق والمغارب. فآلينا أن نذكر غيضاً من فيض ما أنشدوا.

ذُكر في ديوان الإمام محمد بن ادريس الشافعي ـ قطب الشافعيّة ـ قوله:

قالوا ترفضت قلت كلاّ ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي

لكن تولّيت غير شك ... خير إمام وخير هادي

إن كان حبّ الوصي رفضاً ... فإنني أرفض العباد

وله أيضاً:

إذ نحن فضّلنا علياً فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل

وله أيضاً:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حبّ آل محمد ... فليشهد الثّقلان أنّي رافضي

وله أيضاً:

إذا في مجلس ذكروا علياً ... وابنيه وفاطمة الزكية

فاجرى بعضهم ذكر سواهم ... فأيقن أنّه لسلقلقية

إذا ذكروا علياً أو بنيه ... تشاغل بالروايات العلية

ثمّ يقول:

تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضية

برئت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطمية

على آل الرسول صلاة ربي ... ولعنته لتلك الجاهلية

وله أيضاً:

لـو شـق قلـبي لبـدا وسـطه ... سطران قـد خطّا بـلا كاتـب
الـشرع والتوحيـد في جانـب ... وحـبّ أهـل البيـت في جانـب

وله أيضاً:

يـا آل بيـت رسـول الله حـبكم ... فرض من الله في القرآن أنزلـه
يكفيكم من عظيم القدر أنكم ... من لم يصل عليكم لاصلاة لـه[1]

والشبلنجي في نور الأبصار، قال: وحُكي: إنّ بعض الوعّاظ أطنب في مدح آل البيت الشريف، وذكر فضائلهم حتى كادت الشمس أن تغرب، فالتفت إلى الشمس، وقال:

لا تغربي يا شمس حتى ينقضي ... مـدحي لآل محمـد ولنـسله
واثني عنانـك إن أردتـي ثنائهم ... أنـسيت إن كـان الوقـوف لأجلـه
إن كـان للمـولى وقوفـك فلـيكن ... هـذا الوقـوف لفرعـه ولنجلـه[2]

وهذا ذكره البخاري أيضاً في الأشراف.[3]

وفي رشفة الصادي لأبي بكر الحضرمي، قال: ولبعضهم:

جلّـوا قـدوراً أن يحـدد فـضلهم ... وأثيل مجدهم بحصر الحاصر
أنّـى لمـادحهم أحاطتـه بمـا ... يحـوون مـن كـرم ومجـد شاهر
يـا مـن يـروم إحاطـة بكمـالهم ... أيحاط بـالبحر المحيط الزاخر
فهـم الأولى جلّت منـاقبهم وقد ... ورثـوا الـسيادة كـابراً عـن كـابر
فـالله يرضـيهم ويرضـى عـنهم ... وعلـيهم أزكـى الـسلام العـاطر

---

١. راجع ديوان الشّافعي: ص٣٥. وجمع الوسائل للقاري: ج١ ص٢٠٨.

٢. نور الأبصار: ص١٠٧.

٣. الأشراف: ص٢٥.

ثم قال الحضرمي: ولعمري، إنّ ما رقّمته بالنسبة إلى علوّ مفخرهم، وعظيم مظهرهم، كقطرة من البحر، وكلحظة من الدهر... ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، وأولئك أولياؤه الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٣]، ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٤].

وفيه أيضاً: ولبعضهم:

أراد الحاسدون بغير علم ... ولا هدى رواه ولا كتاب
سقوط مقام آباء التهامي ... لعمرك ذا من العجب العجاب
بني المختار سادات البرايا ... وكيف وجدّهم عالي الجناب
علوا بالمصطفى قدراً وفيه ... رقوا حتى إلى كفّ الحجاب
فبغضهم الخسارة يوم حشر ... وحبهم الذخيرة للحساب
وتنقيص احترامهم ضلال ... وهل بعد الضلالة من ثواب
وهل لميقّن بلقاء طه على ... حسد القرابة من جواب
ومن عجب تستره لحمق ... باظهار المحبّة للصحاب
فلو صدق الخبيث بمدّعاه ... درى ما للقرابة في الكتاب
وشيّد حبّهم بل وارتضاهم ... دروعا للأمان من العقاب

وفيه أيضاً: ولبعضهم:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولائهم ... كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل

---

١. سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

٢. سورة يونس، الآية: ٦٢.

٣. سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

٤. سورة المؤمنين، الآية: ٦١.

وفيه أيضاً:

وللقطب حبيب بن عبد الله:

وآل رسول الله بيت مطهر ... محبّتهم مفروضة كالمودّة

هم الحاملون السرّ بعد نبيهم ... ووارثه أكرم بها من وراثة

وفيه أيضاً:

قال أبو بكر العيدروس:

لك الهنا إن حلّ فيك ذرّة ... من حبّهم أو لاح منك خطرة

من ذكرهم ما أعظم المسرّة ... طوبى لقلب حلّ فيه ذرة[1]

والقلندر في الروض الأزهر، قال:

لأبي حنيفة:

حبّ اليهود لآل موسى ظاهر ... وولاؤهم لبني أخيه باد

وكذا النصارى يُكرمون محبّة ... لمسيحهم نجراً من الأعواد

فمتى يوالي آل أحمد مسلم ... قتلوه أو سمّوه بالإلحاد

لم يحفظوا حق النبي محمد ... في آله والله بالمرصاد

ولأبي تمّام:

بجدكم نالوا علاها فأصبحوا ... يرون بها فخراً عليكم ومظهرا

ومن الخرامة أن تكون خرامة ... أن لا تؤخّر من به تتقدّم

ولمنصور الفقيه:

إن كان حبّ خمسة زكت به فرائضي ... وبغض من عاداهم رفضا فإنّي رافضي

ولابن الهرمّة:

ومهما أُلام على حبّهم ... فإني أُحب بني فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكمات ... والدين والسنن القائمة

---

١. أنظر رشفة الصادي: ص٤ و٢٥ و٥٠ و٥٦.

وله أيضاً:

لله نحب ما أعدت ثنائهم ... الا ولذّ لمهجتي أن ابتدي
يا آل طه من يزغ عن حبكم ... ما ذاق من طيب الهناء الأرغد
يا سادتي وسعادتي دنيا وفي ... دار المقر وعدّتي في الموعد
أنتم كما صحّ الحديث أماننا ... وبفضلكم كم من صحيح مسند
قدّستم بطهارة ونزاهة عن ... كل رجس بالكمال الأحمد
فودادكم فرض على كل الملا ... وبذا أتى القرآن للمسترشد
ما إن رجا راج عواطف سركم ... إلا نجا وعن الحمى لم يردد
أنهلتم هذا الوجود بجودكم ... فبمدحكم حمدا يروح ويغتدي
أكرم بباب مدينة العلم الذي ... هو منبع العرفان صنو محمد
لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى ... الا عليّ قاهر المتمرد
صهر النبي خزينة النسب الذي ... في صلبه عقد الكمال المفرد[1]

والقلماوي في أدب الخوارج، قال:

وللكميت:

ألم ترن من حبّ آل محمد ... أروح وأغدو خائفا أترقب
على أي جرم أم بأية سيرة ... أُعنّف في تقريظهم وأؤنب[2]

والقندوزي في ينابيع المودّة، قال:

لأبي الحسن بن سعيد:

يا أهل بيت المصطفى عجبا لمن ... يأبى حديثكم من الأقوام
والله قد أثنى عليكم قبلها ... وبهديكم شدّت عرى الإسلام
الله يحشر كل من عاداكم ... يوم الحساب مزلزل الأقدام
ويرى شفاعة جدّكم من دونه ... ويُذاد عن حوض طريداً ظام[3]

---

١. الروض الأزهر: ص٣٥٩.

٢. أدب الخوارج في العصر الأموي: ص٣١.

٣. ينابيع المودّة: ج ٣ ص١٠٣ ب٦٢.

وفي الأشراف للنجار، قال:

ولأبي الحسن بن جبير:

أحبّ النبي المصطفى وابن عمّه ... عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا

هم أهل بيت أُذهب الرجس عنهم ... وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا

موالاتهم فرض على كل مسلم ... وحبّهم سنا الذخائر للأخرا[1]

وابن الصبّاغ في الفصول المهمّة، قال: ولبعضهم:

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصا ... يمسك في أُخراه بالسبب الأقوى

هم القوم فاقوا العالمين مناقبا ... محاسنها تجلي وآياتها تروى

موالاتهم فرض وحبهم هدى ... وطاعتهم ودّ وودّهم التقوى

وفيه أيضاً: ولبعضهم:

هم العروة الوثقى لمتعصم بهم ... مناقبهم جاءت بوحي وانزال

مناقب في الشورى وسورة هل أتى ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم أهل بيت المصطفى فودادهم ... على الناس مفروض بحكم واسجال

وقال: فهؤلاء هم أهل البيت المرتقون بتطهيرهم إلى ذروة أوج الكمال، المستحقّون لتوقيرهم مراتب الإعظام والإجلال.[2]

والعلامة ابن البيطار في حلية البشر، قال:

وللسيّد أحمد أسعد المدني الماتريدي، مُفتي المدينة المنورة، قوله:

من عودكم باللطف كان تعودي ... أن استغيث بكم لنجح المقصد

وتعوذي بملاذ كعبة عزكم ... أجلو به خطب الزمان المعتدي

يا جيرة العلمين تهيام[3] بكم ... روحي وريحاني وجنة موردي

وحياتكم ما زال رق هواكم ... رقي وان رغمت أنوف الحسد

---

١. الأشراف: ص٢٤.

٢. الفصول المهمّة: ص١١.

٣. التهيام: الحب.

قلبي المحيّر أمّه ركب النوى بحصاره بآل الحسين المنجد

وإذا ذكرتكم أميس ترنما من ذكركم مثل الغصون الميّد

لي في الفؤاد تشوّق وتشرّف نيرانه بسوا اللقا لا تبرد

قصبا بنجد والحجاز وبات من وجد مع العشاق صبّ ترصد

يا من بأوج العز قر قرارهم هل من جواب العطف للمستنجد

يا سادتي منوا بجبر متيم خلع السوى وفني بذلك المشهد

يروي العقيق حيا عقيق جفونه حتى يرى منه لباس زمرد

ماذا على من هام في آل العبا أو من سبي شعفا بآل محمد

وفيه أيضاً:

ولأحمد بن محمد الشيرواني:

قلم الولاء جرى بنور سوادي لذوي الفخار السادة الأمجاد

فبدت به كلمات مقول شاعر يسمو بها شعراء كل بلاد

أهل الكسا ما رمت غير جنابكم ووداكم فارعوا عظيم ودادي

أهل الكسا ما حلت عن منهاجكم وبكم أنال النور يوم معادي

أهل الكسا إنّي أسير هواكُمُ وبه وجاهكم حصول مرادي

أهل الكسا من لامني في حبكم يصلى غداً ناراً مع ابن زياد

هو ذاك من آذى النبي بسوء ما أبداه بغضاً في أُبي السجاد

ومع الذين لهم فضائح جمّة وقلوبهم ملئت من الأحقاد

أهل الكسا إنّي ابتليت بعصبة كرهت سماع حديثكم في نادي

وإذا ذكرتُ مناقباً ظهرت لكم في محفل أُعزى إلى الإلحاد

أهل الكسا طوبى لمن والاكم يا سادتي تعسا لكل معادي

أهل الكسا جحد النواصب فضلكم والفضل كالشمس المنيرة باد

ومرامهم أني أوافقهم على لمزاتهم جلت عن التعداد

إنـي أحـول عـن الـصلاح وأبتغـي | طـرق الفـساد ومـسلك الأضـداد
والله لـست براغـب عمّـا بـه | يرضـى الإلـه وسـيّد الأمجـاد[١]

و ابن الفوطي في الحوادث الجامعة، قال:

وللفرزدق:

هـم معشر حبّهم ديـن وبغـضهم | كفـر وقـربهم منجـى ومعتـصم
سـيدفع الـسوء والبلـوى بحـبّهم | ويـسترث بـه الاحـسان والـنعم
مقـدّم بعـد ذكـر الله ذكـرهم | في كـل بـر ومختـوم بـه الكلـم
يـأبى لهـم أن يحلّ الـذم سـاحتهم | خـيم كـريم وأيـد بالنـدى هـضم[٢]

أقول: الحمد لله الذي هدانا لولاية ومحبّة محمد وآل محمد وما كنا لنهتدي لهم لولا أن هدانا الله.. وله الحمد والشكر والمنّة أن جعلنا معشر الشيعة ـ الإمامية، الإثني عشريّة ـ من المتمسّكين بخاتم أنبيائه ورسله، وبأهل بيت النبي الأمين الكريم صلى الله عليه وآله وخلفائه المعصومين الطيبين الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين إلى يوم الدين.

ممّا كتب في علي عليه السلام

ذكر السيّد علوي بن طاهر الحضرمي في القول الفصل جملة ممّا كتب في أهل البيت عليهم السلام، فقال:

أمّا المؤلّفات المخصوصة بمناقب بعضهم أو قبيلة منهم، فهي كثيرة، ومن أشملها وأعلمها وأعظمها، مناقب أميرالمؤمنين علي عليه السلام أفضل أهل البيت وخيرهم وسيّدهم بعد مُشرّفهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وخوف الإطالة نذكر أبرز

---

١. حلية البشر: ج١ ص٢١٢ و٢٩٧.
٢. الحوادث الجامعة: ص١٥٣.

ما خطّه قلم جملة من أئمة القوم.

فمنها: كتاب مناقب علي للإمام أحمد بن حنبل.

وكتاب خصائص علي للنسائي.

وكتاب ينابيع الموالاة في طرق حديث من كنت مولاه فعلي مولاه للحافظ ابن جرير الطبري في مجلدين.

وقد صنّف فيه جماعة غيره، منهم: الحافظ ابن مردويه، والحافظ أبو عبد الله الحاكم، وصاحبه الحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان الخراساني الرحالة المصنّف. والحافظ أبو مسعود السجستاني، أخرج حديث الموالاة عن مائة وعشرين من الصحابة. والحافظ الحجّة المكثر أحمد بن سعيد بن عقدة، له كتاب الموالاة في حديث من كنت مولاه، أخرجه فيه من مائة وخمسة من الصحابة، قال الحافظ ابن حجر: وفي أسانيده جياد وحسان، وكان الحافظ أبو العلاء العطّار الهمداني يقول: أروي هذا الحديث بمائتي طريق وخمسين طريقاً.

وللمحدّث محمد بن الجزري الشافعي كتاب أسنى المطالب في مناقب المولى علي بن أبي طالب.

ولأبي عبد الله الحاكم جزء فضائل الزهراء البتولعليها السلام.

وقد استدرك في المستدرك كثيراً من الأحاديث في فضائل أهل البيت، وتعقّب الذهبي شيئا منها.

ولفقيد الاسلام الشهيد عبد الحميد الزهراوي مؤلّف في مناقب أم المؤمنين خديجةعليها السلام.

وبالجملة فالمؤلّفات في هذا الشأن كثيرة، وفي هذه الكتب الخاصّة كثير من

مناقبهم العامّة، بل قلّما كتاب من كتب الإسلام عموماً يخلو عن ذكر شيء من فضائلهم أو الاشارة إلى شيء منها.[١]

إذن، فإنّ مناقب أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وما لهم من الفضائل والمفاخر قد ملئت بها الأسفار، وسارت بها الركبان، وبلغت مبلغ الليل والنهار.

---

١. راجع القول الفصل: ج١ ص٤٤٢.

فصل في
المقارنة بين أئمة أهل البيت عليهم السلام
وغيرهم

لا ريب أنّ لبقايا تراكمات الجاهلية الكامنة في نفوس رجال لم يتنزّه إسلامهم بعد، كان له أبلغ الأثر لأن يساعد على نماء ورعرعة ما أعقب شهادة النبيﷺ من تكتّلات، سواء كانت على مستوى الأنصار أم تلك التي تزعمها الثلاث الأوائل في سقيفة بني ساعدة، ولا يذهب الذهن لحظور الواعز الإعتقادي وحده في مثل هذه المسألة بقدر ما كان للشعور السياسي الذي ساعد على إيقاضه وبلورة خطوطه العامّة تلك التجربة الأُولى التي أدخلت المجتمع القبلي إلى رواق الحضارة والتمدّن من أوسع أبوابه بفضل أوّل معالم الحكومة والنظام الذي قد مارسه رسول اللهﷺ فيهم، فضلاً عن اطّلاع المسلمين ـ ولأوّل مرّة في تاريخهم ـ على كيفية التعامل مع البرنامج الإداري في المخاطبات الدولية أنذاك.

ومن بين ماحمله النظام الكتلوي آنذاك من حضور عقائدي مشوب، لم يتخلّص بعد من رواسب الماضي، وبين ما ساعد عليه الحكم الرسالي من اكتساب وتنميّة الحسّ السياسي، تصاعدت وتيرة تهميش الإسلام كنظام حاكم وفق موازين السماء، واحلال مبدىء الاستحسان، والمصالح المرسلة، وغيرهما من المبتنيات الوضعية لدستور الحكم، وأوّل خطوات هذا المنزلق الخطيركانت قد نمت على أعتاب السقيفة وما رافقها من إرهاصات.

ونتيجة لما أسلفنا، وكما في الحكمة: إنّ الأشياء تُعرف بأضدادها، وما عمّ وجوده حتى لا ضدّ له، عسر إدراكه. فإذا أردنا أن نعرف خلفاء الرسولﷺ ـ الواقعيين، الذين يمثّلون رسول اللهﷺ في كل فعل وقول ـ عن غيرهم، فعلينا أن نستعرض شيء ممّا لا يستقيم وأهلية من وصفه القوم بـ«خليفة رسول

الله صلى الله عليه وآله» حتى يتبين الفرق، ويتّضح الأمر بشكل لا يبقى معه مجالاً للشكّ.

ثم لا يخفى على كل ذي لبّ، إنّ الذي إعتمدناه تنزّلاً من موضع المقارنة بين آل محمد ـ الذين لم يشوب اسلامهم شائبة ـ وبين غيرهم، إنّما يُعدّ من معدمات الأمور، ليس ذاك سوى ما للبون الشاسع بين من خصّهم الله تعالى بآية التطهير عن غيرهم من دون ذلك، يشهد له ما روي عن المصطفى صلى الله عليه وآله من قوله: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد.[1] فضلاً عمّا شهدت به بعض رؤوس الفرق بذلك كاعتراف أحمد ـ وغيره ممّا تقدّم في الجزء الأوّل من الكتاب ـ[2] بقوله: ما جاء أحد من الفضائل ما جاء في علي. إلاّ أنّ سُقم العقول، وسِنة الحلوم لدى الخصوم، أبيا سوى الأيضاح والإسترسال والإطناب، لا عن شيء سوى لما ران على القلوب من غشاوة الضلال الجاهلي، بكل ما حمله من سموم وأحقاد وضغائن قد صبّت على آل النبي صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وآلهما، بل على رسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة، ويكفي لتأكيد ذلك ما قدّمنا له في الجزء الأوّل من صور انتهاك حرمة المصطفى صلى الله عليه وآله بدءاً برزيّة يوم الخميس وانتهاءاً بذبح السبط الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام وما آل على ذريّته بعد ذلك من انتهاك وتشريد، وقتل وتبديد!!

الأمر الذي لم نجد بعده بداً في الإشارة ـ علماً أنه قد مرّ ذكر بعض من جرأة القوم في الجزء الأوّل عند ذكر مدى صدق طاعتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ـ إلى ما ورد في كتب السنّة من ثغرات ومطاعن لمَن وصفوهم ظلماً وزوراً «خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله» بدءاً بمن بدءوا به، وذلك تتميماً للفائدة، وأمانةً للتاريخ.

---

١. كنز العمّال: ج١٢ ص١٩٥ رقم ٣٤٢٠١.

٢. راجع الخلافة والخليفة عند الشيعة، تحت عنوان: الأفضلية.

ومن أراد التحقيق الأوفى عليه بمراجعة ما جمعه أعلامنا العظام ممّا رواه أهل السنّة في هذا الشأن، أمثال كتب: الغدير للعلامة الأميني. والنصّ والاجتهاد للمرحوم شرف الدين. ونهج الحقّ وكشف الصدق للعلامة الحلّي. وشرح إحقاق الحقّ للمرحوم المرعشي النجفي ﺭﺣﻤﻪ ﺍﻟﻠﻪ وغيرها..

أبي بكر بن أبي قحافة

ردّه عن أداء براءة

لم يرد في الآثار أنّ رسول اللهﷺ قد أولى أبا بكر شيأ من الأعمال، ولا أبسطها، مع أنّهﷺ كان يوليها غيره! ولما أنفذه لأداء سورة البراءة إلى أهل مكّة ما لبث أن عزله وبعث علياًعليه السلام يأخذها منه ليقرأها على الناس.

فلما رجع أبو بكر إلى النبيﷺ قال له: لا يؤدّي عني الا أنا أو رجل منّي.

روى الترمذي في سننه، قال: حدّثنا بندار، حدّثنا عفّان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث، قالا: حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن أنس بن مالك، قال: بعث النبيﷺ ببراءة مع أبي بكر ثم دعاه! فقال: لا ينبغي لأحد أن يبلّغ هذا إلا رجل من أهلي. فدعا علياً، فأعطاه إياها. قال: هذا حديث حسن غريب من حديث أنس بن مالك.[1]

وفي مسند أحمد: حدّثنا عبد الله، حدّثني أبو بكر، حدّثنا عمرو بن حمّاد، عن أسباط بن نصر، عن سماك، عن حنش، عن علي: إنّ النبيﷺ حين بعثه ببراءة، فقال: يا نبي الله، إنّي لست باللسن ولا بالخطيب. قال: لا بدّ أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت. قال: فإن كان ولا بدّ فسأذهب أنا. قالﷺ: فانطلق، فإنّ الله يثّبت لسانك، ويهدي قلبك. قال: ثم وضع يده على فمه.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الله، حدّثنا محمد بن سليمان لوين، حدّثنا محمد بن جابر، عن سماك، عن حنش، عن عليعليه السلام، قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبيﷺ، دعا النبيﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكّة، ثم دعاني

---

١. سنن الترمذي: ج٥ ص٢٧٥ح٣٠٩٠، كتاب تفسير القرآن.

النبي صلى الله عليه وآله فقال لي: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب بـه إلـى أهل مكّة فاقرأه عليهم. فلحقته بالجحفة، فأخذت الكتاب منه، ورجع أبـو بكـر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبريـل جـاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك.

وفيه أيضاً: حدّثنا عبد الصمد، وعفّان، قالا: حدّثنا حمّـاد عـن سـماك، عـن أنس بن مالك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ببراءة مع أبي بكر، فلما بلـغ ذا الحليفـة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يبلّغ إلا أنا أو رجل من أهل بيتي. فبعث بها مع علي.

وفيه أيضاً: حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد، قال: أخبرنا سماك بن حرب، عن أنس بن مالك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكّة، قال: ثم دعاه، فبعث بها علياً، قال: لا يبلّغها إلا رجل من أهلي.[١]

وراجع أيضاً سنن الدارمي.[٢]

أقول: فالذي لايصلح لأداء بضع آيات من سورة واحدة إلى أهل بلدة صغيرة كمكّه، جدير بأن لايصلح للرئاسة العامّة المتضمّنة أداء جميـع الأحكـام لعمـوم الرعايا في سائر البلاد.

فان قيل: فأي فائدة في دفع السورة إلى أبي بكر، وهو لا يريد أن يؤدّيها، ثم ارتجاعها، وهلاّ دفعها ابتداءً إلى علي عليه السلام؟

قلنا: الفائدة ظهور فضل علي عليه السلام ومزيته، وبيان أنّ الرجل الـذي نزعـت منـه السورة لا يصلح لأداء نضائرها من أحكام الشريعة، ولا يخفى أنّ الخلافة جـزء لا يتجزء من التشريع.

---

١. مسند أحمد: ج١ ص١٥٠ و١٥١. وج٣ ص٢١٢ و٢٨٣.

٢. سنن الدارمي: ج٢ ص٩٢ ح١٩١٥.

فهل صدع بفكر من أنكر وتولّى، ثمّ جحد فأدبر، أن يعي مفاد قول رسول الله‌ﷺ: إلا رجل من أهلي. وقوله‌ﷺ: لابدّ أن أذهب بها أو تذهب بها أنت. وقوله: ﷺ لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك. وقوله‌ﷺ: لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه. وقوله‌ﷺ: إلا أنا أو رجل من أهلي. هو تصريح منه‌ﷺ لإختزل صنوف الرجال كلّهم بما هم رجال في علي بن أبي طالب‌عليه السلام، بل حتى بني عبد المطّلب رغم وجود عمّهُ العباس وبنو عمومته‌ﷺ.

تخلّفه عن جيش أُسامة

لا يختلف اثنان أنّ أبا بكر وعمر كانا ضمن الجيش الذي جهّزه رسول الله‌ﷺ تحت إمرة أُسامة بن زيد لغزوة تخوم البلقاء من الشام، حيث مقتل جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة. وكان من اهتمام رسول الله‌ﷺ على ضرورة إنفاذ جيش أُسامة، أن واجه بالّعن كل من يتخلّف عنه، حتى كان من أمره‌ﷺ وبعد أن تناهى إلى سمعه‌ﷺ كثرة لغط القوم، والتمادي في طعنهم على تأمير أُسامة، أن قال لهم: لئن طعنتم عليه، فقبله طعنتم على أبيه، وإن كانا لخليقين للإمارة.[١] ولكن رغم ذلك لم يرعووا، فتأخّروا عنه، واشتغلوا بعقد البيعة في سقيفة بني ساعدة، مخالفين بذلك أمر رسول الله‌ﷺ!

روى ابن أبي الحديد في شرح النهج، قال: عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن أحمد بن سيّار، عن سعيد بن كثير، عن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن: إنّ رسول الله‌ﷺ في مرض موته أمر أُسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلّة المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وأمره أن يغير على مؤتة، حيث

١. انظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١١٣، الوفاة.

قتل أبوه زيد، وأن يغزوا وادي فلسطين.

فتثاقل أُسامة، وتثاقل الجيش بتثاقله، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يثقل ويخف ويؤكّد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أُسامة: بأبي أنت وأمي، أتأذن لي أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى.

فقال: اُخرج، وسرّ على بركة الله تعالى.

فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّي إن خرجت وأنت على هذا الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك.

فقال: سرّ على النصر والعافية.

فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّي أكره أن أسأل عنك الركبان.

فقال: اُنفذ لما أمرتك به. ثم أغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقام أُسامة فجهّز للخروج، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله سأل عن أُسامة والبعث، فأُخبر أنّهم يتجهّزون. فجعل يقول: أنفذوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه. ويكرر ذلك.

فخرج أُسامة واللواء على رأسه، والصحابة بين يديه، حتى إذا كان بالجرف، نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين، ومن الأنصار: أُسيد بن خضير وبشر بن سعد، وغيرهم من الوجوه، فجاءه رسول أم أيمن يقول له: أُدخل، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يموت. فقام من فوره فدخل المدينة واللواء معه، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله قد مات في تلك الساعة. قال: فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أُسامة إلى أن مات إلا بـ: الأمير.[1]

وروى النباطي في الصراط المستقيم: إنّ جماعة من الصحابة كرهوا إمارة أُسامة، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك فخطب وأوصى ثم دخل بيته، وجاء المسلمون

---

١. شرح نهج البلاغة: ج٦ ص٥٢.

يودّعونه فيلحقون بأُسامة، وفيهم أبو بكر وعمر، والنبيّ ﷺ يقول: أنفذوا جيش أُسامة، فلما بلغ الجرف بعثت أم أسامة ـ وهي أم أيمن ـ: إنّ النبيّ ﷺ يموت. فاضطرب القوم وامتنعو عليه ولم ينفذوا أمر رسول الله ﷺ، ثم بايعوا أبا بكر قبل دفنه، فادّعى القوم: إنّ أبا بكر لم يكن في جيش أُسامة!

فحدّث الواقدي، عن ابن أبي الزياد، عن هشام بن عروة، إنّ أباه قال: كان فيهم أبو بكر. وحدّث أيضاً مثله، عن محمد بن عبد الله بن عمر. وذكره البلاذري في تاريخه، والزهري، وهلال بن عامر، ومحمد بن إسحاق، وجابر عن الباقر عليه السلام، ومحمد بن أُسامة، عن أبيه. ونقلت الرواة إنّهما كانا في حال خلافتهما يسلّمان على أُسامة بالإمرة.

وفيه أيضاً: وفي كتاب العقد: اختصم أُسامة وابن عثمان في حائط، فافتخر ابن عثمان، فقال أُسامة: أنا أمير على أبيك وصاحبيه، أفإياي تفاخر؟!

وفيه أيضاً: ولما بعث أبو بكر إلى أُسامة يخبره بخلافته، قال: أنا ومن معي ما وليناك أمرنا، ولم يعزلني رسول الله ﷺ عنكما، وأنت وصاحبك بغير إذني رجعتما، وما خفي على النبيّ ﷺ موضع، وقد ولاني عليكما ولم يولكما. فهمّ الأوّل أن يخلع نفسه، فنهاه الثاني! فرجع أُسامة ووقف بباب المسجد وصاح: يا معاشر المسلمين، عجباً لرجل استعملني رسول الله ﷺ، فعزلني وتأمّر عليّ!!

وفيه أيضاً: أسند الجوهري في كتاب السقيفة: إنّ أبا بكر وعمر كانا فيه.[١]

وذكر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل ـ عند ذكر الاختلافات الواقعة في مرض النبيّ ﷺ ـ قال:

الخلاف الثاني: إنّه ﷺ قال: جهّزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عن

---

١. الصراط المستقيم: ج٢ ص٢٩٦ـ٢٩٨.

جيش أُسامة. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره. وأُسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتد مرض النبيصلى الله عليه وآله فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحال هذه، فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره؟ انتهى.[١]

وقال الشيخ المفيدقدس سره في كتاب الإرشاد: لما تحقق لرسول اللهصلى الله عليه وآله من دنو أجله ما كان قدم الذكر به لأمّته، فجعلصلى الله عليه وآله يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكّد وصاءتهم بالتمسّك بسنّته والإجماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الإقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد.. وساق الكلام إلى قوله: ثم أنّه عقد لأُسامة بن زيد الإمرة، وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأمّة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيهصلى الله عليه وآله على إخراج جماعة من مقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره ـ حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرئاسة، ويطمع في التقدّم على الناس وبالإمارة ـ ليستتب الأمر بعده لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقّه منازع، فعقد له الإمرة على ما ذكرناه، وجدّصلى الله عليه وآله في إخراجهم، وأمر أُسامة بالبروز عن المدينة بعسكره إلى الجرف، وحثّ الناس على الخروج إليه، والمسير معه وحذّرهم من التلوم والإبطاء عنه، فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفّي فيها..

وساق الكلام إلى قوله: واستمر المرض به أياماً وثقل، فجاء بلال عند صلاة الصبح ـ ورسول اللهصلى الله عليه وآله مغمور بالمرض ـ فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأوذي رسول اللهصلى الله عليه وآله بندائه، فقال: يصلّي بالناس بعضهم، فإني مشغول بنفسي. فقالت عائشة: مروا أبا بكر. وقالت حفصة: مروا عمر. فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله ـ حين سمع

---

١. الملل والنحل: ج١ ص٢٩.

كلامهما، ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها، وافتتانهما بذلك، ورسول اللهﷺ حي ـ: اكففن فانّكن كصويحبات يوسف. ثم قامﷺ مبادراً خوفاً من تقدّم أحد الرجلين، وقد كان أمرهما بالخروج مع أُسامة ولم يك عنده أنّهما قد تخلّفا، فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنّهما متأخّران عن أمره، فبدر لكفّ الفتنة وإزالة الشبهة، فقامﷺ وأنّه لا يستقل على الأرض من الضعف، فأخذ بيده علي بن أبي طالبؑ والفضل بن العباس، فاعتمد عليهما ورجلاه تخطّان الأرض من الضعف، فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبا بكر وقد سبق إلى المحراب، فأومأ إليه بيده أن يتأخّر عنه، فتأخّر أبو بكر، وقام رسول اللهﷺ مقامه، فقام وكبّر وابتدأ الصلاة التي كان ابتدأها أبو بكر، ولم يبن على ما مضى من فِعاله، فلما سلّم انصرف إلى منزله، واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممّن حضر المسجد من المسلمين، ثم قال: ألم آمر أنّ تنفذوا جيش أُسامة!؟

فقالوا: بلى يا رسول اللهﷺ.

قال: فلِم تأخّرتم عن أمري؟!

قال أبو بكر: إنّي خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً.

وقال عمر: يا رسول اللهﷺ، إنّي لم أخرج، لأنني لم أحبّ أن أسأل عنك الركب.

فقال النبيﷺ: نفّذوا جيش أُسامة. يكررها ثلاثا.[1]

ومن الذين ذكروا أنّ أبا بكر وعمر كانا من ضمن جيش أُسامة: ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، والطبري في تاريخه، وابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة أُسامة، وابن سعد في طبقاته، وابن هشام في سيرته، والمتقي

---

١. الإرشاد: ص٩٦ـ٩٨.

في كنز العمّال، واليعقوبي في تاريخه.[١]

غصبه فدكاً

ومن أهم القضايا التي تجلّى بها الحقّ لمن لا يعاند، هي قضية فدك وما رافقها من أحداث.

فمما لا شك فيه عند جميع المسلمين أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام طالبت بفدك وادعت ملكيتها بعد أن نحلها لها رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته. وشهد بذلك أميرالمؤمنين والحسن والحسين وأم أيمن.

غيرأنّ أبا بكر لم يقبل بذلك كلّه، بل أخذ فدكاً من فاطمة، حتى أغضبها، ولم يأبه بذلك، ضارباً بغضبها عرض الحائط، رغم قول رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني.[٢] ورغم ما أثبتته الروايات لكلا الفريقين من أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين، وأن آية التطهير قد نزلت فيها وفي بعلها وبنيها.[٣]

فهل ياتُرى يجوز لمن شهد الله بطهارته من الرجس والدناءة أن يدّعي لنفسه ما ليس له!؟

ولكن رغم ذلك استمر أبو بكر متعنّتاً إلى أن ماتت فاطمة عليها السلام وهي غاضبة

---

١. شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٥٩. وتاريخ الطبري: ج٣ ص١٨٦. وتاريخ دمشق: ج٢ ص٣٩١. وطبقات ابن سعد: ج٢ ص٤١. وسيرة ابن هشام: ج٢ ص٦٥٠. وكنز العمّال: ج٥ ص٣١٢. وتاريخ اليعقوبي: ج٣ ص٩٣.

٢. صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦١ ح٣٥١٠، مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣. سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

عليه.[١] كما تقدّم بسط الفاجعة في الجزء الأوّل، فراجع.[٢]

بيعته كانت فلتة

قد ثبت عن عمر بن الخطاب أنّه قال: كانت بيعـة أبـي بكـر فلتـة وقـى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

كما ورد ذلك في صحيح البخاري. ومسند أحمد. وتاريخ ابن كثير. وتـاريخ الطبري. وسيرة ابن هشام. والسيرة الحلبية. وكامل ابن أثير. ونهايـة ابـن الأثيـر. والرياض النضرة للطبري. والصواعق المحرقـة لإبـن حجـر. وشـرح ابـن أبـي الحديد. والتمهيد للباقلاني. وتـاج العـروس للزبيـدي،[٣] وغيرهـا. كمـا تقـدّمت الإشارة إليه في الجزء الأوّل.[٤]

ثمّ هذه ليست أوّل مـرّة يذمّـه فيهـا حميمـه وناصـره، عمـر بـن الخطـاب، فالمروي عنه، حين شفع إليه عبد الرحمان بن أبي بكر في الحُطيئة، قوله: دويبة

---

١. وفي مسند أحمد: ج١ ص٦ ح٢٥، قال: حدّثنا يعقوب، قال: حدّثنا أبي، عن صالح، قال: ابـن شـهاب: أخبرني عروة بن الزبير: إنّ عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ سـألت أبـا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورّث ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة عليها السلام فهجرت أبا بكر، فلم تـزل مهاجرته حتى توفّيت.

٢. تحت عنوان: اغتصابهم فدكاً.

٣. صحيح البخاري: ج١٠ ص٤٤، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. ومـسند أحمـد: ج١ ص٥٥. وتاريخ ابن كثير: ج٥ ص٢٤٦. وتاريخ الطبري: ج٣ ص٢٠٠. وسـيرة ابـن هـشام: ج٤ ص٣٣٨. والـسيرة الحلبيـة: ج٣ ص٣٨٨ـــ٣٩٢. والكامـل: ج٢ ص١٣٥ و٣٢٧. والنهايـة: ج٣ ص٢٣٨. والرياض النضرة: ج١ ص١٦١ و١٢٣ و١٢٤. والصواعق المحرقة: ج١ ص٣١، الفصل الأوّل: في بيان كيفيتها. وشرح نهج البلاغة: ج٢ ص١٩. والتمهيد: ص١٩٦. وتاج العروس: ج١ ص٥٦٨.

٤. تحت عنوان: ما هو المبرر.

سوء، وهو خير من أبيه.[١]

تركه للحدّ

ذُكر: إنّ أبا بكر قد ترك إقامة الحدّ والقِود على خالد بن الوليد، وقد قتل مالكَ بن نويرة وبنى بزوجته من ليلته، رغم أنّ عمر قد أشار عليه بقتل خالد بعد عزله، الأمر الذي أدّى بعمر لأن يهدد خالداً، قائلاً له: لئن وليت الأمر، لأقيدنك به!![٢]

روي: إنّ السريّة التي بعث بها خالد لما غشيت القوم تحت الليل أراعوهم[٣] فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنا لمسلمون. فقالوا: ونحن مسلمون. قلنا: فما بال السلاح!؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم، قلنا: فضعوا السلاح، فلما وضعوا رُبطوا أُسارى فأتوا بهم خالداً، فحدّث أبو قتادة خالد بن الوليد بأنّ القوم نادوا بالإسلام وإنّ لهم أماناً، فلم يلتفت خالد إلى قوله وأمر بقتلهم وقسّم سبيهم، فحلف أبو قتادة أن لا يسير تحت لواء خالد في جيش أبداً! وركب فرسه شادّاً إلى أبي بكر وأخبره بالقصّة، وقال له: إنّي نهيت خالداً عن قتله، فلم يقبل قولي، وأخذ بشهادة الأعراب الذين غرضهم الغنائم.

وإنّ عمر لما سمع ذلك تكلّم فيه عند أبي بكر، فأكثر، وقال: إنّ القصاص قد وجب عليه.

فلما أقبل خالد بن الوليد قافلاً، دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً، فلما دخل المسجد، قام

---

١. المواقف للأيجي: ج٣ ص٥٩٩، المقصد الرابع.

٢. المواقف للأيجي: ج٣ ص٦٠٠، المقصد الرابع.

٣. أي، أفزعوهم.

إليه عمر فنزع الأسهم عن رأسه، فحطّمها، ثم قال: يا عَدي نفسه! والله، لنرجمنّك بأحجارك. وخالد لا يكلّمه ولا يظن إلا أنّ رأي أبي بكر مثل رأي عمر فيه، حتى دخل إلى أبي بكر واعتذر إليه، فعذره وتجاوز عنه!![1]

والقصّة مذكورة في تفسير ابن جرير. والإصابة لإبن حجر. وتاريخ الطبري. وتاريخ ابن كثير. وتاريخ ابن عساكر. وأُسد الغابة، وغيرها.[2]

شيطانه الذي يعتريه

إنّ من بين ما اشتُهر عن أبي بكر، قوله ـ مخبراً عن نفسه ـ : فإنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت، فتنحوا عنّي.[3]

وفي بعض الروايات: قد وليت أمركم ولست بخيركم. ورد هذا في لفظ ابن الجوزي في الصفوة.[4]

وفي بعضها: إنّي وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على الحقّ فأعينوني، وإن رأيتموني على الباطل فسددوني.[5]

وفي بعضها: الا وانما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فاذا رأيتموني استقمت فاتبعوني، وإن رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أُوثر في أشعاركم وأبشاركم.[6]

---

١. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٧ ص٢٠٦.

٢. تفسير ابن جرير: ج٢ ص٥٠. والإصابة: ج٢ ص٩٩. وتاريخ الطبري: ج٢ ص٥٠١ـ٥٠٤، ذكر البطاح وخبره. وتاريخ ابن الأثير: ج٣ ص١٤٩. وتاريخ دمشق: ج٥ ص١٠٥ـ١١٢. وأُسد الغابة: ج٤ ص٢٩٥. تقدّمت الاشارة اليه في الجزء الأوّل، فراجع.

٣. المعيار والموازنة للإسكافي المعتزلي: ص٣٢١.

٤. صفوة الصفوة: ج١ ص٢٦٠، ذكر خلافة أبوبكر.

٥. طبقات ابن سعد: ج٣ ص١٥١.

٦. الإمامة والسياسة للدينوري: ج١ ص١٦، وتاريخ الطبري: ج٣ ص٢١٠.

وفي بعضها: أما والله، ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً ولوددت أنّ فيكم من يكفيني، افتظنّون أني أعمل فيكم بسنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ إذن لا أقوم بها! إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يُعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنّ لي شيطاناً يعتريني، فاذا غضبت فاجتنبوني.[١]

جهله بأحكام الدين

كما لايخفى جهل أبي بكر لكثير من أحكام الدين أظهرتها جملة من المسائل التي وردت عليه إبان حكمه، منها:

مسألة الكلالة

فقد قال أبو بكر في «الكلالة»: أقول فيها برأيي، فإن كان صوابا، فمن الله، وان يكن خطأ، فمنّي.[٢]

وفي بعض الروايات كان جوابه عن الكلالة، أن قال: إنّي سأقول فيها برأي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه.[٣]

وفي تفسير ابن كثير: عن ابن عباس، قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر بن

---

١. مجمع الزوائد للهيثمي: ج٥ ص١٨٣. والإمامة والسياسة للدينوري: ج١ ص١٦. وكنز العمّال للهندي: ج٣ ص١٢٦ و١٣٥ـ١٣٦. والرياض النضرة للطبري: ج١ ص١٦٧ و١٧٧. وتاريخ الطبري: ج٣ ص٢٠٣. وتاريخ ابن كثير: ج٥ ص٢٤٢. وتاريخ الخلفاء للعجلوني: ص٤٧ـ٤٨. وتفسير ابن جرير: ج٢ ص٤٤٠، مورد تفسير سورة النساء، الآية: ١٢. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٠٧.

٢. الدارمي في سننه: ص٣٦٥ـ٣٦٦. والسيوطي في ترتيب الجامع الكبير: ج٦ ص٢٠. وابن كثير في تفسيره: ج١ ص٢٦٠، مورد تفسير سورة النساء، الآية: ١٢.

٣. ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره: ج٦ ص٣٠، مورد تفسير سورة النساء، الآية: ١٢. وابن المنذر البيهقي في سننه الكبرى: ج٦ ص٢٢٣. والخازن في تفسيره: ج١ ص٣٦٧، مورد تفسير سورة النساء، الآية: ١٢.

الخطاب، قال: فاختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة، والقول ما قلت.[١]

مسألة ميراث الجدّة

روي: إنّ أبا بكر لم يكن يعرف ميراث الجدّة، فقال لجدّة سألته عن إرثها: لا أجد لك شيئا في كتاب الله وسنّة نبيه. فأخبره المغيرة، ومحمد بن مسلمة: إنّ الرسولﷺ أعطاها السدس. وقال: أطعموا الجدّات السدس.

وقد ذكر هذا الخبر الترمذي. والدارمي. وأبو داود. وابن ماجة. ومالك. وأحمد والبيهقي، وغيرهم.[٢]

مسألة ميراث العمّة والخالة

روي: إنّ أبا بكر وهو على فراش الموت، ودّ لو كان قد سأل رسول اللهﷺ عن ميراث العمّة والخالة. وفي أُخرى: ميراث العمّة وبنت الأخ. لما كان على حدّ زعمه أنّ في نفسه منها حاجة!![٣] ممّا يدل على أنّ الخليفة! لم يكن بعد قد علم فقه المسألة بقدر علمه بفقه السلطة وبريق الزعامة!!

قطعه يسار السارق

أورد البيهقي في سننه مدى جهل الخليفة في قطع يد السارق! إذ روى: إنّ رجلا سرق على عهد أبي بكر مقطوعة يده ورجله، فأراد أبو بكر أن يقطع

---

١. راجع تفسير ابن كثير: ج١ ص٥٩٥، مورد تفسير سورة النساء، الآية: ١٧٦.

٢. صحيح الترمذي: ج٤ ص٤٢٠ ب١٠ ح٢١٠٠ و٢١٠١، كتاب الفرائض. وسنن الدارمي: ج٢ ص٣٥٩. وسنن أبي داود: ج٢ ص١٧ ح٢٨٩٤. وسنن ابن ماجة: ج٣ ص١٦٣ ح٢٧٢٤. وموطأ مالك: ج١ ص٣٣٥. ومسند أحمد: ج٤ ص٢٢٤. وسنن البيهقي: ج٦ ص٢٣٢.

٣. راجع تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣٠ ص٤٢٢، في ترجمة عبد الله، ويقال: عتيق بن عثمان ـ أبو بكر ـ والمستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٤ ص٣٤٣، ميراث العمّة والخالة.

رجله، ويدع يده يستطيب بها ويتطهر بها وينتفع بها.[١]

حرقه الفجاءة

إنّ من بين الأُمور التي كان أبو بكر يودّ لولم يكن قد عملها، هي إحراقه للفجاءة السلمي.[٢]

ذكر الطبري في تاريخه: إنّه جاء فجاءة السلمي ـ واسمه أياس بن عبد الله ياليل ـ إلى أبي بكر، فقال له: أعنّي بسلاح أُقاتل أهل الردّة. أعطاه سلاحاً وأمره أمره، فخالف إلى المسلمين وخرج حتّى نزل بالجواء وبعث نجبة وأمره بالمسلمين، فشنّ الغارة على كلّ مسلم في سليم وعامر وهوازن، فبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إلى طُريفة بن حاشي فأمره أن يجمع له ويسير إليه، وبعث إليه عبد الله بن قس الحاشي عوناً، فنهض إليه وطلباه، فلاذ منهما، ثمّ لقياه على الجواء، فاقتتلوا، فقُتل نجبة وهرب الفجاءة، فلحقه طرفة فأسره، ثمّ بعث به إلى أبي بكر، فلمّا قدم، أمر أبو بكر أن يوقد له ناراً في مصلّى المدينة، ثمّ رمي به فيها مقموطاً. أي، مشدود اليدين والرجلين....[٣]

وفي ذلك ندم قائلاً: إنّي لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن؛ وددت لو أنّي تركتهن... ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي.[٤]

---

١. سنن البيهقي: ج٨ ص٢٧٣ـ٢٧٤.

٢. راجع تاريخ الطبري: ج٢ ص٦١٩، ذكر أسماء قضاته ـ أبو بكر ـ وعمّاله على الصدقات. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٣٧، أيام أبو بكر. وتاريخ دمشق لإبن عساكر: ج٣٠ ص٤١٨، ترجمة عبد الله ـ عتيق بن عثمان ـ. وغيرها من المصادر التاريخية، فراجع.

٣. تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٩٢، ذكر ردّة هوازن وسليم وعامر.

٤. راجع تاريخ الطبري: ج٢ ص٦١٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣٠ ص٤١٩، وكنز العمّال للهندي: ج٥ ص٨٥٢ رقم١٤١١٣. وأبو بكر الصدّيق لمحمّد رضا: ج١ ص١٨٠، إعتراف أبو بكر.

عمر بن الخطّاب

رزيّة الخميس

ففي الوقت الذي أراد فيه النبيﷺ أن يكتب لأمّته كتاباً لئلا يضلّوا بعده ولا يختلفوا، أمر بدواة وكتف أو نحو ذلك، فمنع عمر، معترضاً، بذريعة ما يصدر عن رسول اللهﷺ من تصرّفات، إنّما هي لغلبة المرض عليه، أوما يؤدّي إلى معنى الهجر والهذيان!! رغم علمه بما وصفه الله سبحانه في محكم كتابه، بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

فكثر اختلاف القوم وارتفعت أصواتهم عند رسول اللهﷺ، فقال بعضهم: احضروا ما طلب. وقال بعضهم: القول ما قال عمر. وكأنّهم نسوا قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[2].

روى البخاري في صحيحه، قال: حدّثنا يحيى بن سليمان، قال: حدّثني ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: لما اشتدّ بالنبيﷺ وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر: إنّ النبيﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، قالﷺ: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول اللهﷺ وبين كتابه.[3]

وفي مسند أحمد: حدّثنا وهب بن جرير، حدّثنا أبي، قال: سمعت يونس

---

1. سورة النجم، الآيات: ٣ـ٤.
2. سورة الأحزاب، الآية: ٣٦
3. صحيح البخاري: ج١ ص٣٦، باب كتابة العلم.

يحدّث، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة، قال: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده. وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال عمر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. قال: فاختلف أهل البيت، فاختصموا فمنهم من يقول: يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله أو قال: قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله. ومنهم من يقول: ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف، وغم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قوموا عني. فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.[1]

أقول: فالمتتبع لنضال ابن حجر ومن لفّ لفّه من الذين لاتهمّهم الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقدر مايهمّهم تبييض همجية إمامهم عمر بن الخطاب في سوء رأيه، وفساد معتقده، سيجد أنّه قال عند روايته لتلك الرزية: وإنّما خاف عمر أن يكون ما يكتبه في حال غلبة المرض، فيجد بذلك المنافقون سبيلاً إلى الطعن في ذلك المكتوب.[2]

وكأنّ بزعمهم هذا أنّ لا علم لرسول الله صلى الله عليه وآله بحال المنافقين، وبما يضمرون، ولا في اقتضاء المصلحة، وأين ومتى تكون، فعجَل ـ معاذ الله ـ بذلك ليكون لإبن حنتمة القدح المُعلّى، وإن كان على حساب نفسه صلى الله عليه وآله، جاهلون، بل متجاهلون ما يقتضي زعمهم من تناقض ومحكم التنزيل، المصرّح بعدم نطقه صلى الله عليه وآله عن الهوى، إن هو الا وحي يوحى، سواء في يقضته ونومه، أو في عافيته ومرضه، بل في كل الأحوال والمآل، فضلاً عن ملازمة اصطفائه صلى الله عليه وآله من

---

١. مسند أحمد: ج١ ص٣٢٥، مسند عبد الله بن عباس. وصحيح مسلم: ج٥ ص٧٦، باب ترك الوصيّة لمن يوصي به.

٢. انظر فتح الباري: ج٨ ص١٠١، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته.

قبل الباري سبحانه للزوم استحكام المصلحة لبني البشر عموماً.

تخلّفه عن جيش أُسامة

ولا خلاف في أنّ عمر بن الخطاب ـ كصنوه أبي بكر ـ كان من ضمن أفـراد جيش أُسامة، وقد لعن رسول اللهﷺ المتخلّف عنه، وسبق تفصيل الكـلام فـي مطاعن أبي بكر، فراجع.[١]

إنكاره موت رسول اللهﷺ

إنّ عمر بن الخطاب أنكر موت رسول اللهﷺ، فكأنّه لم يعلم بأنّ كـل نفـس ذائقة الموت، وأنّه يجوز الموت على رسول اللهﷺ، فقال: والله، ما مات رسـول الله حتى يقطع أيدي رجال وأرجلهم. فقال له أبو بكر: أما سمعت قـول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[٣]، قال عمر: فلما سمعت ذلـك أيقنـت بوفاتـه وسقطت إلى الأرض، وعلمت أنّه قد مات.

وذكر ابن سعد في طبقاته: إنّه لما قرء أبو بكر الآية على عمـر، فقـال عمـر: هذا في كتاب الله!؟ قال: نعم....[٤]

وذكر ابن الأثير في النهاية: إنّ عمر قال: إنّ رسول اللهﷺ لـم يمـت، ولكنّـه صُعق كما صُعق موسى، ومنعهم من دفنه.[٥]

---

١. راجع ما ذكرناه آنفاً في ما ورد في أبي بكر.

٢. سورة الزمر، الآية: ٣٠.

٣. سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

٤. طبقات ابن سعد: ج٢ ص٥٤. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص٤٠ـ٤١.

٥. النهاية: ج١ ص٤٩ـ٥٠.

وذكر البخاري في صحيحه: حدّثنا إسماعيل بن عبد الله، حدّثنا سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مات وأبو بكر بالسنح ـ قال إسماعيل: يعني، بالعالية ـ فقام عمر يقول: والله، ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: وقال عمر: والله، ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنّه الله، فليقطّعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبّله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيّا وميّتا، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج، فقال: أيّها الحالف! على رسلك. فلما تكلّم أبو بكر، جلس عمر.[1]

تحريمه للمتعتين

لقد ثبت أنّ عمر بن الخطّاب قد حرّم المتعتين: متعة النساء، ومتعةالحجّ.

ففي الوقت الذي لم يكن لأحد من المسلمين أن يجرأ، بل حتى يفكّر أن يشرّع في الأحكام أو ينسخ ما أمر به سيّد الأنام صلى الله عليه وآله ويجعل اتّباع نفسه أولى من اتّباع من لا ينطق عن الهوى. تصدّى عمربن الخطّاب لأن يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما.[2] وكأنّه لايعلم أنّ الله سبحانه قد أحكمهما في منيف خطابه، وسلّمت لحكمه جميع عباده.

روى أحمد في مسنده عن ابن عباس، إنّه قال: تمتّع النبي. صلى الله عليه وآله قال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة! فقال ابن عباس: ما يقول عُريّة!؟ قال: يقول: نهى أبو بكر وعمرعن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول:

---

١. صحيح البخاري: ج٤ ص١٩٤، باب مناقب المهاجرين وفضائلهم.

٢. كنز العمّال للهندي: ج٨ ص٢٩٣ـ٢٩٤. وتفسير القرطبي: ج٢ ص٣٧.

قال النبيﷺ، ويقول: نهى أبو بكر وعمر!![1]

وروى ابن القيم، إنّه قال: قال عبد الله بن عمر لمن سأله عنها، وقال له: إنّ أباك نهى عنها: أأمر رسول اللهﷺ أحقّ أن يُتّبع أو أمر أبي!؟

وقال ابن عباس لمن كان يعارضه فيها بأبي بكر وعمر: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء.[2]

أقول: وما أمر عروة بن الزبير في اتّباعه لسنّة عمر وتقديمها على محكم التنزيل وسنّة رسول اللهﷺ إلا ما كان من ابن عباس في قوله: أوّل مجمر سطع في المتعة، مجمر آل الزبير.[3]

فضلاً عن خبر سعيد بن جبير في قوله: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب ـ وهو يُعرّض بابن عباس، يُعيب عليه قوله في المتعة ـ فقال ابن عباس: يسأل أُمّه إن كان صادقاً. فسألها، فقالت: صدق ابن عباس، قد كان ذلك. فقال ابن عباس: لو شئت لسمّيت رجالاً ولدوا فيها ـ يعني، في المتعة ـ.[4]

كما أنّه لاخلاف بين المسلمين في أنّ قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[5]، إنّما جاء ليؤكّد أصل مشروعية متعة النساء، والعمل بمقتضاه، ولم يأتي على نسخها شيء من الكتاب أو السنّة المطهّرة، كما عليه أكثر التفاسير وأصحّها، كـ: تفسير ابن حبّان. وتفسير الطبري. وتفسير البغوي. وتفسير

---

١. مسند أحمد: ج١ ص٣٣٧، مسند عبد الله بن عباس. وأيضاً رواه الذهبي في تذكرة الحفّاظ: ج٣ ص٨٣٧، تحت الرقم ٨١٧ ضمن الطبقة الحادية عشر.

٢. زاد المعاد لإبن القيّم: ج٢ ص١٧٦، عذر من ادّعى اختصاص الصحابة بالنسخ.

٣. أنظر جمهرة خطب العرب لزكي صفوت: ج٢ ص١٢٧. والعقد الفريد للأندلسي: ج٢ ص١٣٩.

٤. شرح معاني الآثار لإبن سلمة الأزدي: ج٣ ص٢٤، باب نكاح المتعة.

٥. سورة النساء، الآية: ٢٤.

الزمخشري. وتفسير القرطبي. وأحكام القرآن للقاضي. وتفسير الخازن. وتفسير البيضاوي. وتفسير ابن كثير. وتفسير السيوطي.[١]

قال الفخر الرازي في تفسيره: اتّفقت الأمّة على أنها كانت مباحة في ابتداء الإسلام... وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه لما قدم مكّة في عمرته، تزيّنت نساء مكّة، فشكا أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله طول العزبة. فقال: استمتعوا من هذه النساء. وقد صرّح بهذا الإتفاق كثير من فقهاء الاسلام.[٢]

وروى كل من البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن قيس، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليس معنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخّص لنا أن نستمتع، فكان أحدنا ينكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٣].[٤]

وقد روى البغوي هذا الخبر في المشكاة، وعدّه من المتّفق عليه.[٥]

وروى البخاري، عن سلمة بن الأكوع، وعن جابر بن عبد الله، قالا: كنّا في

---

١. تفسير ابن حبان: ج٣ ص٢١٨. وتفسير الطبري: ج٥ ص٩. وتفسر البغوي: ج١ ص٤٢٣. وتفسير الزمخشري: ج١ ص٣٦٠. وتفسير القرطبي: ج٥ ص١٣٠. وأحكام القرآن: ج١ ص١٦٢. وتفسير الخازن: ج١ ص٣٥٧. وتفسير البيضاوي: ج١ ص٢٦٩. وتفسير ابن كثير، ج١ ص٤٧٤. وتفسير السيوطي: ج٢ ص١٤٠. لجميع المصادر هو مورد تفسير سورة النساء، الآية: ٢٤.

٢. التفسير الكبير: ج١٠ ص٤٩، وفيه: اتفقوا، بدلاً من: اتفقت الأمّة.

٣. سورة المائدة، الآية: ٨٧.

٤. صحيح البخاري: ج٨ ص٢٠٧، في تفسير سورة المائدة، الآية: ٨٧. صحيح مسلم: ج٤ ص١٣٠، باب نكاح المتعة. وروي أيضاً في مسند أحمد بن حنبل: ج١ ص٤٢٠. ومسند الشافي: ص٩٤، وفيه قال: ثم رخّص لنا أن ننكح المرأة إلى أجل مسمّى.

٥. مشكاة المصابيح: ج٣ ص٢٧٣

جيش، فأتانا رسول اللهﷺ، فقال: إنّه قد أذن لكم ان تستمتعوا، فاستمتعوا.[١]

وفي صحيح مسلم: إنّ رسول اللهﷺ أتانا، فأذن لنا في المتعة.

وفيه أيضاً: عن عطاء، قال: قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه في منزله، فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر وعمر.

وفيه أيضاً: عن أبي الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر وعمر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث.

وفيه أيضاً: عن أبي نضرة، قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت، فقال: إنّ ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول اللهﷺ ثم نهانا عمر عنهما. فلم نعد لهما.[٢]

وفيه أيضاً: عن قتادة، عن أبي نضرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله، فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول اللهﷺ، فلما قام عمر، قال: إنّ الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، وإنّ القرآن قد نزل منازله، فأتمّوا الحجّ والعمرة لله كما أمركم الله عزّ وجلّ، وابتوا نكاح هذه النساء، فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة.[٣]

---

١. صحيح البخاري: ج٩ ص١٤٨ و١٤٩، باب النهي عن نكاح المتعة آخراً.

٢. صحيح مسلم: ج٢ ص١٠٢٢، باب نكاح المتعة.

٣. صحيح مسلم: ج٢ ص٨٨٥، باب في المتعة بالحج والعمرة. ونقله البيهقي في سننه: ج٧ ص٢٠٦، قال: أخرجه مسلم في الصحيح من وجه آخر عن همام، وفيه: عن عبد الله بن عمر، إنّه سئل عن متعة النساء؟ فقال: حرام، أما أنّ عمر بن الخطاب لو أخذ فيها أحداً لرجمه بالحجارة.

وأمّا متعة الحجّ: فلا خلاف بين المسلمين في شرعيتها، وبقاء حكمها، واختلف فقهاء العامّة في أنّه هل هي أفضل أنواع الحجّ، أم لا؟ فقال الشافعي في أحد قوليه، ومالك: إنّ التمتع أفضل. وقال الشافعي في قوله الآخر: إنّ أفضلها الإفراد، ثم التمتع، ثم القِران.

ويدلّ على شرعيتها قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا استَيسَرَ مِنَ الهَدي﴾[1].

روى البخاري في صحيحه: بسنده عن عمران بن حصين، قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينزل قرآن يُحرّمه، ولم ينه عنه حتى مات قال رجل برأيه ما شاء. قال محمد: يقال: إنّه عمر.[2]

وفيه أيضاً: عن شعبة، عن الحكم، عن علي بن حسين، عن مروان بن الحكم، قال: شهدت عثمان وعلياً عليه السلام، عثمان ينهى عن المتعة، وأن يُجمع بينهما! فلم رأى علي عليه السلام أهلّ بهما: لبيك بعمرة وحجّة، قال: ما كنت لأدع سنّة النبي صلى الله عليه وآله لقول أحد.

وفيه أيضاً: عن سعيد بن المسيّب، قال: اختلف علي وعثمان وهما بعسفان في المتعة! فقال علي عليه السلام: ما تريد إلى أن تنهى عن أمر فعله النبي صلى الله عليه وآله! فلما رأى ذلك علي عليه السلام: أهلّ بهما جميعا.[3]

وفيه أيضاً: عن جابر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله أهلّ وأصحابه بالحجّ وليس مع أحد منهم هدي غير النبي صلى الله عليه وآله وطلحة، وكان علي عليه السلام قدم من اليمن ومعه الهدي، فقال: أهللت بما أهلّ به رسول الله صلى الله عليه وآله. وإنّ النبي أذن لأصحابه أنّ يجعلوها عمرة يطوفوا بالبيت ثم يقصروا ويحلّوا الاّ من معه الهدي، فقالوا: انطلق إلى منى

١. سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

٢. صحيح البخاري: ج٥ ص١٥٨، تفسير القرآن، مورد الآية: ١٩٦ من سورة البقرة.

٣. صحيح البخاري: ج٢ ص١٥١ و ١٨٠، باب التمتّع الإقران والإفراد.. ..

وذكر أحدنا يقطر؟ فبلغ النبي ﷺ فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أنّ معي الهدي لأحللت... وساق الحديث إلى قوله: وإنّ سراقة بن مالك بن جعثم لقي النبي ﷺ وهو بالعقبة وهو يرميها، فقال: ألكم هذه خاصّة يا رسول الله؟ فقال: للأبدّ.[1]

وروى مسلم: عن ابراهيم، عن أبي موسى، أنّه كان يفتي بالمتعة، فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك، فإنك لا تدري ما أحدث أميرالمؤمنين في النسك بعد. حتى لقيه بعد فسأله. فقال عمر: قد علمت أنّ النبي ﷺ قد فعله هو وأصحابه، ولكن كرهت أن يظلّوا معرسين بهن في الأراك ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم.[2]

ومثله في: سنن النسّائي، وسنن ابن ماجة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي.[3]

وفي سنن الترمذي: عن سالم بن عبد الله، إنّه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحجّ، فقال عبد الله بن عمر: أرأيت إن كان أبي ينهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ، أمر أبي يتّبع أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ. فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ.[4]

وهناك روايات كثيرة جداً في مصادر أهل السنّة وكتبهم وتفاسيرهم نقلوها عن عائشة وابن عباس وعمران وغيرهم من الصحابة والتابعين، تشهد بجواز

---

١. صحيح البخاري: ج٢ ص٢٠٠، باب طواف الوداع.

٢. صحيح مسلم: ج٤ ص٤٥، باب جواز التمتع.

٣. سنن النسّائي: ج٥ ص١٥٣، كتاب الحج، باب التمتع. وسنن ابن ماجة: ج٢ ص٢٢٩، كتاب المناسك. ومسند أحمد: ج١ ص٤٩ـ٥٠. وسنن البيهقي: ج٥ ص٢٠.

٤. سنن الترمذي: ج١ ص١٥٧ ح٨٢٤، كتاب الحجّ.

متعة الحجّ، وعدم نسخها بشيء من الكتاب أو السنّة المطهّرة.

وقد ذكر الشهيد الثاني في شرح اللمعة قال: وجدت في بعض كتب الجمهور أنّ رجلا كان يتمتع بالنساء، فقيل له: عمّن أخذت حلّها؟ قال: عن عمر! قيل له: كيف ذلك وعمر هو الذي نهى عنها وعاقب عليها؟ فقال: لقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما: متعة الحجّ ومتعة النساء. فأنا أقبل روايته في شرعيتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أقبل نهيه من قبل نفسه.[1]

تعطيله حدود الله

ذكر المؤرّخون: إنّ عمر عطّل حدّ الله في المغيرة بن شعبة لما شهدوا عليه بالزنا، بعد أن أرهب الشاهد الرابع بالامتناع من الشهادة، فلما حصل على مراده عاد إلى الشهود وفضحهم وحدّهم! فتجنّب أن يفضح المغيرة، وفضح الثلاثة، وعطّل حدّ الله، ووضعه في غير محلّه.

روى الطبري في تاريخه: عن محمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه، قال: كان يختلف إلى أم جميل ـ امرأة من بني هلال، وكان لها زوج هلك قبل ذلك من ثقيف يقال له: الحجّاج بن عبيد ـ فكان يدخل عليها، فبلغ ذلك أهل البصرة، فاعظموه، فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها، وقد وضعوا عليهما الرصد، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعاً، فكشفوا الستر، وقد واقعها، فكتب أبو بكر بذلك إلى عمر.. القصّة.[2]

ورواه ابن أبي الحديد عن الطبري، ثم قال بعدما أورد هذا الخبر وغيره: فهذه

---

١. شرح اللمعة: ج٥ ص٢٤٥.

٢. راجع تاريخ الطبري: ج٣ ص١٦٨.

الأخبار كما تراها تدلّ متأملها على أنّ الرجل زنى بالمرأة لا محالة، وكل كتب التواريخ والسير يشهد بذلك.[١]

وفي الأغاني لأبي فرج يذكر في نهاية القصّة: قال عمر: الله أكبر، قم يا مغيرة إليهم فاضربهم، فقام المغيرة فضربهم ثمانين... فلما ضربوا الحدّ قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذي أخزاكم. فقال عمر: اُسكت أخزى الله مكاناً رأوك فيه.

وكان علي عليه السلام يقول بعد ذلك: إن ظفرت بالمغيرة لاتبعته أحجاره.[٢]

مسألة صداق النساء

ورد أنّ عمر بن الخطاب منع من المغالات في صداق النساء، وقال: من غالى في مهر ابنته أجعله في بيت مال المسلمين!! لشبهة أنّه رأى النبي صلى الله عليه وآله زوج فاطمة عليها السلام بخمسمائة درهم.

فقامت إليه امرأة وقالت: يعطينا الله وتحرمنا! أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾[٣]. فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر! وفي رواية: فأطرق عمر، ثمّ قال: كل الناس أفقه منك ياعمر! وفي أُخرى: كل الناس أفقه من عمر، حتى ربّات الحجال. وكذلك أُخرى: قال عمر: امرأة خاصمت عمر، فخصمته!

والقصّة مذكورة في سيرة عمر لإبن الجوزي. ومجمع الزوائد للهيثمي. والأحكام لإبن حزم. وكشف الخفاء للعجلوني. وتفسير ابن كثير. والدر المنثور

---

١. شرح نهج البلاغة: ج١٢ ص٢٣١ـ٢٣٩.

٢. الأغاني: ج١٤ ص١٤٧.

٣. سورة النساء، الآية: ٢٠.

للسيوطي. وتفسير القرطبي. وتفسير الخازن.[1]

وفي شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد، قال: ومرّة قال: لا يبلغني أنّ امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي صلى الله عليه وآله إلا ارتجعت ذلك منها! فقالت له امرأة: ما جعل الله ذلك لك، إنّه تعالى قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾.

فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر، حتى ربّات الحجال، لا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضلّت إمامكم ففضلته!![2]

تجسّسه على المسلمين

روى ابن أبي الحديد وغيره: إنّ عمر كان يعسّ ليلة فمر بدار سمع فيها صوتا، فارتاب وتسوّر، فوجد رجلاً عنده امرأة وزقّ خمر، فقال: يا عدو الله، أظننت أنّ الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: لا تعجل يا أميرالمؤمنين، إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث:

قال الله: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾[3]، وتجسّست.

وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[4]، وقد تسوّرت.

وقال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا﴾[5]، وما سلّمت.

---

١. سيرة عمر: ص١٢٩. ومجمع الزوائد: ج٤ ص٢٨٤. والأحكام: ج٢ ص٢٣٧، فصل في بيان سبب الإختلاف الواقع بين الأئمة في صدر هذه الأمّة. وكشف الخفاء: ج٢ ص٩٥٥، مورد حرف الكاف. ومورد تفسير سورة النساء، الآية: ٢٠ لكل من تفسير ابن كثير: ج١٠ ص٤٦٧. والدر المنثور: ج٢ ص١٣٣. وتفسير القرطبي: ج٥ ص٩٩. وتفسير الخازن: ج١ ص٣٥٣.

٢. شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٨٢.

٣. سورة الحجرات، الآية: ١٢.

٤. سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

٥. سورة النور، الآية: ٦١.

قال: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم والله، لا أعود. فقال: اذهب فقد عفوت عنك.[1]

وروي عن أبي قلابة: إنّ عمر بن الخطاب حدّث أنّ أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو وأصحابه، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فاذا ليس عنده إلا رجل! فقال أبومحجن: يا أميرالمؤمنين! إنّ هذا لا يحلّ لك، قد نهاك الله عن التجسّس. فقال عمر: ما يقول هذا؟ فقال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم: صدق. قال: فخرج عمر وتركه.[2]

أقول: وفي رواية الصنعاني، بعد استنكار عمر لقول أبي محجن، بقوله: ما يقول هذا؟ وجواب زيد، وابن الأرقم له بـ : صدق. هناك تتمّة لجوابهما، فيها عبارة: هذا التجسّس.[3] والتي لها دلالة مضافة إلى ما لاح من قوله: ما يقول هذا؟ تكشف أنّ عمر لم يكن يميّز بين التجسّس والمصلحة في حفظ أمن الرعيّة، كما هو ديدنه في كثير من الأحكام التي لها صلب أو مساس بسياسة البلاد، وحكم العباد!! وما كان من أمر مواليه المرتزقة في حذفهم لهذه العبارة، أظهره

---

١. راجع شرح النهج لإبن أبي الحديد: ج١٢ ص١٧ـ١٨.
أقول: وأورده أيضا محبّ الدين في الرياض النضرة: ج٢ ص٤٦. والمتّقي الهندي في كنز العمّال: ج٣ ص٨٠٨ رقم٨٨٢٧. والغزالي في إحياء العلوم: ج٢ ص٢٠١. وابن الأثير في الكامل في التاريخ: ج٤ ص٢٨. وزيني دحلان في الفتوحات الإسلامية: ج٢ ص٤٧٦ـ٤٧٧. والسيوطي في الدر المنثور: ج٦ ص٩٣، مورد تفسير سورة الحجرات، الآية: ١٢.
كما روى الطبري: إنّه ـ عمر ـ قال لأحدهم: يا فلان! كنت وأصحابك البارحة على شراب؟! قال: وما علمك يا أميرالمؤمنين؟! قال: شيء شهدته! فقال: ألم ينهك الله عن التجسّس؟! تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٧٤، ذكر بعض سيره.

٢. مصنّف عبد الرزاق: ج١٠ ص٢٣٢ رقم١٨٩٤٤. وكنز العمّال للهندي: ج٣ ص٦٩١ رقم ٨٤٨٠. وتفسير القرطبي: ج١٦ ص٣٣٣، مورد تفسير سورة الحجرات، الآية: ١٢.

٣. أنظر تفسير الصنعاني: ج٣ ص٢٣٣، مورد تفسير سورة الحجرات، الآية: ١٢.

انفلات المداد من بين أنامل الصنعاني، وأعجزه غياب الماحي، فصار إلى إظهار سَوءة خليفته أحوج من غيابه للجاه!!

ويؤيد ماذهبنا إليه من غياب معرفة عمر بمصاديق التجسّس، ما رواه السيوطي في الدر المنثور، قال:

إنّ عمر بن الخطّاب فقد رجلاً من أصحابه، فقال لإبن عوف: انطلق بنا إلى منزل فلان، فننظر. فأتيا منزله، فوجدوا بابه مفتوحة، وهو جالس وامرأته تصبّ له في إناء فتناوله إياه، فقال عمر لإبن عوف: هذا الذي شغله عنّا. فقال ابن عوف لعمر: وما يدريك ما في الإناء؟ فقال عمر: إنّا نخاف أن يكون هذا التجسّس! قال: بل هو التجسّس. قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لاتُعلمه بما اطّلعت عليه من أمره، ولايكونن في نفسك إلاخيراً. ثمّ انصرفا.[1]

وخرج مع عمر بن الخطاب أيضاً عبد الرحمن بن عوف، فتبيّنت لهما نار فأتيا واستأذنا، ففُتح الباب، فدخلا، فاذا رجل وامرأة تغني، وعلى يد الرجل قدح.

فقال عمر: مَن هذه منك؟

قال: امرأتي.

قال: وما في هذا القدح؟

قال: الماء.

فقال للمرأة: ما الذي تغنين؟

قالت: أقول:

---

١. تفسير الدر المنثور: ج٦ ص٩٣، مورد تفسير سورة الحجرات، الآية: ١٢.

تطاول هذا الليل واسوّد جانبه وأرقني إلا حبيب ألاعبه
فوالله لولا خشية الله والتقى لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن عقلي والهواء يكفني وأكرم بعلي أن تنال مراكبه

فقال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أميرالمؤمنين! قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

فقال عمر: صدقت. وانصرف.[١]

تركه الصلاة لفقد الماء

روى البخاري: عن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إنّي أجنبت، فلم أصب الماء؟

فقال عمر: لا تصلّ.

فقال عمّار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنّا كنّا في سفر أنا وأنت، فأمّا أنت فلم تصلّ، وأما أنا فتمعكت فصلّيت، فذكرت للنبيﷺ فقال: إنّما كان يكفيك هكذا: فضرب النبيﷺ بكفّيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفّيه.[٢]

وقال ابن الأثير في جامع الأصول: وفي رواية أبي داود، إنّه قال: كنت عند عمر فجاءه رجل، فقال: إنا نكون بالمكان الشهر والشهرين. فقال عمر: أمّا أنا فلم أكن أصلّي حتى أجد الماء....[٣]

وكأنّه كعادته لم يسمع بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[٤]!!

---

١. تفسير القرطبي: ج١٦ ص٣٣٤، مورد تفسير سورة الحجرات، الآية: ١٢.
٢. صحيح البخاري: ج١ ص٩٢ـ٩٣، كتاب الطهارة: باب التيمم، هل ينفخ فيهما.
٣. جامع الأصول: ج٧ ص٢٥٥ـ٢٥٦، ذيل الحديث: ٥٢٩٠.
٤. سورة المائدة، الآية: ٦.

أمره برجم الحامل

روى أصحاب المتون والمسانيد: إنّ عمر بن الخطاب أمر برجم امرأة حامل، حتى نبهّه معاذ، وقال: إنّ يكن لك سبيل عليها، فلا سبيل لك على ما في بطنها. فرجع عن حكمه، وقال: لولا معاذ لهلك عمر. والقصّة مذكورة في سنن البيهقي، وكنز العمّال للهندي، وابن حجر في كتابيه الإصابة، وفتح الباري.[١]

وفي بعض الروايات: إنّ علياً أميرالمؤمنين عليه السلام: قال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها عمر أن تُرجم! فردّها علي، فقال: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟ قال علي عليه السلام: فلعلك انتهرتها او أخفتها؟ قال: قد كان ذلك. قال: أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء. إنّه مَن قيّدت أو حبست أو تهددت، فلا إقرار له. فخلّى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر.[٢]

أمره برجم المجنونة

كما أمر عمر بن الخطاب برجم المجنونة، فنبهّه أميرالمؤمنين علي عليه السلام وقال: إنّ القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق. فقال عمر: لولا علي لهلك عمر.

رواه أبو داود في سننه بعدّة طرق، وابن ماجة في سننه، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في سننه، والطبري في الرياض النضرة، والقسطلاني في

---

١. سنن البيهقي: ج٧ ص٤٤٣. وكنز العمّال: ج٧ ص٨٢، عن ابن أبي شيبة. والإصابة: ج٣ ص٤٢٧. وفتح الباري: ج١٢ ص١٢٠.

٢. المناقب للخوارزمي: ص٨١ رقم٦٥، الفصل السابع: في بيان غزارة علمه، وأنّه أقضى الأصحاب.
أقول: ورواه الطبري في كل من الرياض النضرة: ج٢ ص١٩٦. وذخائر العقبى: ص٨٠. وكذلك رواه الفخر الرازي في الأربعين: ص٤٦٦.

إرشاد الساري، وغيرهم....[1]

هذا وقد ثبت قول عمر في مختلف القضايا: إنّه كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسنعليه السلام.[2]

سوء اعتقاده بالحجر الأسود

وممّا ذكر عن عمر: عدم اعتقاده بالحجر الأسود، وأنّه كان يرى عدم نفعه وضرره، وما كان التماس الحجيج له سوى تعبداً لما رأوه أوسمعوه من التماس النبيصلى الله عليه وآله له!

ففي شرح النهج: عن أبي سعيد الخدري، قال: حججنا مع عمر أوّل حجّة حجّها في خلافته، فلما دخل المسجد الحرام، دنى من الحجر الأسود فقبّله واستلمه، فقال: إني لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله قبّلك واستلمك لما قبّلتك ولا استلمتك.

فقال له عليعليه السلام: بلى، إنّه ليضرّ وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أنّ الذي أقول لك كما أقول، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[3]، فلما أشهدهم وأقروا له بأنّه الربّعزّ وجلّ، وإنّهم العبيد، كتب ميثاقه في رقّ ثم ألقمه هذا الحجر، وإنّ له

---

١. سنن أبي داود: ج٢ ص٢٢٧. وسنن ابن ماجة: ج٢ ص٢٢٧. والمستدرك: ج٢ ص٥٩، وج٤ ص٣٨٩. وسنن البيهقي: ج٨ ص٢٦٤. والرياض النضرة للطبري: ج٢ ص١٩٦. وإرشاد الساري: ج١٠ ص٩. وغيرهم كابن الجوزي في تذكرته: ص٥٧. وابن حجر في فتح الباري: ج١٢ ص١٠١. والعيني في عمدة القاري: ج١١ ص١٥١.

٢. راجع الرياض النضرة للطبري: ج٢ ص١٩٧. والإستيعاب للعسقلاني: ج٣ ص٣٩. وذخائر العقبى للطبري: ص٨٢. وأسد الغابة لإبن الأثير: ج٤ ص٢٢. والإصابة للعسقلاني: ج٢ ص٥٠٩.

٣. سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

لعينين ولساناً وشفتين، يشهد بالموافاة، فهو أمين الله عزّ وجلّ في هذا المكان. فقال عمر: لا أبقاني الله بأرض لستَ بها يا أبا الحسن.[١]

كما روى مثل ذلك كل من البخاري في صحيحه، والترمذي في صحيحه، والنسّائي في سننه، وأبو داود في سننه، وأحمد في مسنده، والبيهقي في سننه، والغزالي في إحياء العلوم، بألفاظ متقاربة.[٢]

جهله لمعنى الأب

قال ابن حجر في شرحه: ذكر الحميدي عن ثابت، عن أنس: إنّ عمر قرأ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٣]. فقال: ما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا، أو ما أمرنا بهذا.

وفيه أيضاً: إنّ رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾. ما الأب؟ فقال عمر: نهينا عن التعمّق والتكلّف.

وفيه أيضاً: عن أنس، قال: كنّا عند عمر، وعليه قميص في ظهره أربع رقاع، يقرأ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾. فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم قال: مه. نُهينا عن التكلّف.

وفيه أيضاً: عن عبد الرحمن بن زيد: إنّ رجلاً سأل عمر عن ﴿فَاكِهَةً وَأَبًّا﴾،

---

١. شرح نهج البلاغة: ج١٢ ص١٠٠ـ١٠١.

٢. راجع صحيح البخاري: ج٢ ص٥٧٩، باب ما ذُكر في الحجر الأسود. وصحيح الترمذي: ج٢ ص١٦٣. وسنن النسّائي: ج٢ ص٣٧، كيف تُقبل الحجر الأسود. وسنن أبي داود: ج١ ص٤١٩، باب تقبيل الحجر. ومسند أحمد: ج١ ص١٦ و٢٦ و٤٢، مسند عمر بن الخطّاب. وسنن البيهقي: ج٥ ص٧٤، باب تقبيل الحجر. وإحياء العلوم: ج١ ص٢٤١، الفصل الأوّل: في فضائل الحج، وفضيلة البيت ومكّة والمدينة.

٣. سورة عبس، الآية: ٣١.

فلما رآهم عمر يقولون، أقبل عليهم بالدرّة.[١]

جهله بإملاص المرأة

روى البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وصاحب جامع الأصول، بأسانيدهم، عن المغيرة بن شعبة، قال: سئل عمر بن الخطاب عن إملاص المرأة ـ وهي التي تضرب بطنها، فيُلقى جنينها ـ؟ فقال: أيكم سمع النبيﷺ فيه شيئا؟[٢]

موقفه من حُليّ الكعبة

روى ابن أبي الحديد في شرحه: إنّه ذُكر عند عمر بن الخطّاب حُلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذت فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهمّ عمر بذلك، وسأل عنه أميرالمؤمنينعليه السلام فقال:... وكان حُلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حالها، ولم يتركها نسياناً، ولم يخفَ عنه مكاناً، فأقِّره حيث أقّره الله ورسوله. فقال عمر: لولاك لافتضحنا. وترك الحُلي بحاله.[٣]

---

١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج١٣ ص٢٣٠.
كذلك يمكن أن تراجع المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٢ ص٥١٤. والنهاية لإبن الأثير: ج١ ص١٠. وكنز العمّال للهندي: ج١ ص٢٢٧. ومورد تفسير سورة عبس، الآية: ٣١ لكل من تفسير الطبري: ج٣٠ ص٣٨. والكشّاف للزمخشري: ج٣ ص٢٥٣. وتفسير ابن كثير: ج٤ ص٤٧٣. وغيرهم.

٢. راجع صحيح البخاري: ج٨ ص١٥٠، باب ما جاء في اجتهاد القضاة.. ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم. وصحيح مسلم: ج٥ ص١١١، كتاب القسامة، باب ديّة الجنين. وسنن أبي داود: ج٢ ص٣٨٣، كتاب الديّات، باب ديّة الجنين. وسنن النسّائي: ج٨ ص٥٠ كتاب القسامة، باب ديّة جنين المرأة. وجامع الأصول لإبن الأثير: ج٤ ص٤٣١ـ٤٣٣ ح٢٥٠٩.

٣. شرح نهج البلاغة: ج٣ ص٢٠١.

وروى البخاري بإسناده، عن أبي وائل، قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء أقسمه. قلت: إنّ صاحبيك لم يفعلا. قال: هما المرآن اقتدي بهما.[١]

جهله بفقه الدعاء

وأخرج السيوطي والزمخشري في تفسيرهما، وابن أبي شيبة في مصنّفه: إنّ رجلا قال عند عمر: اللهم، اجعلني من القليل. فقال عمر: ما هذا الدعاء؟! فقال الرجل: أما سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢]، فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل. فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر. أو كل الناس أعلم من عمر.[٣]

بدعته في التراويح

وقد صرّح علماؤهم: إنّ أوّل من ابتدع صلاة التراويح عمر بن الخطاب[٤] ولم يؤاخذوه عليها رغم اعترافه لهم بأنّها بدعة، بل استنّوا ببدعته ولا يزالون، رغم علمهم بأنّها بدعة.

---

١. صحيح البخاري: ج٣ ص٨١، كتاب الحجّ، باب كسوة الكعبة.

٢. سورة سبأ، الآية: ١٣.

٣. تفسير السيوطي: ج٥ ص٢٢٩، مورد تفسير سورة سبأ، الآية: ١٣. وتفسير الكشّاف للزمخشري: ج٢ ص٤٤٥، مورد تفسير سورة سبأ، الآية: ١٣. والمصنّف: ج٧ ص٨١، ما ذُكر عن أبي بكر وعمر من الدعاء.

٤. راجع محاضرات الأوائل: ص١٤٩. وشرح المواهب للزرقاني: ج٧ ص١٤٩. وطرح التثريب للحافظ العراقي: ج٣ ص٩٢.

روى ابن شبّة النميري في تاريخ المدينة: إنّ عمر دخل المسجد ليلة في رمضان، والناس قد اجتمعوا، فقيل: اجتمعوا للصلاة. فقال: بدعة ونعمت البدعة.[١]

وروى نحوه البخاري في صحيحه، ومالك في الموطأ، والبيهقي في فضائل الأوقات، والزيعلي في نصب الراية، وابن حجر في فتح الباري، وغيرهم.[٢]

وقال القسطلاني في إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري: سمّاها بدعة لأنّ رسول الله ﷺ لم يسنّ له الاجتماع لها، ولا كانت في زمن الصدّيق، ولا أوّل الليل، ولا هذا العدد.[٣]

وضعه الخراج على أرض السّواد

كما ثبت أنّ عمر بن الخطاب وضع الخراج على أرض السواد، ولم يعط أرباب الخمس منها خمسهم، وجعلها موقوفة على كافّة المسلمين، وقد صرّح بها ابن أبي الحديد في شرحه، والسيوطي في الدر المنثور.[٤] وكل ذلك مخالف للكتاب والسنّة.

زيادته للجزية

وقد زاد عمر بن الخطاب الجزية عمّا قررها رسول الله ﷺ وهو حرام على

---

١. تاريخ المدينة: ج٢ ص٧١٦، عيّن ثلاثة للناس في رمضان.

٢. راجع البخاري: ج٤ ص٢١٨. وموطأ مالك: ج١ ص١١٤. وفضائل الأوقات: ص٢٦٦. ونصب الراية: ج٢ ص١٧٤. وفتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٤ ص٢١٩.

٣. إرشاد الساري للقسطلاني: ج٥ ص٤.

٤. شرح نهج البلاغة: ج١٢ ص٢٨٧. الدر المنثور: ج٣ ص١٥٨.

مذهب فقهائهم الأربعة إلاّ أحمد في رواية.[١] ذكره ابن الأثير في جامع الأصول.[٢]

تغريب من غير ذنب

روي: إنّ عمر قد أمر بتغريب نصر بن حجّاج، وأبي ذويب ـ من غير ذنب ـ من المدينة، وذلك حين سمع عمر بن الخطاب في بعض سكك المدينة أنّ إمرأة تهتف من خدرها وتقول: أم هل سبيل إلى نصر بن حجّاج. فقال: لا أرى معي رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن، عليّ بنصر بن حجّاج، فأُتي به وإذا هو أحسن الناس وجهاً وعيناً وشعراً. فأمر بشعره فجُز!!.. فقال عمر: لا والله، لا تساكنني بأرض أنا بها. فقال: ولم؟ قال: هو ما أقول لك. فسيّره إلى البصرة.

وروى عبد الله بن يزيد: إنّ عمر خرج ليلة يعسّ، فاذا نسوة يتحدّثن، وإذا هنّ يقلنّ: أيّ فتيان المدينة أصبح؟ فقالت امرأة منهنّ: أبو ذؤيب والله. فلما أصبح عمر سأل عنه، فإذا هو من بني سليم، وإذا ابن عم نصر بن الحجّاج، فأتي إليه، فحضر، فإذا هو أجمل الناس وأملحهم، فلما نظر إليه، قال: أنت والله ذئبهن... لا والذي نفسي بيده، لا تجامعني بأرض أبداً... فأمر بتسييره إلى البصرة.[٣]

وقد روى قصّة نصر بن الحجّاج، وأبي ذؤيب جُل أرباب السير والتراجم.[٤]

---

١. راجع المغني لإبن قدامة: ج١ ص٥٦٦.

٢. راجع جامع الأُصول: ج٢ ص٦٩٦، كتاب الفيء وسهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣. أنظر شرح نهج البلاغة: ج١٢ ص٢٨ـ٣١.

٤. أنظر طبقات ابن سعد: ج٣ ص٢٨٥، ذكر استخلاف عمر. وتاريخ الطبري: ج٤ ص٥٥٧. وابن قتيبة في غريب الحديث: ج٢ ص٢٢٣، حديث عروة بن الزبير. وتذكرة الحفّاظ للذهبي: ج٢ ص٦٠٨، ترجمة ابن ديزيل.

رأيه في الطلاق ثلاثا

روى ابن الأثير في جامع الأُصول، عن طاووس، قال: إنّ أبا الصهباء كان كثير السؤال لإبن عباس، قال: أما علمت أنّ الرجل كان اذا طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر؟

قال ابن عباس: بلى، كان الرجل اذا طلّق امرأته قبل أن يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر، فلما رأى الناس قد تتابعوا عليها، قال: أجيزوهن عليهم.[١]

وفي رواية مسلم: إنّ أبا الصهباء قال لإبن عباس: هات من هناتك، ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر واحدة؟

فقال: قد كان ذلك، فلما كان في عهد عمر تابع الناس في الطلاق، فأجازه عليهم.[٢]

وفيه أيضاً: إنّ ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه إناة، فلو أمضيناه عليهم. فأمضاه عليهم.[٣]

---

١. جامع الأُصول: ج٧ ص٥٩٧ـ٥٩٨ ح٥٧٥٧.

أقول: وورد أيضاً في سنن أبي داود: ج١ ص٣٤٤. وسنن البيهقي: ج٧ ص٣٣٩. وتيسير الوصول للشيباني: ج٢ ص١٦٢. والدرالمنثورللسيوطي: ج١ ص٢٧٩.

٢. صحيح مسلم: ج١ ص٥٧٤، كتاب الطلاق، باب الطلاق ثلاث.

أقول: ورواه البيهقي في سننه: ج٧ ص٣٣٦. والدارقطني في سننه: ج٤ ص٤٤.

٣. صحيح مسلم: ج١ ص٥٧٤.

أقول: وورد أيضاً في مسند أحمد بن حنبل: ج١ ص٣١٤. وسنن البيهقي: ج٧ ص٣٣٦. والمستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٢ ص١٩٦. وتفسير القرطبي: ج٣ ص١٣٠. وارشاد الساري للقسطلاني: ج٨ ص١٢٧. والدرالمنثورللسيوطي: ج١ ص٢٧٩.

وفيه أيضاً: إنّ أبا الصهباء قال لإبن عباس: أتعلم إنّما كان الثلاث تجعل واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر، وثلاثاً من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس: نعم.[١]

سنّه الطبقيّة في الزّواج

وقد منع عمر العرب من التزويج في قريش، ومنع العجم من التزويج في العرب.

وقد زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله ضباعة بنت الزبير بن عبد المطّلب من المقداد بن الأسود الكندي ـ وكان مولى لبني كندة ـ ثم قال: أتعلمون لم زوجت ضباعة بنت عمّي من المقداد؟ قالوا: لا. قال: ليتضع النكاح فيناله كل مسلم، ولتعلموا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢].[٣]

---

١. صحيح مسلم: ج١ ص٥٧٤.

أقول: وأورده الجصّاص في أحكام القرآن: ج١ ص٤٥٩. والبيهقي في سننه: ج٧ ص٣٣٦. والسيوطي في الدر المنثور: ج١ ص٢٧٩. والطحاوي في شرح معاني الآثار: ج٢ ص٣١. والشافعي في المسند: ص١١٢، في كتاب الطلاق. والهندي في كنز العمّال: ج٥ ص١٦٢ و١٦٣. وسنن أبي داود: ج١ ص٣٤٤، كتاب الطلاق، باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث. وسنن النسّائي: ج٦ ص١٤٥، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث المتفرقة قبل الدخول بالزوجة.

أقول: راجع ما قاله حول هذا الحديث كل من النووي في شرح صحيح مسلم: ج١٠ ص٧٠ـ٧٢، باب طلاق الثلاث، والمنذري في مختصر سنن أبي داود: ج٣ ص١٢٤. كما أنّ العلامة الأميني رحمه الله نقل الأخبار الواردة في هذا الموضوع وناقشها مفصّلاً في الغدير: ج٦ ص١٧٨ـ١٨٣.

٢. سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٣. راجع الإيضاح لإبن شاذان: ص١٥٣ـ١٨٥، والمسترشد للطبري: ص١٤٢.

بدعته في صلاة الجنائز

وقد نقّص عمر تكبيرة من الصلاة على الجنائز وجعلها أربعاً ومنع أكثر من ذلك، وقد كان رسول الله ﷺ يكبّر خمس تكبيرات، ولو سلّم ﷺ كبّر أربعاً. فلا ريب في جواز الخمس، فالمنع من الزيادة على الأربع بدعة.[١]

منعه لتوارث الأعاجم

روى مالك في المدونة والموطأ، وحكاه ابن الأثير في جامع الأُصول: عن ابن المسيب قال: أبى عمر أن يورّث أحداً من الأعاجم إلا أحداً ولد في العرب.[٢]

وهذا رواه أيضاً المباركفوري في تحفة الآحوذي. والهندي في كنز العمال.[٣]

وهذا مخالف للآيات والروايات، ولما عُلم ضرورة من دين الإسلام من ثبوت التوارث بين المسلمين.

بدعته في الأذان

ومن بدعه أيضاً التثويب في الأذان، وهو قول: الصلاة خير من النوم. فقد روى ابن الأثير في جامع الأُصول، ومالك في الموطأ، قالا: عن مالك أنّه بلغه أنّ المؤذّن جاء إلى عمر يؤذنه لصلاة الصبح، فوجده نائماً، فقال: الصلاة خير من

---

١. راجع صحيح مسلم: ج٢ ص٦٥٩ ح٩٥٧، باب الصلاة على القبر. وسنن النسّائي: ج٤ ص٧٢، عدد التكبير على الجنازة. وسنن أبي داود: ج٢ ص٢٢٨ح٣١٩٧، باب التكبير على الجنازة. وصحيح الترمذي: ج٣ ص٣٤٣ ح١٠٢٣، باب التكبير على الجنازة.

٢. المدونة الكبرى: ج٣ ص٣٣٨، في الحملاء يدّعي بعضهم مناسبة بعض، والموطأ: ج٢ ص١٢، كتاب الفرائض، باب ميراث أهل الملل. وجامع الأُصول: ج٩ ص٦٠٣ـ٦٠٤ ح٧٣٨٠.

٣. تحفة الآحوذي: ج١ ص٦٣، باب في الإستتار عند الحاجة. كنز العمّال: ج١١ ص٢٩ رقم٣٠٤٩٣.

النوم، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح.[١]

تصرفه في بيت المال

وقد ورد أنّ عمر كان يعطي من بيت المال على خلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقسم بالسويّة، فكان يعطي عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كل سنة،[٢] في الوقت الذي فيه حرم أهل البيت عليهم السلام من خمسهم الذي جعله الله لهم.

قال ابن أبي الحديد: روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: استشار عمر الصحابة بمن يبدأ في القسم والفريضة؟ فقالوا: ابدأ بنفسك. فقال: بل أبدأ بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وذوي قرابته، فبدأ بالعباس. قال ابن الجوزي: وقد وقع الاتفاق على أنّه لم يفرض لأحد أكثر ممّا فرض له. روي: إنّه فرض له خمسة عشر ألفا. وروي: إنّه فرض له اثني عشر ألفا. وهو الأصح. ثم فرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وآله لكل واحدة عشرة آلاف، وفضّل عائشة عليهنّ بألفين، فأبت! فقال: ذلك لفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا أخذت فشأنك. واستثنى عن الزوجات جويرية وصفية وميمونة، ففرض لكل واحدة منهنّ ستّة آلاف! فقالت عائشة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعدل بيننا. فعدل عمر بينهنّ، وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهنّ، ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدراً لكل واحد خمسة آلاف، ولمن شهدها من الأنصار لكل واحد أربعة آلاف.

وقد روي: إنّه فرض لكل واحد ممّن شهد بدراً من المهاجرين أو من

---

١. جامع الأُصول: ج٥ ص٢٨٦ ح٣٣٦٠. والموطأ: ج١ ص٧٢، باب ما جاء في النداء للصلاة.

٢. راجع أخبار عمر للطنطاوي: ص١٢٢. وطبقات ابن سعد: ج٣ ص٢٢٣. والكامل لإبن الأثير: ج٢ ص٢٤٧. وتاريخ الطبري: ج٣ ص٦١٤.

الأنصار أو غيرهم من القبائل خمسة آلاف، ثم فرض لمن شهد أحداً وما بعدها إلى الحديبية، أربعة آلاف، ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد الحديبية، ثلاثة آلاف، ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد رسول الله ﷺ، ألفين وخمسمائة، وألفين، وألفاً وخمسمائة، وألفا واحداً... إلى مائتين، وهم أهل الهجر، ومات عمر على ذلك.[١]

هذا وقد قسّم أميرالمؤمنين علي عليه السلام بين الناس بالسويّة، وأبطل سيرة عمر في ذلك، وردّ الناس إلى السنّة النبويّة الشريفة، كما عُرف عنه في قوله: لو كان المال لي فسوّيت بينهم، فكيف والمال مال الله؟![٢]

تناقضه في الأحكام

قد ثبت أنّ عمر كان يتلون في الأحكام، حتى روي أنّه قضى في الجدّ بسبعين قضية!!

روى البيهقي في سننه: عن عبيدة قال: إنّي لأحفظ عن عمر في الجدّ مائة قضية كلها ينقض بعضها بعضاً.[٣]

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه على النهج: كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي ضدّه خلافه، قضى في الجدّ مع الأُخوة قضايا كثيرة مختلفة، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة، فقال: من أراد أن يتقحّم جراثيم جهنم فليقل في الجدّ برأيه.[٤]

---

١. شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١٢ ص٢١٤ـ٢١٥.
٢. راجع نهج البلاغة: ج٢ ص٦، الخطبة: ١٢٦.
٣. سنن البيهقي: ج٦ ص٢٤٥.
٤. شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١ ص١٨١.

إحراقه بيت فاطمة عليها السلام ! !

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي عليه السلام فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم ـ وهم في دار علي عليه السلام ـ فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على مَن فيها. فقيل له: يا أبا حفص! إنّ فيها فاطمة عليها السلام. فقال: وإن![1]

وقال في كنز العمّال: وأيم الله، ما ذاك بمانعي، إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بهم أن يُحرق عليهم الباب![2]

فهمّ بإحراق بيت فاطمة عليها السلام وقد كان فيها علي أميرالمؤمنين وفاطمة والحسنان عليهم السلام وهدّدهم وآذاهم، مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني.[3]

وقد نقل هذا الحديث العلامة الأميني عن تسعة وخمسين راوياً، فراجع.[4]

ما كان في الشورى؟

فإنّ عمر جعل الشورى بين ستّة، ولم ينصّ على واحد بعينه، وقال: إن بايع ثلاثة وخالف اثنان، فاقتلوا الاثنين.[5]

فأمر بضرب أعناق الستّة فيما لو تأخروا عن البيعة لأكثر من ثلاثة أيام، رغم إقراره بأنّهم أفضل الأمّة. ومعلوم أنّهم لا يستحقون القتل بذلك، لأنّهم اذا كانوا

---

١. الإمامة والسياسة: ج١ ص١٩، كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. كنز العمّال: ج٣ ص١٣٩.

٣. صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦١ ح٣٥١٠.

٤. الغدير: ج٧ ص٣٣١ـ٣٣٦.

٥. راجع تاريخ الطبري: ج٤ ص٢٢٩، حوادث سنة٢٣هـ.

قد كلّفوا أن يجتهدوا بآراءهم في اختيار الخليفة، فربما انتظروا مدّة حتى يبتّوا في الأمر، فأي معنى للأمر بقتلهم اذا تجاوزوا الثلاثة أيام؟!

بل تعدّى الأمر أن كلّف معتمديه بقتل من يخالف الأربعة، أومن يخالف الجهة التي يرضى عنها عبد الرحمن بن عوف![1] وكل ذلك ممّا لا يستحق به القتل.

ولو تنزّلنا عند ذلك، أليس في اختياره علياًعليه السلام ضمن الستّة يُعدّ نقضاً لما كان موقفه منه في أمر الخلافة، خصوصاً وقد اشتهر عنه قوله لإبن عباس: أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟... فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها، فأصابت ووفّقت![2]

فما بدى ممّا حدى؟ أيطمع من الأمّة والتاريخ أن يسترا عليه سوآته بعدما أبداها للزمان عياناً جهاراً؟ أم أراد ليؤكّد أمر ثباته على ما ألفى عليه آبائه من غدر ومكر وخداع؟

نعم، فلأمر الثاني أصوب وأقرب لما كان يجول بنفس عمر، بدليل ردّ ابن عباس له، قائلاً: أمّا قولك اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت. فلو أنّ قريش اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأمّا قولك أنّهم كرهوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة. فإنّ الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3].[4]

---

١. راجع تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥. والإمامة والسياسة لإبن قتيبة: ج١ ص٢٣.

٢. تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٨٩، من ندب عمر ورثاه.

٣. سورة محمدصلى الله عليه وآله، الآية: ٩.

٤. المصدر السابق نفسه.

مدفنه بغير حق

وقد أوصى عمر أن يُستأذن له من عائشة بأن يدفن عند النبيصلى الله عليه وآله، كما تصدّى لهذا الأمر من قبل صنوه أبو بكر![1] ولا أعلم لتصرّفهما هذا أي وجه شرعي، وقد قال تعالى: ﴿لا تَدخُلوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤذَنَ لَكُم﴾[2]، وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: حرمة المسلم ميتاً كحرمته حيّا.[3]

فلا يخلو أن يكون موضع قبر النبيصلى الله عليه وآله باقياً على ملكهصلى الله عليه وآله أو أصدقه في حياته إلى عائشة حصراً. فإن كان الأوّل، فلم يخل أن يكون ميراثاً بعده أو صدقة.

فإن كان ميراثاً، فما كان يحلّ لأبي بكر ولا لعمر أن يستبيحا دفنهما فيه إلاّ بعد إرضاء جميع الورثة، ولم نجد أنّ أحدهما خاطب ولو واحداً من الورثة في ابتياع هذا المكان، ولا استأذنه فيه!

وإن كان صدقة ـ كما زعموا ـ فكان يجب أن يستأذنا فيه جماعة المسلمين، أو ابتياعه منهم، ولم يؤثر ذلك عنهما!

أمّا إن كان قد أصدقهصلى الله عليه وآله في حياته إلى عائشة خاصّة، لبان وأشتهر، خصوصاً بعدما ذكر التاريخ: إنّ فاطمةعليها السلام لم يُقبل منها مطالبتها في فدك، وقولها: إنّ أباها رسول اللهصلى الله عليه وآله قد أصدقها اياها في حياته حين نزول آية ﴿وَآتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ﴾[4]، على رغم شهادة علي والحسنينعليهم السلام وأمّ أيمن، وردّها بما نسبا من قول لرسول اللهصلى الله عليه وآله: ما تركنا صدقة!!

إذن، فكيف انتقل بيتهصلى الله عليه وآله إلى عائشة في حياته، وما هو الدليل على ذلك؟

---

١. طبقات ابن سعد: ج٣ ص٣٣٨.
٢. سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
٣. تهذيب الأحكام للطوسي: ج١ ص٤١٩ رقم٤٣، باب المياه وأحكامها.
٤. سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

قصّة ظريفة

روى الشيخ المفيد رحمه الله: إنّ فضّال بن الحسن بن فضّال الكوفي مرّ بأبي حنيفة وهو في جمع كثير، يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه، فدنا منه وسلّم عليه، فردّ وردّ القوم بأجمعهم، السلام. فقال: يا أبا حنيفة! رحمك الله، إنّ لي أخاً يقول: إنّ خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب، وانا أقول: إنّ أبا بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول أنت رحمك الله؟

فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه، فقال: كفى بمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وآله كرماً وفخراً، أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره، فأي حجّة أوضح لك من هذه؟

فقال له فضّال: إنّي قد قلت ذلك لأخي، فقال: والله، لئن كان الموضع لرسول الله صلى الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليست لهما فيه حقّ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد أساءا وما أحسنا اذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما!

فأطرق أبو حنيفة ساعة، ثم قال له: لم يكن له ولا لهما خاصّة، ولكنهما نظرا في حقّ عائشة وحفصة، فاستحقّا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال فضّال: قد قلت له ذلك، فقال: أنت تعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله مات عن تسع نساء، ونظرنا فاذا كل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فاذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام ابنته تمنع الميراث!؟

فقال أبو حنيفة: يا قوم، نحوه عني.[1]

---

١. الفصول المختارة: ج٢ ص٤٤ـ٤٥.

عثمان بن عفّان

توليته غير الصالحين

قد ثبت أنّ عثمان ولّى أمور المسلمين من لا يصلح لها، ممّن لا علم له، وأتمن على رقاب المسلمين ممّن لا يؤتمن عليه، ممّن ظهر منه الفسق والفساد، مراعاةً للقرابة والرحم، عدولاً منه عن مراعاة حق الدين، وحرمة المسلمين، وقد حذّره عمر من ذلك حين قال له: إذا وليت هذا الأمر، فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس.[1] فوقع منه ما حذّره إياه، وعوتب عليه، فلم ينفع العتب، حتى أورد نفسه مهالك الردى، ولات حين مندم.

فواحدة من صور استخلافه تلك إقراره معاوية بن أبي سفيان على ولاية الشام بعدما استعمله عليها من قبل عمر بن الخطاب، رغم ما علمه عنه من أمور كشفها له وللمسلمين والتاريخ مَن هو أصدق ذي لهجة بين المسلمين.[2] ثم استعماله الوليد بن عقبة ـ أخو عثمان لأمّه ـ وتقليده أمر المسلمين حتى ظهر منه شرب الخمر.

واستعماله سعيد بن العاص حتى ظهرت منه الأمور التي بسببها أخرجه أهل الكوفة.

وتولية عبد الله بن أبي سرح ـ أخوه من الرضاعة ـ على مصر حتى تظلّم منه

---

١. الطبقات لابن سعد: ج٣ ص٢٤٧. والرياض النضرة للطبري: ج٢ ص٧٦. والسنن الكبرى للبيهقي: ج٨ ص١٥١، باب ما جاء في تنبيه الإمام على من يراه أهلاً للخلافة بعده. وفتح الباري لابن حجر: ج٧ ص٥٥، باب قصّة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفّان. والمصنّف للصنعاني: ج٨ ص٥٨٠ رقم١٦، ما جاء في خلافة عمر بن الخطّاب.

٢. يأتي بيانه تحت عنوان: مع أبي ذر الغفاري.

أهلها، وكذلك عبد الله بن عامر بن كريز ـ ابن خال عثمان ـ حين استعمله على البصرة.[1]

طريد رسول الله صلى الله عليه وآله

ردّه الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله رغم أنّ أبا بكر وعمر قد منعا من ردّه، فصار بذلك مخالفاً للسنّة النبويّة، وسيرة من تقدّماه، خصوصاً وقد شرط عبد الرحمن بن عوف عليه في عقد البيعة اتباع سيرتهما. وتفصيل الكلام في «الغدير» للعلامة الأميني، فراجع.[2]

نفيه لأبي ذر الغفاري

ويكفي ما صنعه عثمان بأبي ذر الغفاري ـ الصحابي الجليل ـ من الإهانة والضرب والاستخفاف ومن ثم نفيه إلى الربذة، مع علو شأنه الذي لا يخفى على أحد.[3] بل يكفيه ما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق من أبي ذر. وفي رواية: ولا أوفى من أبي ذر، شبه عيسى بن مريم عليهما السلام. فقال عمر بن الخطّاب كالحاسد: يا رسول الله، أفنعرف ذلك له؟ قال: نعم، فاعرفوه له.

وقد روى بعضهم هذا الحديث، فقال: أبو ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى بن مريم عليهما السلام.[4]

---

١. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٦٢، أيام عثمان بن عفّان.

٢. الغدير: ج٨ ص٢٥٧.

٣. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ ص٥٤ـ٥٧. ومروج الذهب: ج٢ ص٣٤٠ـ٣٤٢. وتاريخ الخميس للدياربكري: ج٢ ص٢٦٨.

٤. سنن الترمذي: ج٥ ص٦٦٩ ح٣٨٠١ و٣٨٠٢، مناقب أبي ذر الغفاري. ورواه أيضا ابن الأثير في جامع الأصول: ج٨ ص٥٦٨ ح٦٣٧٧.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي: إنّ رسـول اللهﷺ قـال: إنّ الجنّـة تـشتاق إلـى ثلاثة: علي وعمّار وأبي ذر.[١]

وقال أميرالمؤمنين عليعليه السلام لابي ذر: يا أبا ذر، إنّـك غـضبت لله، فـارجُ مـن غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عمّا منعوك... لا يؤنسنّك الا الحق، ولا يوحشنّك الا الباطـل، فلـو قبلـت دنياهم، لأحبّوك، ولو قرضت منها، لأمّنوك.[٢]

ضربه لعبد الله بن مسعود

وقد كان من أمر عثمان أن ضرب عبـد الله بـن مـسعود حتـى كـسر بعـض أضلاعه، مع علمه بأسبقيته في الإسلام، وصدق إيمانـه، فـضلاً عمّـا شـهد لـه رسول اللهﷺ في قوله: رضيت لأُمّتي ما رضي لها ابن أُمّ عبد.[٣]

وقولهﷺ عندما ضحك القوم لحماشة ساقيه: ما يُضحككم!؟ لرجل عبـد الله في الميزان أثقل من أُحد.[٤] وغير ذلك ممّا رووا في فضله من أخبار كثيرة.

وماكان من عثمان في ضربه لإبن مسعود وإهانته سوى أنّـه كـان يـذمّ سـوء تدبيره واجحافه وظلمه للمسلمين. الأمر الذي أدى بابن مسعود أن أوصـى بـأن لا يصلّي عليه عثمان، بل حتى لم يُعلم بدفنه!

كما فصّلها ابن أبي الحديد، واليعقوبي، وابن عبد البـر الأندلـسي، والحـاكم،

---

١. مجمع الزوائد: ج٩ ص٣٩.

٢. نهج البلاغة: ج٢ ص١٢ رقم: ١٣٠، من كلامهعليه السلام لأبي ذر لمّا خُرّج إلى الربذة.

٣. المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣ ص٣١٧.

٤. أنظر المصنّف لابن أبي شيبة: ج٧ ص٥٢١ ح٧، ما ذكر في عبد الله بن مسعود.

وابن كثير، والتفصيل مذكور أيضاً في الشافي.[1]

مع عمّار بن ياسر

وقد صنع عثمان بعمّار بن ياسر ما صنع، وعمّار هو الذي أطبق المؤالف والمخالف على فضله وعلو شأنه، كما رووا فيه أخباراً مستفيضة تدلّ على كرامته وعلو درجته، قبيل ما قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: من عادى عمّاراً عاداه الله، ومن أبغض عمّاراً أبغضه الله.[2]

وقوله صلى الله عليه وآله: إنّ الجنّة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمّار وسلمان.[3]

فقد روي من طريق أبي مخنف في إسناده: إنّه كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حُلي وجواهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلّموه فيه بكل كلام شديد، حتى غضب، فخطب وقال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام.

فقال له علي عليه السلام: إذن تمنع من ذلك، ويحال بينك وبينه.

فقال عمّار: اُشهد الله، إنّ أنفي أوّل راغم من ذلك.

فقال عثمان: أعليّ يا بن ياسر تجتري؟! خذوه. فأُخذ. ودخل عثمان فدعا به وضربه حتى غشي عليه، ثم أخرج فحمل إلى منزل أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فلم

---

١. شرح نهج البلاغة: ج١ ص٢٣٦. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٧٠، أيام عثمان. والاستيعاب: ج١ ص٣٧٣. والمستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٣١٣. وتاريخ ابن كثير: ج٧ ص١٦٣. والشافي في الإمامة: ج٤ ص٢٧٩.

٢. مسند أحمد: ج٤ ص٨٩، حديث يزيد عن العوام. والمستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣ ص٣٩٠، حديث منازعة عمار وخالد.

٣. سنن الترمذي: ج٥ ص٣٣٢، مناقب سلمان. وصحيح البخاري: ج٥ ص٣٠ و٣١، فضائل الصحابة. ومسند أحمد: ج٦ ص٤٤٩ و٤٥١.

يصلّ الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلّى، وقال: الحمد لله، ليس هذا أوّل يوم أُوذينا فيه في الله تعالى.

وروى آخرون: إنّ عثمان مرّ بقبر جديد، فسأل عنه؟ فقيل: عبد الله بن مسعود، فغضب على عمار لكتمانه إياه موته، اذ كان المتولّي للصلاة عليه والقيام بشأنه، فعندها وطئ عثمان عماراً حتى أصابه الفتق.

وآخرون: إنّ المقداد، وطلحة، والزبير، وعمّاراً وعدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه، وأعلموه أنّهم مواثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمّار الكتاب فأتاه به، فقرأ منه صدراً. فقال عثمان: أعليّ تقدم من بينهم؟... فأمر غلمانه فمدّوا بيديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه وهما في الخفّين على مذاكيره فأصابه الفتق، وكان ضعيفا كبيراً، فغشي عليه.[1]

تصرّفه في بيت المال

كما ثبت أنّ عثمان كان يتصرّف في بيت المال اعتباطاً، وكان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة من بيت مال المسلمين، فقد دفع إلى أربعة من قريش زوّجهم بناته مئات الآلاف من الدنانير.

ذكر اليعقوبي في تاريخه: إنّه زوّج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أُسيد وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة.[2]

---

١. راجع شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١ ص٢٣٩. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٧١، أيام عثمان.

٢. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٦٨. وفي العقد الفريد للأ ندلسي: ج٢ ص ٢٦١، قال: إنّه أعطى عبد الله ابن خالد بن أُسيد بعد أن زوّجه ابنته، ثلاثمائة ألف. وفي شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١ ص١٩٩، ذكر: إنّه أنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه.

وقد ولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة، فبلغت ثلاثمائة ألف، فوهبها له حين أتاه بها.[١]

وأعطى مروان مائة ألف عند فتح أفريقية، وقيل: أعطاه خُمس أفريقية.[٢]

ولما قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، وهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص.[٣]

وروى أبو مخنف والواقدي: إنّ الناس أنكروا على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف، فكلمه علي عليه السلام، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن في ذلك، فقال: إنّ لي قرابة ورحماً. فقالوا: أما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذو رحم؟

وقد روى أبو مخنف: إنّه لما قدم على عثمان عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص من مكّة وناس معه، أمر عثمان لعبد الله بثلاثمائة ألف، ولكل واحد من القوم بمائة ألف. فامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال، فقال له عثمان انما أنت خازن لنا، فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازناً للمسلمين، وانما خازنك غلامك.. وجاء بالمفاتيح فعلّقها على المنبر. وقيل: بل ألقاها إلى عثمان، فدفعها عثمان إلى نائل مولاه.[٤]

---

١. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٣ ص٣٥. واليعقوبي في تاريخه: ج٢ ص١٦٨، روى: عن عبد الرحمن بن يسار، قال: رأيت عامل صدقات المسلمين في سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان: فقال له: ادفعها إلى الحكم بن العاص! وكان عثمان إذا أجاز أحداًمن أهل بيته بجائزة، جعلها من بيت المال.

٢. العقد الفريد للأندلسي: ج٢ ص٢٦١. والإمامة والسياسة للدينوري: ج١ ص٥٠، ما أنكر الناس على عثمان.

٣. شرح نهج البلاغة: ج٣ ص٣٥. وفي تاريخ الطبري: ج٣ ص٣٩٩، قال: فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأرسل إلى المسوّر بن مخرمة والى عبد الرحمن بن الأسود فأخذاها، فقسّمها عبد الرحمن في الناس، وعثمان في الدار.

٤. انظر شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١ ص٦٧. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٦٨، أيام عثمان.

وقال الحلبي في سيرته: إنّ عثمان أعطى ابن عمّه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية.[١]

وقال ابن أبي الحديد: إنّ عثمان أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه في فتح أفريقية بالمغرب ـ وهي طرابلس الغرب إلى طنجة ـ من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.[٢]

هذا وقد قال عليﷺ في اليوم الثاني من بيعته: الا أنّ كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرّق في البلدان لرددته إلى رحله.[٣]

تعطيله الحدود الواجبة

كما أنّ عثمان قد عطّل الحدود الواجبة، كالحدّ في عبيد الله بن عمر، فإنّه قتل الهرمزان بعد إسلامه، فلم يُقد به، وقد كان علي أميرالمؤمنينﷺ يطلبه.[٤] كما ذكره ابن الأثير، وابن عبد البر، وصاحب روضة الأحباب،[٥] وغيرهم.

استيثاره الحِمى

من المعلوم أنّ منابت العشب ومساقط الغيث والمروج والسهول مباحة

١. السيرة الحلبية للحلبي: ج٢ ص٨٧.
٢. شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١ ص٦٧.
٣. شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١ ص٢٦٩.
٤. راجع السنن الكبرى للبيهقي: ج٨ ص٦١. والغدير للعلامة الأميني: ج٨ ص١٣٣.
٥. الكامل: ج٣ ص٤٠. والاستيعاب: ج٢ ص٤٣١ـ٤٣٣. وروضة الأحباب للدشتكي: ج٢ ص١٧٠.

لجميع المسلمين ما لم يحجر عليها أو لم يكن لها مالك خاصّ. ولا يحقّ لأحد أن يحمي لنفسه ويمنع الناس.

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء، والكلأ، والنار، وثمنه حرام.[١]

وقال صلى الله عليه وآله: ثلاث لا يمنعن: الماء، والكلأ، والنار.[٢]

فجعل عثمان الحمى مختصاً لإبله وإبل الحكم وخيل بني أميّة.

قال ابن أبي الحديد في شرحه على الخطبة الشقشقية: إنّ عثمان.. حمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلّهم الا عن بني أُميّة.[٣]

إتمامه الصلاة بمنى

كما ورد أنّ عثمان لم يقصر صلاته بمنى مع كونه مسافراً، وهو مخالف للسيرة النبويّة، ولسيرة الشيخين. فقد روي: إنّ عثمان صلّى بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود، فقال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين.[٤]

والغريب أنّ عثمان صلاها ركعتين في صدر إمارته ثم أتمّها!

ففي سنن الترمذي، عن عمران بن حصين قال: حججت مع رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. سنن ابن ماجة: ج٢ ص٨٢٦ ح٢٤٧٢، باب المسلمون شركاء في ثلاث.

٢. صحيح البخاري: ج٣ ص١١٠. وسنن أبي داود: ج٢ ص١٠١. وسنن ابن ماجة: ج٢ ص٨٢٦ ح٢٤٧٣.

٣. شرح نهج البلاغة: ج١ ص١٩٩.

٤. راجع جامع الأصول لإبن الأثير: ج٥ ص٧٠٤ ح٤٠٢٠. وصحيح البخاري: ج٢ ص٤٦٥، كتاب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى. وصحيح مسلم: ج٢ ص٢٦٠، باب قصر الصلاة بمنى، وسنن أبي داود: ج١ ص٣٠٨ ح١٩٦٠، باب الصلاة بمنى.

فصلّى ركعتين، وحججت مع أبي بكر فصلّى ركعتين، وحججت مع عمر فصلّى ركعتين، ومع عثمان ستّ سنين من خلافته أو ثماني سنين فصلّى ركعتين.[١]

اللحن في القرآن

كما ثبت أنّ عثمان زعم أنّ في المصحف لحناً. فقد ورد في تفسير الفخر الرازي: في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[٢]، إنّ عثمان قال: إنّ في المصحف لحناً. فقيل له: ألا تغيره؟ فقال: دعوه، فلا يحلّل حراما ولا يحرّم حلالا.[٣]

تقديمه الخطبة في العيدين

وقد ورد أنّ عثمان قدّم الخطبة في العيدين على الصلاة، مع أنّ كتب العامّة مشحونة بروايات تدلّ على أنّ صلاة العيد قبل مجيء عثمان كانت مقدّمة على الخطبة.

فقد روى مسلم في صحيحه، عن عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: أشهد على رسول الله ﷺ أنّه كان يصلّي قبل الخطبة.[٤]

وعن نافع، عن ابن عمر: إنّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يصلّون العيدين قبل الخطبة.[٥]

---

١. سنن الترمذي: ج٢ ص٢٩ ح٥٤٣، باب ما جاء في التقصير في السفر. وجامع الأصول لإبن الأثير: ج٥ ص٧٠٦ ح٤٠٢٤.

٢. سورة طه، الآية: ٦٣.

٣. تفسير الفخر الرازي: ج٢٢ ص٧٥.

٤. صحيح مسلم: ج١ ص٣٢٥ ح٨٨٤، كتاب العيدين. وراجع أيضا صحيح البخاري: ج٢ ص٣٧٧، كتاب العيدين. وسنن أبي داود: ج١ ص١٧٨ ح١١٤٢ـ١١٤٦ و١٤٤٧. وسنن النسّائي: ج٣ ص١٨٣.

٥. صحيح البخاري: ج٢ ص٣٧٥، وصحيح مسلم: ج١ ص٣٢٦، وسنن النسّائي: ج٣ ص١٨٣، وجامع الأصول: ج٦ ص١٣١، وموطأ مالك: ج١ ص١٤٦.

إحداثه أذان يوم الجمعة

وقد روي إحداث عثمان الأذان الثالث يوم الجمعة، زيادة على ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ذكره البخاري. وأبو داود. والترمذي. والنسّائي. وصاحب جامع الأُصول. والبيهقي. والطبري. وابن الأثير في الكامل.[1]

عدم تمكنه من الخطبة

فقد روي أنّ عثمان ـ لما كان أوّل جمعة من خلافته ـ صعد المنبر، فعرضه العيّ، فعجز عن أداء الخطبة، وتركها، وقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل!! فنزل.

ذكره ابن سعد في الطبقات، وأبو الفداء في تاريخه، والجاحظ في البيان والتبيين، وابن أبي الحديد في شرح النهج.[2]

جهله بالأحكام

وهناك مسائل شرعية كثيرة قد جهلها عثمان، نذكر بعضاً منها:

منها: إنّ امرأة دخلت على زوجها فولدت لستّة أشهر، فرفع ذلك إلى عثمان،

---

١. صحيح البخاري: ج٢ ص٣٢٦ـ٣٢٧، باب الآذان يوم الجمعة. وسنن أبي داود: ج١ ص١٧١ ح١٠٨٧ـ١٠٩٠. وسنن الترمذي: ج١ ص٦٧، باب ما جاء في آذان يوم الجمعة. وسنن النسّائي: ج٣ ص١٠٠ـ١٠١، باب الآذان للجمعة. وجامع الأُصول لإبن الأثير: ج٥ ص٦٧٤ ح٣٩٦٦. وسنن البيهقي: ج١ ص٤٢٩. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٦٨. والكامل في التاريخ: ج٣ ص٤٨، في حوادث سنة الثلاثين من الهجرة.

٢. الطبقات الكبرى: ج٣ ص٤٣. وتاريخ أبي الفداء: ج١ ص١٦٦. والبيان والتبيين: ج١ ص٢٧٢، وج٢ ص١٩٥. وشرح نهج البلاغة: ج١٣ ص١٣.

فأمر برجمها، فدخل عليه علي عليه السلام، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[٢]، فلم يصل رسوله إليهم إلا بعد الفراغ من رجمها وقتلها.

أخرجه مالك، والبيهقي، وابن كثير، والسيوطي. واليعقوبي في تاريخه.[٣] وغيرهم بأسانيد متعدّدة، ومضامين متقاربة.

ومنها: إنّ عثمان ترك القراءة في الأولّيتين من صلاة العشاء، فقضاها في الأخيرتين، وجهر.[٤]

ومنها: إنّ عثمان أوجب كون ديّة الذمّي مثل ديّة المسلم، وكون عقل الكافر كعقل المؤمن، بل أنّه قد همّ بقتل مسلم قوداً بذمّي، مع إجماع السلف ـ وعدم الخلاف ـ بأنّه لا يقتل مؤمن بكافر، ومع أنّ ديّة المعاهد نصف ديّة المسلم.[٥]

ومنها: إنّ عثمان ذهب إلى أنّ الرجل لو جامع امرأته ولم يمن فلا غسل عليه.[٦] مع أنّ الإجماع قائم بين المسلمين كافّة على أنّه إذا التقى الختانان، وجب الغسل، أنزل أم لم ينزل.

---

١. سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

٢. سورة لقمان، الآية: ١٤.

٣. الموطأ: ج٢ ص١٧٦، كتاب الحدود، باب ماجاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا. والسنن الكبرى: ج٧ ص٤٤٢، باب ما جاء في أقل الحمل. وتفسير ابن كثير: ج٤ ص١٥٧. والدر المنثور: ج٦ ص٤٠. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٧٤، أيام عثمان.

٤. راجع بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني: ج١ ص١١١، فصل في أركان الصلاة. والغدير: ج٨ ص١٧٣ـ١٨٤.

٥. السنن الكبرى للبيهقي: ج٨ ص٣٣.

٦. صحيح مسلم: ج١ ص١٤٢. وصحيح البخاري: ج١ ص١٠٩، نحوه.

ومنها: إنّ عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة.[١] وهناك نصوص صريحة حتى من طرقهم على عدم الزكاة في الخيل، كما في صحيح البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وابن ماجة، والنسائي، ومسند أحمد، وموطأ مالك، ومستدرك على الصحيحين.[٢]

قتله، وعدم دفنه ثلاثة أيام

فالشرارة الأُولى التي مهّدت للإطاحة برأس عثمان كانت قد بدرت بادئ ذي بدء بفعل جبلَة بن عمرو الساعدي عندما واجه عثمان بعد أن أنزله عن المنبر، قائلاً له ـ وكانت بيده جامعة ـ : والله، لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه. قال عثمان: أيّ بطانة؟ فوالله، إنّي لأتخيّر الناس. فقال: مروان، تخيّرته! ومعاوية، تخيّرته! وعبد الله بن عامر بن كريز، تخيّرته! وعبد الله بن سعد، تخيّرته! فمنهم من نزل القرآن بدمه، وأباح رسول اللهصلى الله عليه وآله دمه!؟

قال: فانصرف عثمان، فما زال الناس مجترئين عليه لهذا اليوم.[٣]

بالفعل، لم لتجدي بطانة السوء لصاحبها سوى الدمار والخراب، فضلاً عن فساد الرأي والخذلان، كما قال تعالى: ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾[٤].

---

١. أنظر المحلّى لإبن حزم: ج٥ ص٢٢٧، في مسألة: ٦٤١. والجوهر النقي للمارديني: ج٤ ص١٢٠، باب من رأى في الخيل صدقة. والمصنّف للصنعاني: ج٤ ص٣٥، باب الخيل. والمصنّف لإبن أبي شيبة: ج٣ ص٤٣، ما قالوا في زكاة الخيل. ونصب الراية للزيعلي: ج٢ ص٤٢٣، أحاديث صدقة الخيل والبغال والحمير.

٢. صحيح البخاري: ج٣ ص٣٠. وصحيح مسلم: ج١ ص٣٦١. وسنن الترمذي: ج١ ص٨٠. وسنن أبي داود: ج١ ص٢٥٣. وسنن ابن ماجة: ج١ ص٥٥٥. وسنن النسّائي: ج٥ ص٣٥. ومسند أحمد: ج١ ص٦٢ و١٤٥. وموطأ مالك: ج١ ص٢٠٦. والمستدرك على الصحيحين: ج١ ص٣٩٠ـ٣٩٨.

٣. راجع تاريخ الطبري: ج٣ ص٣٩٩، ذكر الخبر عن قتل عثمان.

٤. سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

الأمر الذي أدى لأن تهوي رؤس جميع ممّن لايرعووا لصوت الحقّ ويستميلوا جانبه، فهذا ابن آكلة الأكباد معاوية، كيف عاش واعتاش على فُتاة ما كان يُلقمه إياه خليفته المظلوم ـ على حدّ زعمه ـ ثم كيف استجار به، فخذله ولم ينصره، بل راح إلى أبعد من ذلك حين استفاد من قتله كرمزٍ للدعاية والإعلان في تثبيت، وتوطيد مملكته، وسريان حكومته.

ذكرالطبري: إنّ شبث بن ربعي كان قد واجه معاوية بمرّ الكلام حينما أرسله أميرالمؤمنين عليعليه السلام مع ابن محصن للتفاوض معه، قائلاً له: يا معاوية! إنّي قد... لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب، إنّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس، وتستميل به أهوائهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك: قُتِل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه. فاستجاب لك سفهاء طغام، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل، لهذه المنزلة التي تطلب... إنّك لشر العرب حالاً في ذلك، ولئن أصبت ما تمنّى، لا تصيبه حتى تستحق من ربّك صلى النار. فاتّق الله يا معاوية! ودع ما أنت عليه، ولا تُنازع الأمر أهله....[1]

نعم، فلو لم يُقدم عثمان على إحداث ما يوجب خلعه والبراءة منه، ثمّ قتله، لوجب على الصحابة أن يدافعوا عنه ويمنعوا من قتله، وقد كان حينذاك في المدينة كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولم ينكروا على الغاضبين.

بدليل ما روي عن أميرالمؤمنين عليعليه السلام حين قُتل عثمان، قال: إنّ أُناس يزعمون أنّي قتلت عثمان. فلا والذي لا إله إلا هو، ما قتلته، ولا مالأت على قتله، ولا أسائني.[2]

---

١. تاريخ الطبري: ج٣ ص٥٧٠.

٢. تاريخ المدينة للنميري: ج٤ ص١٢٦٣، عليعليه السلام يخطب ويُقسم على براءته.

كما يُذكر أنّه تُرك بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفن،[١] ثمّ بعد ذلك دفن في «حشّ كوكب» أحد مقابر اليهود.

روى الطبري عن أبي بشير العابدي، إنّه قال: نُبذ عثمان ثلاثة أيام لا يُدفن، ثمّ أنّ حكيم بن حزام، ثمّ أحد بني أسد بن عبد العُزّى وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كلّما علياًعليه السلام في دفنه، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل وأذن لهم عليعليه السلام. فلّما سُمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له «حشّ كوكب» كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما خرج به على الناس، رجموا سريره بالحجارة، وهمّوا بطرحه، فبلغ ذلك علياًعليه السلام، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفّن عنه، ففعلوا، فانطلق حتى دُفن في «حشّ كوكب» فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس، أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره، حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين.[٢]

وقد أورد ابن قتيبة، والمسعودي، وابن عساكر، والسيوطي: إنّه قال معاوية لأبي الطفيل عامر بن واثلة: أكنت ممّن قتل عثمان؟ قال: لا، ولكن ممّن شهده فلم ينصره، قال: ولِم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار.[٣]

وقد روى ابن عبد البر في الاستيعاب، قال: لما قُتل عثمان، اُلقي على المزبلة ثلاثة أيام، فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلا، فيهم: حويطب بن عبد العُزّى

---

١. وقد أجاد الشيخ الأمينيرحمه الله في كتاب الغدير: ج٩ ص١٦٣. عند تحليله للقضية وما يستفاد منها، فراجع.

٢. انظر تاريخ الطبري: ج٣ ص٤٣٨، ذكر الخبر عن الموضع الذي دُفن فيه عثمان.

٣. الإمامة والسياسة: ج١ ص١٥٨. ومروج الذهب: ج٢ ص٦٢. وتاريخ دمشق: ج٧ ص٢٠١. وتاريخ الخلفاء: ص١٣٣.

وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم، فلما ساروا إلى المقبرة ليدفنوه، ناداهم قوم من بني مازن: والله، لئن دفنتموه هاهنا لَنُخبرنّ الناس غداً. فاحتملوه حتى ساروا به إلى «حشّ كوكب» فاحتفروا له.. الخبر.[١]

الخلاصة

فما ذكرنا لا يعدو كونه غيضاً من فيض ما قد ذُكر في كتب القوم المعتمدة، فيما كان من أمر الثلاثة الذين امتطوا صهوة الخلافة بلا إذن أو استحقاق.

ولكن، لو بحثت، ودقّقت ثم قارنت، فهل تجد في سماء علي وآل علي عليهم السلام من تفاوت؟ ولو أرجعت الفؤاد، هل تجد من فطور؟ ثم لو أرجعت الفؤاد كرّتين، لانقلب إليك الفؤاد موقناً بصدق النبي الكريم صلى الله عليه وآله في قوله: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد.[٢] ولتجلّى لك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى﴾[٣].

فما لكم متهوكون؟!

---

١. الاستيعاب: ج١ ص٣٢٢، ترجمة عثمان بن عفان.

٢. ذخائر العقبى للطبري: ص١٧.

٣. سورة يونس، الآية: ٣٥.

فصل في

نبذة من سيرة الأمويين

إنّ تاريخ بني أميّة حافل بالجرائم والمفاسد والآثام، سواء كان قبل الإسلام أم بعده، وكما وصفهم أميرالمؤمنين علي عليه السلام حين اختزلهم برأسين من أعتى شياطينهم، قائلاً: فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني،[1] وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق بن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمسلمين عدواً هو وأبوه، حتى دخلا في الإسلام كرهاً.[2]

يعضده ما رواه ابن حجر في الإصابة، بسنده عن أبي مسفر، إنّه قال: لمّا رأى أبو سفيان الناس يطئون عقب رسول الله صلى الله عليه وآله، حسده، فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل!! فضرب الرسول صلى الله عليه وآله في صدره، ثمّ قال: إذ يخزيك الله. فقال: أستغفر الله وأتوب إليه، والله، ما تفوهّت به، ما هو إلا شيء حدثت به نفسي.[3] وقوله: تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار... وقوله لقائده: ها هنا ذببنا محمداً وأصحابه.[4] إلى غير ذلك ممّا شهدت به كتب التواريخ والسير على بقائه على كفره وعدائه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمسلمين.

وفي إشارة خاطفة لموبقات بعض ممّن زعم منهم أنّه خليفة الله ورسوله في الأرض! نبدأ بقليل من كثير ممّا ورد في رأس ملوكهم معاوية بن أبي سفيان، من خلال بيان سيرته المشهورة بالإلحاد والظلم والفساد.

---

١. إشارة إلى رأسين من رؤس الناكثين، طلحة والزبير.

٢. تاريخ الطبري: ج٤ ص٤، سنة سبع وثلاثين.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة: ج٣ ص٣٣٢ رقم ٤٠٦٦، ترجمة صخر بن حرب بن أميّة.

٤. تاريخ الطبري: ج٨ ص١٨٥، ثمّ دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين.

معاوية بن أبي سفيان

يُعد ابن هند في غنى عن إفاضة القول في مخاريقه وموبقاته، لما عرفته الأمّة الإسلامية من نفسيته الموبوءة، وأعماله الوبيلة، وجرائمه الموبقة، ورذائله الكثيرة، فضلا عن نسبه الموصوم،[١] وأصله اللئيم، ومحتدّه الدنيء.

يؤكّده ما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام جوابا منه إليه، يقول فيه: ولكن ليس أميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق،[٢] ولا المحقّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل.[٣]

نعم، كان معاوية قد نُسب إلى أربعة من قريش، وهم: عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ومسافر بن أبي عمروا، والعباس بن عبد المطّلب، وأبو سفيان بن حرب، وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان، وعمارة بن الوليد كان أجمل رجالات قريش.

---

١. الوصم: العيب في الحسب، ورجل موصوم الحسب: إذا كان معيباً.

٢. الصريح: هو الولد الصلبي. واللصيق: هو الدعي المتبنّى. في إشارة إلى أنّ أميّة لم يكن من صلب عبد شمس بن عبد مناف بالولادة، بل كان غلاماً رومياً فتبنّاه عبد شمس، فكان لصيقاً بقريش ولم يكن قرشيّاً صميماً، دليله: إنّ جبير بن مطعم وعثمان بن عفّان جاءا إلى النبي، فقالا: يا رسول الله، قسمت لإخواننا بني المطّلب بن عبد مناف ولم تعطنا شيئاً، وقرابتنا مثل قرابتهم!! فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما أبناء هاشم والمطّلب واحد!

قال جبير: ولم يُقسم رسول الله صلى الله عليه وآله لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من ذلك الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم وبني المطّلب. ذكره النسّائي في السنن الكبرى: ج٣ ص٤٥ رقم٤٤٣٨. كذلك يمكنك أن تراجع ما كان من أمر استبعاده صلى الله عليه وآله لبني عبد شمس وبني نوفل من الخمس، وقسمته في بني هاشم وبني المطّلب كل من مسند أحمد: ج٤ ص٨٥. وسنن أبي داود: ج٢ ص٢٥ رقم٢٩٧٨. وسنن ابن ماجة: ج٢ ص٩٦١ رقم٢٨٨١، باب قسمة الخمس. وكنز العمّال للهندي: ج١٢ ص٧٠ رقم٣٤٠٤٤. والمعجم الكبير للطبراني: ج٢ ص١٤٠. وغيرهم.

٣. شرح نهج البلاغة لعبده: ج٣ ص١٧. وشرح نهج البلاغة: ج١٥ ص١١٧.

قال الكلبي: إنّ عامّة الناس على أنّ معاوية منه ـ مسافر بن أبي عمرو ـ لأنّه كان أشدّ الناس حبّاً لهند، فلما حملت بمعاوية، خاف مسافر أن يظهر أنّه منه، فهرب إلى ملك الحيرة[1] فأقام عنده، ثم إنّ ابا سفيان قدم الحيرة، فلقيه مسافر وهو مريض من عشقه لهند، فسأله عن أهل مكّة فأخبره،

وقيل: إنّ أبا سفيان تزوج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكّة، فقال له أبو سفيان: إنّي تزوجت هنداً بعدك، فازداد مرضه، وجعل يذوب، فوصف له الكي، فأحضروا المكاوي والحجّام، فبينما الحجّام يكويه، إذ حبق الحجّام، فقال مسافر: قد يحبق العير والمكواة في النار. فصارت مثلاً، ثم مات مسافر من عشقه لهند.[2]

وقال الكلبي: كانت هند من المغيلمات. وكانت تميل إلى السودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته! قال: وجرى بين يزيد بن معاوية وبين اسحاق بن طابة بين يدي معاوية ـ وهو خليفة! ـ فقال يزيد لإسحاق: إنّ خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنّة ـ أشار يزيد إلى أنّ أُم اسحاق تُتّهم ببعض بني حرب ـ فقال له إسحاق: إنّ خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلّهم الجنّة! فلم يفهم يزيد قوله، وفهم معاوية. فلما قام إسحاق، قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق. قال: وهو كذلك أيضاً. قال: وكيف؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش الجاهلية يزعمون أني للعباس؟ فسقط في يدي يزيد.

وقال الشعبي: وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هند يوم فتح مكّة بشيء من هذا،

---

١. الحيرة: مدينة كانت على ثلاث أميال من الكوفة، على موضع يقال له: النجف. (معجم البلدان).

٢. تذكرة سبط ابن الجوزي: ص١٨٤. عن الأصمعي والكلبي في المثالب.

فإنّها لما جاءت تبايعه وكان قد أهدر دمها، فقالت: على ما أبايعك؟ فقال صلى الله عليه وآله: على أن لا تزنين....[١]

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: وكان معاوية يعزى إلى أربعة:

إلى مسافر بن أبي عمر[٢]، والى عمارة بن الوليد والى العباس بن عبد المطّلب، والى الصباح ـ مُغنّي أسود لعمارة ـ قالوا: وكان أبو سفيان دميما، قصيراً وكان الصباح عسيفا[٣] لأبي سفيان، شاباً وسيماً، فدعته هند إلى نفسها. وقالوا: إنّ عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً، وإنّها كرهت أن تضعه في منزلها، فخرجت إلى أجياد، فوضعته هناك.[٤]

وفي ذلك قال حسّان بن ثابت:

لمن الصبي بجانب البطحاء ... في الترب ملقىً غير ذي مهد

نجلت به بيضاء آنسة ... من عبد شمس صلتة الخد[٥]

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كانت هند تذكر في مكّة بفجور وعُهر. ثم يذكر ما للزمخشري في كتاب ربيع الأبرار[٦]

ويقول أيضاً: وفي كتاب لزياد بن أبيه مجيباً معاوية عن تعييره إياه بأمّه سمية: وأمّا تعييرك لي بسمية، فان كنتُ ابن سمية فأنت ابن جماعة.[٧]

---

١. تذكرة سبط ابن الجوزي: ص١٨٥، والغدير: ج١٠ ص١٧٠.

٢. في الأصل: أبي عمرو بن مسافر، والصواب ما أثبتناه.

٣. العسيف: الأجير. وعسف فلاناً: استخدمه.

٤. ربيع الأبرار: ج٤ ص٤٤٧. باب القرابات والانساب وذكر حقوق الآباء والأمهات وصلة الرحم والعقوق.

٥. نجلت به: ولدته، وصلتة الخد: الأملس. وفي الأصول (صلبة) تصحيف.

٦. شرح نهج البلاغة: ج١ ص٣٣٦.

٧. شرح نهج البلاغة: ج١٦ ص١٨٣.

وأخرج أبو الفرج الإصبهاني في الأغاني، قال: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن الهيثم بن عدي، قال: حجّ معاوية ـ في خلافته ـ فرأى شخصاً يصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال معاوية من هذا؟ قالوا: شعبة[١] بن غريض ـ وكان من اليهود ـ فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسوله، فقال: أجب أميرالمؤمنين. قال: أوليس قد مات أميرالمؤمنين قبل!؟ قال: فأجب معاوية. فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة. فقال له معاوية: ما فعلت بأرضك التي بتيماء[٢]؟ قال: يُكسى منها العاري، ويُرد فضلها على الجار... قال: أجل، وإذ بخلت بأرضك، فأنشدني شعر أبيك يرثي نفسه. فقال: قال أبي:

يا ليت شعري حين أندب هالكاً ... ماذا تؤبنني به أنواحي

أيقلن لا تبعد فربّ كريهة ... فرجتها ببشارة وسماح

ولقد ضربت بفضل مالي حقّه ... عند الشتاء وهبة الأرواح

ولقد أخذت الحقّ غير مخاصم ... ولقد رددت الحقّ غير ملاح

فقال معاوية: أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك. قال: كذبت ولؤمت. قال: أمّا كذبت، فنعم، وأمّا لؤمت، فلِم؟

قال: لأنّك كنت ميّت الحق في الجاهلية، وميّته في الإسلام، أمّا في الجاهلية، فقاتلت النبيﷺ والوحي، جعل الله كيدك المردود، وأمّا في الاسلام، فمنعت ولد رسول الله الخلافة. وما أنت وهي؟ وأنت طليق ابن طليق.[٣]

وقد ذكره العسقلاني مختصراً في الإصابة من طريق آخر، عن ابن الزبير، جاء

---

١. كذا في الأغاني، والصحيح كما ضبطه ابن حجر في الإصابة: سعنة: بالمهملة والنون. ويقال: بالمثناة التحتانية. وعريض: بالمهملة أيضاً.

٢. تيماء: محل بين الحجاز والشام.

٣. الأغاني: ج٣ ص١٨.

فيه: دار كلام بينهما فيه ذكر علي عليه السلام فغضب ابن عريض من معاوية، فقال معاوية: ما أراه إلا قد خرف! فأقيموه. فقال: ما خرفت. ولكن انشدك الله يا معاوية! أما تذكر بأنا كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء علي عليه السلام فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله فقال: قاتل الله من يقاتلك، وعادى من يعاديك؟![1]

ولهذا أشار أميرالمؤمنين علي عليه السلام ليُعرّفه أنّما هو ميّت الحق في الجاهلية والإسلام، قائلاً له: متى كنتم يا معاوية! ساسةً للرعيّة، أو ولاةً لأمر هذه الأمّة.[2]

كما تأكّد حين وصفهم عمّار بن ياسر يوم صفّين، وذكر أمرهم وأمر الصلح، فقال: والله، ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر، فلمّا رأوا عليه أعواناً، أظهروه.[3]

أبى الله ورسوله صلى الله عليه وآله والمؤمنون، أن يكون ربيب الفسوق والفجور والفحشاء، معاوية ومَن على شاكلته خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وقائم مقامه.

ومع هذا، فلا وزن ولا قيمة لما وضعه له مرتزقته وأبواقه الرعاع، من السفاسف والخزعبلات المنسوجة بعيدان الباطل والزور، تجاه ما أُثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من كلام في معاوية وقرابته، فضلا عمّا جاء فيه من الأقوال للسلف الصالح حينما وصفوا أعماله البشعة[4] الخبيثة، خصوصاً وهم المستبصرون في أمره، العارفون بنواياه، سواء في جاهليته أواستسلامه. وإليكم نبذة منها:

---

١. الإصابة في تمييز الصحابة: ج٣ ص٨٢، رقم ٣٢٥٤، ترجمة سعنة بن عريض.

٢. كتاب صفّين للمنقري: ص١٠٩. وشرح نهج البلاغة: ج١٥ ص٧٩.

٣. مجمع الزوائد للهيثمي: ج١ ص١١٣، باب: تُحشر كل نفس على هواها.

٤. البشع: الخشن، ورجل بشيع النفس: أي، خبيث النفس. لسان العرب لإبن منظور: ج٨ ص١١ «مادّة بشع».

لعَنَهُ رسول اللهﷺ

روي عن علي بن الأقمر، عن عبد الله بن عمر، قال: خرج رسول اللهﷺ من فج، فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه، أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول اللهﷺ قال: اللهم إلعن القائد والسائق والراكب.

قلنا: أنت سمعت رسول اللهﷺ؟

قال: نعم، وإلا صمّتا أذناي.[١]

وروي عن البراء بن عازب، قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول اللهﷺ: اللهم، إلعن التابع والمتبوع. اللهم، عليك بالأقيعس.

فقال ابن البراء لأبيه: مَن الأقيعس؟

قال: معاوية.[٢]

كما كان عليعليه السلام اذا صلّى الغداة، يقنت فيقول: اللهم، إلعن معاوية، وعمرواً، وأبا الأعور السلمي، وحبيباً، وعبد الرحمن بن خالد، والضحّاك بن قيس، والوليد. وكانت عائشة تدعو في دبر الصلاة، على معاوية.[٣]

من كتاب لأميرالمؤمنين، وسيّد الوصيين، وقائد الغرّ المحجّلين عليعليه السلام إلى ابن آكلة الأكباد معاوية: أتاني كتابك، كتاب امرءٍ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى، فأجابه. وقاده الضلال، فأتبعه.[٤]

ولهعليه السلام إليه أيضاً: فأقلع عمّا أنت عليه من الغي والضلال على كبر سنّك،

---

١. كتاب صفّين للمنقري: ص٢٤٧. وتاريخ الطبري: ج٨ ص١٨٥، ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين.

٢. كتاب صفّين للمنقري: ص٢٤٤.

٣. الغدير: ج٢ ص١٣٢ـ١٣٣، وج١٠ ص١٥٧.

٤. العقد الفريد للأندلسي: ج٢ ص٢٢٣. والكامل للمبرّد: ج١ ص١٥٢. وكتاب صفّين للمنقري: ص٦٤. والإمامة والسياسة للدينوري: ج١ ص٧٧.

وفناء عمرك.[١]

إرتكاسه في الفتنة

روى إمام الحنابلة في مسنده، ونصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفّين، من طريق أبي برزة الأسلمي، والطبراني في الكبير من طريق ابن عباس، قال:

كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر، وهو يقول: ولا يزال جوادي تلوح عظامه..

فقال النبي ﷺ: انظروا من هذا؟

فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص.

فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: اللهم، أركسهما في الفتنة ركساً[٢].[٣]

موته على غير ملّة الإسلام

روي: إنّ رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفجّ رجل من أمّتي، يموت على غير ملّتي. فطلع معاوية.[٤]

ولفظ ابن مزاحم في كتاب صفّين: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت حين يموت على غير ملّتي وسنّتي....[٥]

يؤيده ما خاطبه به أميرالمؤمنين عليه السلام حين أرسل إليه قائلاً في أمر التحكيم:

---

١. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٦ ص١٣٣.

٢. الركس: قلب الشيء على رأسه، أو ردّ أوّله على آخره. لسان العرب لإبن منظور: ج٦ ص١٠٠«مادّة ركس».

٣. مسند أحمد: ج٤ ص٤٢١. وكتاب صفّين: ص٢٤٤. المعجم الكبير: ج١١ ص٣٢، طاووس عن ابن عباس.

٤. تاريخ الطبري: ج٨ ص١٨٦، ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين.

٥. كتاب صفّين: ص٢٤٧.

وقد دعوتنا إلى حكم القرآن، ولست من أهله، ولسنا إياك أجبنا، ولكنّا أجبنا القرآن في حكمه.[١]

وقوله عليه السلام له: أمّا بعد، فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحق أساطير الأولين، ونبذتموه وراء ظهوركم، وحاولتم إطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.[٢]

ومن خطبة له عليه السلام في الدعوة إلى جهاد ابن هند: نحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه، وتناول ما ليس له وما لا يدركه، معاوية وجنده، الفئة الباغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدليهم بغروره.[٣]

ومن كتاب لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله الأكبر وريحانته، الحسن بن علي عليهما السلام إلى معاوية، قال فيه: اليوم فليتعجب المتعجب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الاسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه، والله حسيبك، فستردّ وتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقين قليل ربك ثم ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.[٤]

وفي جوابٍ له عليه السلام رداً على وقاحة معاوية حينما قال على منبر المدينة: مَن ابن علي؟ ومَن علي؟

فقام الإمام الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث

---

١. نهج البلاغة: ج٣ ص٧٨، رقم ٤٨.

٢. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٦ ص١٣٥.

٣. كتاب صفّين للمنقري: ص١٢٦.

٤. مقاتل الطالبيين للإصفهاني: ص٢٢. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٦ ص٣٤. وجمهرة الخطب للعسكري: ج٢ ص٩.

بعثاً إلا وجعل له عدواً من المجرمين، فأنا ابن علي، وانت ابن صخر، وأمك هند، وأمي فاطمة، وجدتك فتيلة، وجدتي خديجة، فلعن الله الأمنا حسباً، وأخملنا ذكراً، وأعظمنا كفراً، وأشدنا نفاقاً. فصاح أهل المسجد: آمين، آمين...[١]

وخطب ابن عباس في البصرة، فقال: أيّها الناس، استعدوا للمسير إلى أمامكم، وانفروا في سبيل الله خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإنّكم تقاتلون المخلّين القاسطين الذين لا يقرؤن القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب، ولا يدينون دين الحق.[٢]

ومن كلام لإبن عباس أيضاً في صفّين: إنّ ابن آكلة الأكباد، قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على علي بن أبي طالب، ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهره، وأوّل ذكر صلّى معه، بدري، قد شهد مع رسول الله ﷺ كل مشاهده التي فيها الفضل، ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام... لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ وعلي يقول: صدق الله ورسوله، ومعاوية وأبو سفيان يقولان: كذب الله ورسوله....[٣]

ومن كلام لعمّار بن ياسر في معاوية: يا أهل الاسلام، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين.. وإنّا والله، لنعرفه بعداوة المسلم، ومودّة المجرم، ألا وإنّه معاوية، فالعنوه، لعنه الله، وقاتلوه، فإنّه ممّن يطفئ نور الله، ويُظاهر أعداء الله.[٤]

ومن كلام لعبد الله بن بديل في ابن هند: إنّ معاوية ادّعى ما ليس له، ونازع

---

١. المستطرف للأبهيشي: ج١ ص١٥٧. والإتحاف للسيوطي: ص١٠.
٢. كتاب صفّين للمنقري: ص١٣٠ـ١٣١.
٣. كتاب صفّين للمنقري: ص٣٦٠. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٥ ص٢٥١.
٤. تاريخ الطبري: ج٦ ص٧. وكتاب صفّين للمنقري: ص٢٤٠. والكامل لإبن الأثير: ج٣ ص١٣٦.

الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض بـه الحـقّ، وصـال علـيكم بالأعراب والأحزاب، وزيّن لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم حـبّ الفتنـة، ولـبّس عليهم الأمر، وزادهم رجساً إلى رجسهم... قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله، وقد قاتلتهم مع النبيﷺ والله، ما هم في هـذه بـأزكى ولا أتقـى ولا أبـر، قوموا إلى عدو الله وعدوكم.[١]

ومن كلام لسعيد بن قيس: فوالله الذي بالعباد بصير، أن لو كان قائدنا حبـشياً مجدّعاً... إلا أنّ معنا من البدريين سبعين رجـلاً، ولكـن ينبغـي لنـا أن تحـسن بصائرنا، وتطيب أنفسنا، فكيف وإنّما رئيسنا ابن عمّ نبينا، بدري صـدق، صـلّى صغيراً، وجاهد مع نبيّكم كبيراً، ومعاوية طليق من وثاق الإسار، وابن طليـق، ألا أنّه أغوى جفاة، فأوردهم النار، وأورثهم العار... ألا أنّكم ـ شيعة العترة الطـاهرة ـ تفوزون بقتلهم، ويُشقون بقتلكم. والله، لا يَقتُل رجـل مـنكم رجـلاً مـنهم إلا أدخل الله القاتل جنات عدن، وأدخل المقتول ناراً تلظّى، لا يفتر عنهم وهم فيـه مبلسون.[٢]

ومن مقال لهاشم بن عتبة المرقال: سر بنا يا أميرالمؤمنين إلى هـؤلاء القـوم، القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عبـاد الله بغيـر رضا الله، فأحلّوا حرامه، وحرّمـوا حلالـه، واسـتهوى بهـم الـشيطان، ووعـدهم الأباطيل، ومنّاهم الأماني حتى أزاحهم عن الهـدى، وقـصد بهـم قـصد الـردى،

---

١. تاريخ الطبري: ج٦ ص٩. وكتاب صفّين للمنقري: ص٢١٣. والإستيعاب للأندلسي: ج١ ص٣٤٠. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٥ ص١٨٦. وجمهرة الخطب للعسكري: ج١ ص١٧٦.

٢. كتاب صفّين للمنقري: ص٢٦٦. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٥ ص١٨٩. وجمهرة الخطب للعسكري: ج١ ص١٧٩.

وحبّب إليهم الدنيا....[١]

وكتب قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري - عظيم الخزرج - إلى معاوية جواباً: أمّا بعد، فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الاسلام كرها، وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك.. ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيه.[٢]

أباح النبيﷺ قتله

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين، والطبري، والخطيب، وابن أبي الحديد، والمناوي، والسيوطي، والعسقلاني من طريق أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود مرفوعاً عنهﷺ: اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

وفي لفظ: يخطب على منبري فاقتلوه.

وفي لفظ: فاضربوا عنقه.

وفي لفظ أبي سعيد: فلم نفعل ولم نفلح.

وقال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا.[٣]

غدره وفجوره

ومن كلام لمولانا أميرالمؤمنين وإمام المتقين عليعليه السلام: والله، ما معاوية بأدهى

---

١. جمهرة الخطب للعسكري: ج١ ص١٥١.

٢. كامل المبرد: ج١ ص٣. والبيان والتبيين للجاحظ: ج٢ ص٦٨. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٧٣. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٦ ص٤٣. وعيون الأخبار لإبن قتيبة: ج٢ ص٢١٣. ومروج الذهب للمسعودي: ج٢ ص٦٢.

٣. كتاب صفّين للمنقري: ص٢٤٣ و٢٤٨. وتاريخ الطبري: ج١١ ص٣٥٧. وتاريخ بغداد للبغدادي: ج٢ ص١٨١. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٤ ص٣٢. وكنوز الحقائق للمناوي: ج١٠. واللئالي المصنوعة للسيوطي: ج١ ص٤٢٤. وتهذيب التهذيب للعسقلاني: ج٢ ص٢٤٨.

منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.[١]

تشبيهه بفرعون

وقال الأسود بن يزيد: قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله ﷺ في الخلافة؟

فقالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله، يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة، وكذلك غيره من الكفّار.[٢]

ولا يخفى ان تشبيه عائشة معاوية بفرعون وغيره من الكفّار في ملكه، يعرب عن سوء حال ذلك الملك العضوض ومالك أزمّته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾.[٣]

قتله المؤمنين

وكتب إليه الإمام السبط، الحسين بن علي عليهما السلام جواباً، قال فيه: أمّا بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه: إنّه انتهت إليك عنّي أمور. كذّب الغاوون المارقون.. حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم، ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكّدة، جرأة على الله واستخفافاً بعهده؟

---

١. شرح نهج البلاغة لعبده: ج٢ ص١٨٠.

٢. تاريخ ابن كثير: ج٨ ص١٣١.

٣. سورة هود، الآيات: ٩٧ـ٩٩.

أولست بقاتل عمرو بن الحمق، الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة، فقتلته ومن بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال؟

أولست المدّعي زياداً في الاسلام، فزعمت أنّه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول اللهﷺ أنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلّطته على أهل الإسلام، يقتلهم ويقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان الله، لكأنك لست من هذه الأمّة وليسوا منك.

أولست قاتل الحضرمي الذي كتب اليك فيه زياد أنّه على دين علي (كرم الله وجهه)؟ ودين علي هو دين ابن عمّهﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه،[1] ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منّة عليكم...

وإنّي لا أعلم للأمّة فتنة أعظم من إمارتك عليها، وإنّي والله، ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل، فإنّه قربة إلى ربّي، وإنّ لم أفعل، فاستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يُحب ويرضى... فكدني يا معاوية ما بدا لك، فلعمري لقديماً يُكاد الصالحون، وإني لأرجوا أن لا تضرّ إلا نفسك، ولا تمحق الا عملك... واعلم أنّ لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك الا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية....[2]

---

١. أي، الخيمة التي تحت ظلّها زعمت أنك ولي المسلمين، زوراً وبهتاناً، كما هو حال الذين تقمّصوا لباس الخلافة من غير نصّ، ولا مشورة، ولا انتخاب، بل ظلماً وعدواناً واغتصاباً.

٢. الامامة والسياسة للدينوري: ج١ ص١٣١. وجمهرة الخطب للعسكري: ج٢ ص٦٧.

إستخفافه بالعدالة والقيّم

إنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفّين، فتعلّق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أُخذت منّي بصفّين! فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه!! فقال الكوفي: أصلحك الله، إنّه جمل وليس بناقة! فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودسّ إلى الكوفي بعد تفرّقهم، فأحضره وسأله عن ثمن بعيره، ودفع إليه ضعفه، وأبره وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً أني أُقابله بمائة ألف، ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل.

ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفّين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال، وحملوه بها. وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: إنّ علياًعليه السلام هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن عليعليه السلام سنّة، ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير.[1]

أقول: فهل يُرتجى بمن يجد غصّة عند ذكر المصطفىصلى الله عليه وآله مقروناً بذكر الله في الآذان خمس مرّات؟! دليله ما أخبر به المغيرة بن شعبة ولده مطرف، قائلاً:

يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم! قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به. إنّك قد بلغت سنّاً يا أميرالمؤمنين! فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله، ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن، ذلك مم، ا يبقى لك ذكره وثوابه. فقال:

---

١. مروج الذهب للمسعودي: ج٢ ص٧٢.

هيهات هيهات! أيَ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم، فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإنّ ابن أبي كبشة ليُصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أنّ محمداً رسول الله. فأيّ عملي يبقى، وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله، إلاّ دفناً دفناً!![1]

استلحاقه لزياد بن سميّة

ففي جملة من ضروريات الدين المبين ما قابله ابن أبي سفيان ببدعته حين ألصق زياد بن سميّة بنسب أبي سفيان. مع علمه بما قاله رسول الله ﷺ بملأ فمه المبارك: الولد للفراش وللعاهر الحجر.[2] واتخذته الأمّة الإسلامية جمعاء أصلاً مسلّماً في باب الأنساب.

وصحّ عند الأمّة قول نبيها ﷺ: من ادّعى أباً في الإسلام غير أبيه، فالجنّة عليه حرام.[3]

وقوله ﷺ: لعن الله من ادّعى إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه. والولد للفراش وللعاهر الحجر.

وفي لفظ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، ألا من ادّعى إلى غير أبيه، او تولّى

---

١. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٥ ص١٣٠، أخبار متفرقة عن معاوية. ومروج الذهب للمسعودي: ج٤ ص٤١.

٢. صحيح البخاري: ج٢ ص١٩٩. وصحيح مسلم: ج١ ص٤٧١. وسنن الترمذي: ج١ ص١٥٠، وج٢ ص٣٤. وسنن النسّائي: ج٢ ص١١٠. وسنن أبي داود: ج١ ص٣١٠. وسنن البيهقي: ج٧ ص٤٠٢ و٤١٢.

٣. مسند أحمد: ج٥ ص٣٨ و٤٦. وسنن البيهقي: ج٧ ص٤٠٣.

غير مواليه رغبة عنهم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل.[١]

أقول: حين اقتضت سياسة ابن هند تحييد السنّة المحمديّة الغرّاء، راح مصرّحاً بأن جعل للعاهر فراش، ولابن الزنا نصيب، بإيهابه زياد بن سميّة لأبي سفيان، وذلك بعدما بلغ أشدّه، ووجد فيه من أهبّة الوقيعة في مواجهة أضداده.

نعم، إنّ أولاد حمامة، أمّ أبي سفيان. وهند، أمّ معاوية. والنابغة، أم عمرو بن العاص. والزرقاء، أمّ مروان بن الحكم. وسميّة، امّ زياد بن أبيه، وأولاد أضرابهن من المشهورات بالبغي ومن ذوات الأعلام، شأنهم أن يعادوا الله والرسول وأهل بيته وعترته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.[٢] فيخاصموهم، ويحاربوهم ويقاتلوهم، ولا يتوقع منهم غير ذلك، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

روى المسعودي في مروج الذهب، قال: ولما بويع معاوية، قدم زياد على معاوية، فصالحه على ألفي ألف، ثم أقبل فلقيه مصقلة بن هبيرة الشيباني وضمن له عشرين ألف درهم ليقول لمعاوية: إنّ زياداً قد أكل فارس براً وبحراً، وصالحك على ألفي ألف درهم، والله، ما أرى الذي يقال الا حقّاً.

فاذا قال لك: وما يقال؟ فقل: يقال: إنّه ابن أبي سفيان.

ففعل مصقلة ذلك، ورأى معاوية أن يستميل زياداً ويستصغي مودّته باستلحاقه، فاتفقا على ذلك وأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد.

وكان فيمن حضر: أبو مريم السلولي، فقال له معاوية: بم تشهد يا أبا مريم؟

---

١. مسند أحمد: ج٤ ص١٨٧ و١٨٩. ومسند أبي داود الطيالسي: ج١ ص١٦٩. والترغيب والترهيب للمنذري: ج٣ ص٢١.

٢. اشارة إلى آية التطهير، سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

فقال: أنا أشهد: إنّ أبا سفيان حضر عندي وطلب منّي بغيّاً، فقلت له: ليس عندي إلاّ سميّة. فقال: ائتني بها على قذرها ووضرها. فأتيته بها، فخلا معها، ثم خرجت من عنده وأن... فقال له زياد: مهلاً يا أبا مريم! إنّما بُعثت شاهداً ولم تُبعث شاتماً. فاستلحقه معاوية.[١]

أقول: انظروا يا أهل السنّة والجماعة إلى سيرة هذا الذي تقولون بخلافته، وتدّعون أنّه خليفة رسول الله ﷺ وكاتب وحيّه!! كيف يتعامل مع شريعة السماء المقدّسة، فتارةً يُبدّل، وأُخرى ينسخ، تبعاً لهوى نزواته وطيش رغباته!! وإليك ما قاله فيه بعض علماء أهل السنّة:

قال سعيد بن المسيّب: أوّل قضية ردّت من قضاء رسول الله ﷺ علانية، قضاء فلان ـ يعني معاوية ـ في زياد.[٢]

وقال الحسن: أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه ابنه بعده، سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حجراً، ويل له من حجر وأصحاب حجر. قالها مرّتين.[٣]

وقال السكتواري في محاضرة الأوائل: أوّل قضيّة ردّت من قضايا رسول الله ﷺ علانية: دعوة معاوية زياداً، وكان أبو سفيان تبرأ منه وأدعى أنّه ليس من

---

١. مروج الذهب: ج٢ ص٥٦. وذكره أيضاً تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٩٤. وتاريخ دمشق: ج٥ ص٤٠٩. والكامل لإبن الأثير: ج٣ ص١٩٢.

٢. تاريخ دمشق لإبن عساكر: ج٥ ص٤١٢. وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٣١.

٣. تاريخ الطبري: ج٦ ص١٥٧. وتاريخ دمشق: ج٢ ص٣٨١. والكامل لإبن الأثير: ج٤ ص٢٠٩. وابن كثير في البداية والنهاية: ج٨ ص١٣٠. ومحاضرات الراغب: ج٢ ص٢١٤.

أولاده، وقضى بقطع نسبه، فلما تأمّر معاوية، قرّبه واستأمره، ففعل ما فعل زياد بن أبيه ـ يعني، ابن زنيّة ـ من الطغيان والإساءة في حق أهل بيت النبوّة.

وفيه أيضاً: كان عمر إذا نظر إلى معاوية يقول: هذا ابن أبي سفيان، كسرى العرب. نعم، وهو أوّل من ردّ قضية من قضايا رسول الله ﷺ باستلحاقه زياداً، وزياد بن أبيه، أوّل من أساء اساءةً تفرّد بشينها في حق أهل البيت عليهم السلام.

وفيه أيضاً: كان قد تبرأ من زياد أبو سفيان، ومنع حقّه منه ميراث الإسلام.. فلا زال طريداً حتى دعاه معاوية، وقرّبه وأمّره، وردّ القضيّة. وهي أوّل قضيّة من قضايا الإسلام ردّت، ولذا صارت بليّة شنيعة، ومحنة فاحشة بين الأمّة. وأبغض الوسائل، تعدّيه على أفضل الملّة، وأحبّ العترة.[1]

وقال الجاحظ في رسالته العثمانية في بني أميّة: وعندها استوى معاوية على الملك، واستبدّ على بقيّة الشورى، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكيناه، وعلى منازل ما رتّبناه، حتى ردّ قضية رسول الله ﷺ ردّاً مكشوفاً، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش، وما يجب للعاهر، مع إجماع الأمّة على أنّ سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشاً، وإنّه إنّما كان بها عاهراً، فخرج ـ معاوية ـ بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار.[2]

وذكر ابن عبد ربّة في عقده، قال: فوجد زياد نفسه بعد حسبه الواطي، ونسبه

---

١. محاضرة الأوائل: ص١٣٦ و١٦٤ و٢٤٦.

٢. الرسالة العثمانية: ص٢٩٣.

الوضيع، بعد أن كان لا يعزى إلى أب معلوم عمراً طويلاً يقرب من خمسين عاماً، فيقال له: «زياد بن أبيه» أخا ملك الوقت، وابن من يزعم أنّه من شرفاء بيئته، وقد تسنّى له الحصول على مكانة رابية، فأعرق نزعاً في جلب مرضاة معاوية المحابي له بتلك المرتبة التي بمثلها حابت هند ابنها المردّد بين خمسة رجال، أو ستّة من بغايا الجاهلية، لكن آكلة الأكباد ألحقت معاوية بأبي سفيان لدلالة السحنة والشبه، فطفق زياد يلغ في دماء الشيعة، ولمعاوية من ورائه تصدية ومكّاء، وإنّ غلواء الرجل المحابي أعمته عن استقباح نسبة الزنا لأبيه يوم استحسن أن يكون له أخ مثل زياد، شديد في بأسه، يأتمر أوامره، وينتهي إلى ما يودّه من بوائق وموبقات، ولم يكترث لحكم الشريعة بحرمة مثل ذلك الإلحاق واستعظامها إياه، ولا يصيخ إلى قول النبيّ الصادقﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.[١]

معاوية والخمر

نقل إمام الحنابلة: بسنده من طريق عبد الله بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفراش، ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية ثم ناول أبي، قال أبي: ما شربته منذ حرّمه رسول اللهﷺ، ثم قال معاوية: كنت أجمل شاب قريش، وأجودهم ثغراً، وما شيء كنت أجد له لذّة كما كنت أجده وأنا شاب غير اللبن، أو انسان حسن الحديث يحدثني.[٢]

وذكر ابن عساكر في تاريخه: من طريق عمير بن رفاعة، عن أبيه: إنّ عبادة بن الصامت مرّت عليه قطارة وهو بالشام، تحمل الخمر، فقال: ما هذه؟ أزيت؟

---

١. العقد الفريد: ج٣ ص٣.

٢. مسند ابن حنبل: ج٥ ص٣٧٤. ورواه أيضاً ابن عساكر في تاريخ دمشق: ج٢٧ ص١٢٦، في ترجمة عبد الله بن بريدة اليحصبي.

قيل: لا، بل خمر تباع لفلان. فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلان إلى أبي هريرة، فقال: ألا تُمسك عنّا أخاك عبادة بن الصامت؟ أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق فيُفسد على أهل الذمّة متاجرهم، وأمّا بالعشي فيقعد بالمسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا أو عيبنا، فامسك عنّا أخاك.

فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة، فقال: يا عبادة، مالك ولمعاوية؟ ذره وما حمل، فإنّ الله يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾[١]. قال: يا أبا هريرة، لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ، بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله، لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه ممّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنّة، ومَن وفى، وفى الله له الجنّة ممّا بايع عليه رسول الله ﷺ، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه. فلم يكلّمه أبو هريرة بشيء....

وأخرج ابن عساكر في تاريخه أيضاً حديثاً آخر عن عبادة بن الصامت في معاوية والخمر، فراجع.[٢]

كما أخرج العسقلاني في الإصابة: من طريق محمد بن كعب القرظي، قال: غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان، ومعاوية أميراً على الشام، فمرّت به روايا خمر لمعاوية، فقام إليها برمحه، فنقر كل راوية منها، فناوشه الغلمان حتى بلغ شأنه معاوية، فقال: دعوه فإنّه شيخ قد ذهب عقله. فبلغه، فقال: كلا، والله ما ذهب عقلي، ولكنّ رسول الله ﷺ نهانا أن نُدخل بطوننا

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

٢. تاريخ دمشق: ج٢٦ ص١٩٧، ٢٠٠، ترجمة عبادة بن الصامت.

وأسقيتنا خمراً، وأحلف بالله، لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول اللهﷺ لأبدّ من بطنة،[١] أو لأموتنّ دونه.[٢]

من القصيدة الجلجلية

وعمرو بن العاص الذي هو شريك معاوية في جرائمه، وكان منه بمنزلة هامان من فرعون، بتشييده له صرح الحكم، يقول في جلجليته:

معاوية الحال لا تجهل — وعن سبل الحق لا تعدل

***

ولما عصيت إمام الهدى — وفي جيشه كل مستفحل

فبي حاربوا سيّد الأوصياء — بقولي: دمٌ طلّ من نعثل

وكدت لهم أن أقاموا الرماح — عليها المصاحف في القسطل

وعلمتم كشف سوءاتهم — لرد الغضنفرة المقبل

فقام البغاة على حيدر — وكفوا عن المشعل المصطلي

***

ولولاي كنت كمثل النساء — تعاف الخروج من المنزل

نصرناك من جهلنا يابن هند — على النبا الأعظم الأفضل

---

١. إشارة إلى ما رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ج١٤ ص١٢٩، في ترجمة النسّائي، ممّا ذكره الوزير ابن خنزابة، قال: سمعت محمد بن موسى المأموني ـ صاحب النسّائي ـ قال: سمعت قوماً يُنكرون على أبي عبد الرحمن النسّائي كتاب الخصائص لعليعليه السلام وتركه فضائل الشيخين! فذكرت له ذلك. فقال: دخلت دمشق، والمنحرفون بها عن علي كثير، فصنّفت كتاب الخصائص. فقيل له ـ وأنا أسمع ـ: ألا تُخرج فضائل معاوية!! فقال: أي شيء أُخرج؟ حديث: اللهم، لا تُشبع بطنه! فسكت السائل. وما نقله المعتزلي في شرح نهج البلاغة: ج٤ ص٧٩: عن القشيري: إنّ رسول اللهﷺ قال لمعاوية: لتتخذنّ يا معاوية البدعة سنّة، والقبيح حُسناً. أكلك كثير، وظلمك عظيم.

٢. الإصابة: ج٤ ص ٢٦٤، رقم ٥١٥٢، ترجمة عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، ولخّصه في تهذيب التهذيب: ج٦ ص١٧٣ رقم ٣٨٩، ترجمة عبد الرحمن بن سهل. وذكره ابن الأثير أيضاً في أُسد الغابة: ج٣ ص ٢٩٩، ترجمة عبد الرحمن بن سهل.

وحيث رفعناك فوق الرؤوس — نزلنا إلى أسف الأسفل
وكم قد سمعنا من المصطفى — وصايا مخصّصة في علي
وفي يوم خمّ رقى منبرا — يبلغ والركب لم يرحل
وفي كفّه كفّه معلنا — ينادي بأمر العزيز العلي
ألست بكم منكم في النفوس — باولى؟ فقالوا: بلى فافعل
فانحله إمرة المؤمنين — من الله مستخلف المنحل
وقال فمن كنت مولى له — فهذا له اليوم نعم الولي
فوال مواليه يا ذا الجلال — وعاد معادي أخ المرسل
ولا تنقضوا العهد من عترتي — فقاطعهم بيّ لم يوصل
فبخبخ شيخك لما راى — عرى عقد حيدر لم تحلل

***

وأنا وما كان من فعلنا — لفي النار في الدرك الأسفل
وما دم عثمان منج لنا — من الله في الموقف المخجل
وان علياً غداً خصمنا — ويعتزّ بالله والمرسل
يحاسبنا عن أمور جرت — ونحن عن الحق في معزل
فما عذرنا يوم كشف الغطاء — لك الويل منه غداً ثم لي
فانك من إمرة المؤمنين — ودعوى الخلافة في معزل
ومالك فيها ولا ذرة — ولا لجدودك بالأول
فان كان بينكما نسبة — فأين الحسام من المنجل
وأين الحصا من نجوم السماء — وأين معاوية من علي

وللتفصيل راجع كتاب الغدير للعلامة الكبير والمتتبع الخبير، الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله.[1]

---

١. الغدير: ج٢ ص١١٤ـ١١٨.

لعمر الحق، إنّ واحدة من هذه الشهادات كافية لتهشيم صورة ابن آكلة الأكباد، اللعين بن اللعين على لسان النبي الصادق الأمين ﷺ الذي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]، حين قال ﷺ: اللهم العن القائد والسائق والراكب.[٢] معاوية وأخاه وأباه.

نعم، فواحدة من تلك المثالب والمطاعن كافية للمنصف اللبيب بأن يحكم أن ليس في معاوية شيأً من المروءة والعدل، فكيف لو تظافرت جميعها في شخصه؟ خصوصاً وأنّها صدرت من النبي الأكرم ﷺ ومن خليفته ووصيه المطهر علي عليه السلام الذي كان بمنزلة نفسه ﷺ بلسان الذكر الحكيم،[٣] كما وصدرت من بعض سادات الصحابة وعظمائهم العدول.

اذاً، فمعاوية بتلك الشهادات الصادقة عن السلف الصالح، محكوم عليه بنصّ أقوالهم من دون أي تحريف وتحوير: بأنّه امرءٍ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه، وما أتى به من الضلالة ليس ببعيد الشبه ممّا أتى به أهله الكفرة المشركون، مصيره إلى اللظى، مبوأه النار، اللعين ابن اللعين، الفاجر ابن الفاجر، المنافق ابن المنافق، الطليق ابن الطليق، الوثن ابن الوثن، الجلف المنافق، الأغلف القلب، القليل العقل، الجبان الرذل، يخبط في عماية، ويتيه في ضلالة، شديد اللزوم للأهواء المبتدعة والحيرة المتبعة، أولجته نفسه شراً، وأقحمته غيّاً، وأوردته المهالك، وأوعرت عليه المسالك، فاسق مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، ابن آكلة الأكباد، الكذّاب العسوف، إمام الردى، عدو النبي ﷺ، ولم يزل عدواً لله

---

١. سورة النجم، الآيات: ٣ـ٤.

٢. تاريخ الطبري: ج١١ ص٣٥٧. وقعة صفّين للمنقري: ص٢٢٠.

٣. إشارة إلى آية المباهلة: سورة آل عمران، الآية: ٦١.

والسنّة والقرآن والمسلمين، رجل البدع والأحداث، كانت بوائقه تتقى، وكان على الاسلام مخوفا، الغادر الفاسق... مثله كمثل الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، لم يجعل الله له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الاسلام، القاسط النابذ كتاب الله وراء ظهره، كان شرّ الصغار وشرّ الرجال، كهف المنافقين، دخل في الاسلام كرهاً، وخرج منه طوعاً، لم يقدم إيمانه ولم يحدث نفاقه، كان حربا لله وللرسول، حزباً من أحزاب المشركين، أقوَل الناس للزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من رسول الله وسيلة، الغاوي اللعين، ليس له فضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله، أتاه فأسلم، وهو والله، راهب غير راغب، قُبض رسول اللهﷺ ومعاوية يُعرف بعداوة المسلم، ومودّة المجرم، يطفيء نور الله، ويظاهر أعداء الله، أغوى جفاة، فأوردهم النار وأورثهم العار، لم يكن في اسلامه بأبر وأتقى، ولا أرشد ولا أصوب منه في أيام شركه وعبادته للأصنام.

نعم، هذا هو معاوية عند رسول اللهﷺ، وعند أخيه وابن عمه، وصهره، ومن هو بمنزلة نفسه، أميرالمؤمنين وإمام المتقين، علي بن أبي طالبعليه السلام، وكذلك عند الصادقين الأخيار، الصالحين الأبرار، من الصحابة الكرامرضي الله عنهم، فشهادتهم على صحيفته السوداء، تؤكّد كلماتهم القيّمة تلك فيما صدر عنه من بوائق وجرائم وجنايات، وهي بمفردها حجج دامغة على سقوطه وانحلاله عن ربقة الإسلام، لأنها لا تليق وتنطبق إلا بمن تهاون بأمر الله ونهيه، وأغضى عن نواميس الدين وشرائع الإسلام، وتزحزح عن سنّة الله، وتعدّ وشذّ عن حدوده،

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١]، وإليكم نزر يسير على ما يزيد في تأكيد مقالتنا:

أخذه البيعة ليزيد

إنّ من موبقات معاوية وبوائقه، أخذه البيعة ليزيد على كره من أهل الحلّ والعقد، ومراغمة لبقايا المهاجرين والأنصار، وإنكار من أعيان الصحابة الباقين، تحت بوارق الإرهاب، ومعها طلاة المطامع لأهل الشره والشهوات.

لقد كان في خلد معاوية يوم استقرت به الملوكية، وتمّ له الملك العضوض، أن يتّخذ من يزيد ولي عهد له، ليؤسّس حكومة أمويّة مستقرّة في أبناء بيته، فلم يزل يروّض الناس لبيعته سبع سنين، يعطي الأقارب، ويُداني الأباعد، وكان يبتلعه طوراً، ويجتر به حيناً بعد حين، يُمهّد بذلك السبيل، ويسهّل حزونته.

الأمر الذي أدّى به لأن يقدم إلى المدينة في محاولة لتمهيد السبل أمام النفوس الرافضة لاستقبال ما يجيش به فكره، وينغّص خوف الفشل به صدره، فارسل حال وصوله إلى من كان يظن أنّ الحديث معهم بهذا الأمر أهون.

قال الدينوري: استخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى سنة خمسين... فأرسل إلى عبد الله بن العباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر.

فلما جلسوا تكلّم، وقال: أمّا بعد، فإنّي قد كبر سنّي، وقد رأيت أن استخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيته لكم رضا. وأنتم عبادلة قريش وخيارها وأبناء خيارها، ولم يمنعني أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنّهما أولاد أبيهما علي، على

---

١. سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

حسن رأيي فيهما...

فتكلّم عبد الله بن العباس، فقال: الحمد لله الذي ألهمنا أن نحمده، وأمّا بعد، فإنّك قد تكلّمت فأنصتنا، وقلت فسمعنا، وإنّ الله جل ثناؤه وتقدّست أسماءه اختار محمداً ﷺ لرسالته، واختاره لوحيه، وشرّفه على خلقه، فأشرف الناس من تشرّف به، وأولاهم بالأمر أخصّهم به، وإنّما على الأمّة التسليم لنبيّها إذ اختاره الله لها...

فقام عبد الله بن جعفر فقال: الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه... أمّا بعد، فإنّ هذه الخلافة إن أُخذ فيها بالقرآن فـ﴿أُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[١]، وإن أُخذ فيها بسنّة رسول الله ﷺ فأولوا رسول الله، وإن أُخذ بسنّة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول؟ وأيم الله، لو ولوه بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه، لحقّه وصدقه، ولأُطيع الرحمن، وعُصي الشيطان، وما اختلف في الأمّة سيفان، فاتق الله يا معاوية!... وأمّا ماذكرت من ابني عمّي، وتركك أن تحضرهما. فوالله، ما أصبت الحقّ، ولا يجوز لك ذلك، وإنّك لتعلم أنّهما معدن العلم والكرم، فقل أو دع...

فتكلّم عبد الله بن الزبير، فقال: الحمد لله الذي عرّفنا دينه، وأكرمنا برسوله... أمّا بعد، فإنّ هذه الخلافة لقريش خاصّة تتناولها بمآثرها السنيّة وأفعالها المرضيّة، مع شرف الآباء، وكرم الأبناء، فاتق الله يا معاوية، وأنصف من نفسك! فانّ هذا عبد الله بن العباس، ابن عمّ رسول الله ﷺ، وهذا عبد الله بن جعفر، ذي الجناحين، ابن عمّ رسول الله ﷺ وأنا عبد الله بن الزبير، ابن عمّة رسول الله ﷺ، وعليّ خلّف حسناً وحسيناً، وأنت تعلم من هما وما هما، فاتق الله يا معاوية!

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

فتكلّم عبد الله بن عمر، فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بدينه، وشرّفنا بنبيّهﷺ أمّا بعد، فإنّ هذه الخلافة ليس بهرقلية، ولا قيصرية، ولا كسروية، يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولو كان كذلك، كنت القائم بها بعد أبي. فوالله، ما أدخلني مع الستّة من أصحاب الشورى الا على أنّ الخلافة ليست شرطاً مشروطاً، وإنّما هي في قريش خاصّة، لمن كان لها أهلاً ممّن ارتضاه المسلمون لأنفسهم، مَن كان أتقى وأرضى...

فتكلّم معاوية، فقال: قد قلتُ وقلتم، وإنّه قد ذهبت الآباء وبقيت الأبناء، فابني أحبّ إلي من أبنائهم، وإنّما كان هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنّهم أهل رسول اللهﷺ، فلما مضى رسول اللهﷺ ولّى الناس أبا بكر وعمر، من غير معدن الملك والخلافة، ثم رجع الملك إلى لبني عبد مناف، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة، وقد أخرجك الله يا بن الزبير، وأنت يا ابن عمر منها، فأمّا ابنا عمّي هذان فليسا بخارجين من الرأي إن شاء الله.[١]

قال أبو عمر في الإستيعاب: كان معاوية قد أشار بالبيعة إلى يزيد في حياة الإمام الحسن عليه السلام وعرّض بها، ولكنّه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن عليه السلام.[٢]

قتلْه الإمام الحسن عليه السلام

ذكر الدينوري، إنّه: لما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق، بإحضار منه، وكان فيهم الأحنف بن قيس، دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، فقال

---

١. الإمامة والسياسة لإبن قتيبة: ج١ ص١٤٢ـ١٤٤. وكذلك رواه العسكري في جمهرة الخطب: ج٢ ص٢٣٣ـ٢٣٦. والعسقلاني في الإصابة: ج٢ ص٤٠٨. مع اختلاف في اللفظ.

٢. الإستيعاب للأندلسي: ج١ ص١٤٢.

له: اذا جلست على المنبر.. فاستأذنّي للقيام، فاذا أذنت لك.. واذكر يزيد، وقل فيه الذي يحق له، ثم ادعني إلى توليته من بعدي..

ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وثور بن معن السلمي، وعبد الله بن عصام الأشعري، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحّاك وأن يصدّقوا قوله، ويدعوه إلى يزيد.

ثم خطب معاوية، فتكلّم القوم بعده على ما يروقه من الدعوة إلى يزيد، فقال معاوية: أين الأحنف؟ فأجابه، قال: ألا تتكلم؟ فقام الأحنف، فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: إنّ الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان مؤتنف، ويزيد بن أميرالمؤمنين، نِعم الخلف، وقد حلبت الدهر أشطره يا أميرالمؤمنين! فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك، ثم اعص أمر من يأمرك، لا يغررك من يشير عليك، ولا ينظر لك وأنت أنظر للجماعة.. إنّ أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن عليه السلام حيّاً.

فغضب الضحّاك.. ثم قال: إنّ أهل النفاق من أهل العراق مروئتهم في أنفسهم الشقاق، وألفتهم في دينهم الفراق، يرون الحق على أهوائهم، كأنما ينظرون بأقفائهم.. فادفع رأيهم يا أميرالمؤمنين في نحورهم، وكلامهم في صدورهم، ما للحسن وذوي الحسن في سلطان الله.. هيهات! ولا تورث الخلافة عن كلالة...

ثم قام الأحنف، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أميرالمؤمنين!.. قد علمت أنّك لم تفتح العراق عنوة... ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك، فإن تف، فأنت أهل الوفاء، وإن تغدر، تعلم والله، إنّ وراء الحسن خيولاً جياداً، وذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً، إن تدنُ له شبراً من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر، وإنّك تعلم أنّ أهل العراق ما أحبّوك

منذ أبغضوك، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما.. والسيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفّين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم، أيم الله، إنّ الحسن لأحبّ إلى أهل العراق من علي.[١]

أقول: ولمّا استلزم الأمر على معاوية ضرورة تذليله كافّة الصعوبات والعراقيل التي ألزم بها نفسه، وتسهيلاً منه في تنفيذ مخططه للإستحواذ على زمام الأُمور من بعده، ووضعها بين يدي جروه يزيد، خصوصاً تلك المواثيق والعهود التي أعطاها للإمام الحسنعليه السلام، قام بكل ما من شأنه الوصول به إلى مراده، مستخدماً لذلك مبدأ الغاية تبررالوسيلة، بأبشع صوره، وأحط مظاهره، فبادر أوّل ما بادر إليه أن قتل الإمام الحسنعليه السلام، وجعل ما عهده لهعليه السلام تحت قدميه.

قال أبو الفرج: أراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي، وسعد بن أبي وقّاص، فدسّ إليهما سمّا، فماتا منه.[٢]

وبقتله الإمام الحسنعليه السلام، تنفّس معاوية الصعداء، وأظهر السُرور، حتى سجد وسجد من كان معه! فبلغ ذلك عبد اللة بن عباس، وكان بالشام، فدخل على معاوية، فلمّا جلس، قال معاوية: يا بن عباس، هلك الحسن بن عليّ فقال ابن عباس: نعم، هلك «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»... ولقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته! أما والله، ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك، ولإن أُصبنا به، لقد أُصبنا بمن كان خيراً منه، جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله... ثم قال: يا بن عباس، أصبحت سيّد قومك من بعده. فقال ابن عباس: أمّا ما أبقى الله أبا عبد الله، فلا. قال معاوية: لله أبوك، ما استنبأتك إلا

---

١. الإمامة والسياسة: ج١ ص١٣٨ـ١٤٢.

٢. مقاتل الطالبيين للإصفهاني: ص٢٩.

وجدتك معدّ.[١]

وبذلك يكون قد أزال عن كاهله ثقلاً عظيماً، غير أنّ حصاً صغيرة برزت له في خضم سروره، عكّرت عليه صفو ذلك السرور، تجسّدت بتلويح زياد بن سميّة له بالمعارضة في يزيد من بعده؟

قال ابن كثير في تاريخه: فكتب معاوية إلى زياد يستشيره في الأمر، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد، فبعث من ينبئ رأيه عن ذلك، وهو عبيد بن كعب النميري ـ وكان صاحباً أكيداً لزياد ـ فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أوّلا، فكلّمه عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك، فإنّ تركه خير له من السعي فيه، فانزجر يزيد ممّا يريد من ذلك، واجتمع بأبيه واتفقا على ترك الأمور في هذا الوقت، فلما مات زياد شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه، وعقد البيعة ليزيد، وكتب إلى الآفاق بذلك.[٢]

قال المدائني: ولما مات زياد سنة٥٣ وكان يكره تلك البيعة، أظهر معاوية عهداً مفتعلاً ـ على زياد ـ فقرأه على الناس، فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وأراد بذلك أن يسهّل بيعة يزيد.[٣]

كتاب معاوية إلى مروان

ثم لم يلبث معاوية بعدما قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن عليه السلام إلا يسيراً أن بايع ليزيد بالشام، وكتب بيعته إلى الآفاق، وكتب إلى مروان بالمدينة ـ قبل

---

١. الإمامة والسياسة للدينوري: ج١ ص١٩٦، موت الحسن عليه السلام. وذكره اليعقوبي في تاريخه: ج٢ ص٢٢٥، وفات الحسن عليه السلام. وغيرهما.

٢. تاريخ ابن كثير: ج٨ ص٧٩.

٣. راجع تاريخ الطبري: ج٦ ص١٧٠، دعاء معاوية إلى بيعة ابنه يزيد من بعده وجعله ولي العهد. والعقد الفريد للأندلسي: ج٢ ص٣٠٢.

أن يعزله عنها ويولّي سعيد بن العاص ـ[1]: إنّي قد كبرت سنّي، ودقّ عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمّة بعدي، وقد رأيت أن أتخيّر لهم من يقوم بعدي... فاعرض ذلك عليهم ـ أي، على أهل المدينة ـ وأعلمني بالذي يردون عليك. فقام مروان في الناس فأخبرهم به..

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد. فقام مروان فيهم، وقال: إنّ أميرالمؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده!

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمّة محمدﷺ ولكنّكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كما مات هرقل قام هرقل..

وقام الإمام الحسين عليه السلام فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر، وابن الزبير، فكتب مروان بذلك إلى معاوية، وكان معاوية قد كتب إلى عمّاله بتقريظ يزيد ووصفه، وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار.[2]

---

١. لقد تباينت الآراء والآثار على ألسن المؤرخين في موقف مروان من بيعة يزيد! ومهما يكن، فعزل مروان من قبل معاوية، رغم ما كان يمثّله من الوجه الآخر لعملة وجهها الأوّل معاوية، لم يعد عن سببين: أوّلهما: خداعه لمعاوية في جوابه على أنّ الناس قد رضوا، وبايعوا ولاية العهد ليزيد. وثانيهما: ردّه لمعاوية بعدم قبول قريش، فضلاً عن المسلمين في المدينة، ورفضهم تولية يزيد بعد معاوية على رأس المسلمين.

والراجح هو ماذكرناه أوّلاً، لأنّ الإخبار بحقائق الأمور لاتحفّز شهية معاوية على تغيير ولاته وعمّاله، بدليل إبقائه سعيد بن العاص على إمارته، وقد أخبره بحقيقة رفض قريش والناس أجمعين، ولاية العهد ليزيد.

٢. العقد الفريد للأندلسي: ج٢ ص٣٠٢. والكامل لابن أثير: ج٣ ص٢١٤.

كتاب معاوية إلى سعيد بن العاص

ثم كتب معاوية إلى سعيد بن العاص، وهو على المدينة، يأمره أن يدعوا أهل المدينة إلى البيعة، ويكتب إليه بمن سارع ممّن لم يسارع. فلمّا أتى سعيد بن العاص، دعى الناس إلى بيعة يزيد، وأظهر الغلظة، وأخذهم بالعزم والشدّة، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك، فأبطأ الناس عنها، إلا اليسير، لا سيّما بني هاشم، فإنّه لم يُجبه منهم أحد... فكتب سعيد إلى معاوية: أمّا بعد... وإنّي أُخبرك أنّ الناس عن ذلك بطاء، لا سيّما أهل البيت من بني هاشم، فإنّه لم يجبني منهم أحد...

فكتب معاوية إلى سعيد: أمّا بعد، فقد أتاني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة، ولا سيّما بني هاشم... وانظر حسيناً خاصّة، فلا يناله منك مكروه، فانّ له قرابة، وحقّاً عظيماً، لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لا نقوى عليه....[1]

نعم، لايخفى أنّ ما أمر به معاوية سعيد بن العاص في الحيلولة دون أن يُصيب الحسين عليه السلام مكروهاً، إنّما هي كلمة حق أراد بها باطلاً، فكان معاوية آخوف ما يخافه، اندراس حكومته، وضياع هيبة ملكه من بعده، لعلمه بمكانة الحسين عليه السلام عند المسلمين.

وكما هو ديدن المنافقين ودأبهم، فمعاوية ومَن لفّ لفّه إنّما يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، إذ لا ريب فيه أنّ للحسين وأخيه وأُمّه وأبيه عليهم السلام قرابةً وحقّاً عظيماً من رسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة، لا ينكرهما حتى معاوية ومَن هو على شاكلته، ممّن تأسّى بمن تجرأ على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فأحطّوا من قدر آل البيت عليهم السلام، بعد

---

١. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص١٤٤ـ١٤٦.

أن أوحى الله تعالى في محكم التنزيل بوجوب مودّتهم،[١] وتنكّروا لأبسط حقوقهم، وقد أنظرهم رسول اللهﷺ لكيفية إخلافه لهم من بعده.[٢]

فحاربوهم، ولم ينتهوا. وشرّدوا بهم، ولم يرعووا، بل حتى اغتصبوا حقّهم، لمّا طعنوا في مصداق قولهم، ورُدّت شهادتهم، كما في قضيّة الخلافة وفدك، فاستحقّوا بذلك أن يكونوا كما أخبر المولى سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٣]، بتضيّعهم لتلك القرابة القريبة من النبيﷺ، وإنكارهم لذلك الحقّ العظيم، وقطعهم للرحم الماسّة التي طالما أوصى رسول اللهﷺ مؤكّداً على مودّتهم وعدم القطيعة بهم.

مجيء معاوية إلى المدينة

بعد أن صفى الوقت لمعاوية بقتله الإمام الحسن عليه السلام نهض بحشد من جلاوزته نحو المدينة، آملاً بذلك تذليل ما يمكن تذليله من العقبات، فبدء أن أتى عائشة في بيتها، ودار بينهما حوار المخادعة والمكر، حين استقبلته بقولها: أكنت تأمن أن أُقعد لك رجلاً، فأقتلك كما قتلت أخي محمد بن أبي بكر!؟

وكأنّها لم تكن قد برزت لقتله حينما كان مع أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى استشهد على ذلك!! ثمّ تذكيرها له برسول اللهﷺ وأبي بكر وعمر، وحثّها على ضرورة أن يسير بسيرتهما، والإقتداء بهما، والإتّباع لأثرهما! ثمّ بعد ذلك تعريضها له بقتله حجراً وأصحابه العابدين المجتهدين ـ بحسب وصفها ـ !!

---

١. إشارة إلى سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٢. اشارة إلى قول رسول اللهﷺ في حديث الثقلين: فانظروا كيف تخلفوني فيهما. راجع مسند أحمد: ج٣ ص١٧. سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٩. المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٨. مسند ابن الجعد: ص٣٩٧. ماروي في الحوض والكوثر للقرطبي: ص٨٨.

٣. سورة النمل، الآية: ١٤.

فأجابها معاوية عن أوّل ما استقبلته به، بما عُرف عنه من المخادعة، قائلاً: لأنّي في بيت آمن، بيت رسول اللهﷺ. وبتعريضها له على قتله حجراً، قائلاً: دعي هذا، كيف أنا في الذي بيني وبينك في حوائجك؟! قالت: صالح!

ثمّ يا تُرى، مالذي فضّ فاه أُمّ المؤمنين لأن توصي، أو تأمل بأن يسير معاوية بسيرة أبيها وصنوه، دون أن تذكّره سيرة رسول اللهﷺ، فتقول: سيرتهم. رغم أنّها أوّل ما قدمت سيرة الرسولﷺ!؟ ألا يدلّ هذا على تباين سيرة الشيخين من سيرة رسول اللهﷺ؟ فضلاً عن رجائها أن يحذو معاوية حذو أبيها وصنوه، فنظير المرء أقدر على الإتيان بفعله، وإن جنح شيئاً قليلاً.[1]

ثمّ بعد ذلك أرسل معاوية إلى الإمام الحسينعليه السلام، وعبد الله بن عباس، علّه يجد ضالته عندهما، فيستميلهما.

ذكر الدينوري، إنّه: لما قدم معاوية المدينة.. وأخذ البيعة ليزيد الطاغية، ومدحه ووصفه بالعلم بالسنّة، وقراءة القرآن.. قام الإمام السبط الحسينعليه السلام، فحمد الله، وصلى على الرسولﷺ ثم قال:

أمّا بعد يا معاوية! فلن يؤدّي القائل وإن أطنب في صفة الرسولﷺ من جميع، جزءاً.. وهيهات، هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضّلتَ حتى أفرطت، واستأثرتَ حتى أجحفت، ومنعتَ حتى محلت، وجُرتَ حتى تجاوزت، ما بذلت لذي حقّ من اسم حقّه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل.. تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه

---

١. راجع الإمامة والسياسة للدينوري: ج١ ص١٩٩ـ٢٠٠، كراهية أهل المدينة البيعة، وردّهم.

من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقيه.

فوالله، ما برحتَ تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ، في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعتنا عن آبائنا تراثاً، ولقد، لعمر الله، أورثنا الرسولﷺ ولادة، وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسولﷺ،[1] فأذعن للحجّة بذلك، وردّه الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل، وفعلتم الأفاعيل، وقلتم: كان ويكون، حتى أتاك الأمر يا معاوية! من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار.[2]

نعم، بتلك العقول الطامحة لصوت الشيطان، المشرأبة لرغبات هوى الإنسان، استُدرجت بقايا حطام القيادة، وما تشرشر عن السيادة، لتوضع بين أحضان يزيد الفجور، والكفر والخمور، كما وصفه قبل غيره، أبوه قائلاً:

من معاوية بن أبي سفيان إلى يزيد بن معاوية.

أمّا بعد، فقد أدّت ألسنة التصريح إلى أذن العناية بك، ما فجع الأمل فيك، وباعد الرجاء منك... فليتك يزيد إذ كنت لم تكن، سررت يافعاً ناشئاً، وأثكلت كهلاً ضالعاً، فوا حُزناه عليك يزيد، ويا حرّ صدر المثكل بك، ما أشمت فتيان

---

١. في إشارة إلى ما أوجبه الإيمان على أميرالمؤمنين عليعليه السلام من الإذعان لما ألزم القوم به أنفسهم من أمر السقيفة، وما اختاروه لدينهم ودنياهم، بعد أن اختار الله لهم ورسولهﷺ، وخوفاً على الدين بتمامه أن يُمحق، ورأفة بالأُمّة من الهلاك المبرم، وقد أرادوها كذلك، غير أنّهعليه السلام قطع الطريق عليهم بما ردّه الإيمان إلى النصف، تاركاً لهم غُسيلة السلطة، بما لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

٢. الامامة والسياسة: ج١ ص١٥٣. وأيضاً في جمهرة الخطب للعسكري: ج٢ ص٢٤٢.

بني هاشم، وأذلّ فتيان بني عبد شمس... إعلم يا يزيد، إنّ أوّل ما سلبكه السكر، معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة، وآلائـه المتـواترة. وهـي الجرحـة العظمى والفجعة الكبرى، ترك الصلوات المفروضـات فـي أوقاتهـا، وهـو مـن أعظم ما يحدث من آفاتها، ثم استحسان العيـوب، وركـوب الـذنوب، وإظهـار العورة، وإباحة السر....[1]

وحسبكم شهادة الوفد الذي بعثه أهل المدينة إلى يزيد،[2] إلى غير ذلـك مـن المخازي والآثام غير مسدول عليها ما يخفيها، قد تحدّرت من بين مـن لا يـرى للدين والإنسان حرمة، بل لايحمل من الدين إلا اسمه، ومن الإنسان إلا رسـمه، ذلك يزيد ابن الخمور، والغدر والفجـور، ممّـا قـضى لأن يجابهـه لـسان الحـق والصدق، الإمام الحسينعليه السلام بغية الإصلاح في أُمّة جدّهصلى الله عليه وآله للعود بها نقيةً بيضاء، لاشية فيها، وإن اقتضى الموت دونها.

هذا بعض ما قدرنا على إيصاله من فيض ما شاع وانتشر من موبقات معاوية بن هند، والذي ما راعه أن يهلك فتهلك معه موبقاته وفواحـشه، فألزمهـا وارثـه ومنجز عداته، والمؤتمن على فواحشه وموبقاته، ماظهر منهما ومـا بطـن، ذلـك جروه يزيد بن ميسون، فكان بئس خلـف لأسـوء سـلف. فإليـك شراشـر ممّـا أوصى به الجَلِف لجروه الصَلِف.

يزيد بن معاوية

هلك طاغوت غادر، وأقام مقامه طاغوت أحمق فاسق فـاجر، هلـك معاويـة

---

١. صبح الأعشى: ج٦ ص٢٨٧، في المكاتبة الصادرة عن بقية الخلفاء من الصحابة.

٢. سيأتي بيانه ضمن عنوان «فجائع وقعة الحرّة».

وأقام مقامه يزيد الفسوق والفجور! الذي ما أن تسنّم عرش الملوكية حتى لم يكن له همّة إلا تنفيذ ما أُمر به من ضرورة أخذ البيعة من النفر الذين أبوا على أبيه من قبل بيعتهم له يزيداً ولياً للعهد.

فكتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ وكان والياً على المدينة ـ يخبره بموت معاوية، وكتاباً آخراً قصيراً، فيه: أمّا بعد، فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

فاستدعى الوليد مروان بن الحكم، واستشاره كيف يصنع؟ قال: أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة... وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية...

فأرسل الوليد إلى الحسين عليه السلام وابن الزبير يدعوهما، وكانا جالسين في المسجد، وقال ابن الزبير للحسين عليه السلام: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة؟ فقال عليه السلام: أظن أنّ طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن تصنع؟ قال عليه السلام: أجمع فتياني الساعة، ثم أمشي إليه...

ثم أقبل عليه السلام على باب الوليد، وقال لفتيانه: إنّي داخل، فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا علي بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم. ثم دخل على الوليد ـ ومروان عنده ـ وبعد السلام، قال عليه السلام: الصلة خير من القطيعة، والصلح خير من الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما، وجلس، فأقرأه الوليد كتاب يزيد، ودعاه إلى البيعة.

فاسترجع عليه السلام ثم قال: أمّا البيعة فإنّ مثلي لا يبايع سرّاً.. فاذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً.

فقال له الوليد: انصرف. فقال مروان للوليد: لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا

قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه. احبسه، فإن بـايع، وإلاّ ضربت عنقه.

فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: يا بن الزرقاء![1] أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولؤمت.. ثم خرج عليه السلام حتى أتى منزله.[2]

وخرج صباحاً من المدينة، ومعه بنوه واخوته وبنـوا أخيـه وجـل أهـل بيتـه وذوي قرباه، فسار بهم إلى مكّة... وكـان يقـرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[3]، فلمـا دخل مكّة قرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلقَاء مَديَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾[4]، وخـرج من المدينة أواخر رجب المرجب سنة ستين، وورد مكّة أوائل شـعبان المعظـم من تلك السنة.

ثم خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة يوم الترويـة مـع أهلـه وعيالـه وأطفالـه وعدد من أصحابه إلى كربلاء، فحاصره جيش بني أمية ومنعوه هو وأطفاله مـن الماء، حتى قتلوه عطشاناً مظلوماً، بأفجع قتلة عرفها البشر، حيث انّهم قتلوا حتى الطفل الرضيع، ولم يرحموا صغيراً ولا كبيراً، ثم أخذوا النساء أُسارى إلى الـشام في مجلس يزيد.[5]

---

١. وهي الزرقاء بنت موهب، جدّة مروان، وكانت من ذوات الرّايات التي تستدل على بيوت البغاء. ذكـره ابن الأثير في الكامل: ج٤ ص٧٠. وسبط بن الجوزي في تذكرة الخواصّ: ص٨٨. والآداب السلطانية للطقطقي: ص٨٨.

٢. راجع تاريخ الطبري: ج٤ ص٢٥١، خلافة يزيد. وتايخ ابن خياط: ص١٧٧. وتاريخ ابـن خلـدون: ج٣ ص٢٠، بيعة يزيد.

٣. سورة القصص، الآية: ٢١.

٤. سورة القصص، الآية: ٢٢.

٥. سيأتي تفصيل شهادة الحسين عليه السلام وما فعلته بنـو أميّـة في حـقّ الحـسين وأولاده وأصـحابه في الجـزء الخاصّ بالإمام الحسين عليه السلام إن شاء الله.

نعم، هذه كانت واحدة من أفعال وأعمال يزيد البشعة الشنيعة، الفجيعة الفظيعة، والتي نقلها بعض ممّن شاهد الواقعة بأمره في السنة الأولى من سلطنته، ومع كلّ ذلك يقول أهل السنّة والجماعة بخلافته، ويعتقدون بإمامته جزافاً، بل عناداً ولجاجاً، ليس سوى بغضاً لآل محمد ﷺ!

وما يدري ما هو جواب القوم، لا سيّما علمائهم حين يمثلون أمام رسول الله ﷺ فيسألهم يوم القيامة، قائلاً: لم تركتم عترتي، وخذلتم أهل بيتي، واتبعتم ونصرتم أعدائي وأعداءهم، آل أميّة الطلقاء وأبناء الطلقاء؟

لعمري ما آخال لهم من جواب سوى ما وصف المولى به أمثالهم في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾[1].

أمّا ما جرى على يدي يزيد من بعد ذلك، فلا يمكن أن تصفه الألسن أو تخطّه الأقلام، لما كان فيه من انتهاك حرمة الإنسان، وتدنيس مدينة الرسول ﷺ، وهتك ستر مكّة الآمنة حيث بيت الرحمن، ممّا لا قِبل لنا بوصفه أونعته، مكتفين بما أتى على ذكره فطاحل وأئمة التاريخ والسير من أئمة القوم.

قال الذهبي: لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل، وقتل الحسين بن علي عليهما السلام وأخوته، وأكثر من شرب الخمر، وارتكب أشياء منكرة، أبغضه الناس، وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك الله تعالى في عمره.[2]

وسُئل الكيالهراسي عن يزيد، فقال: إنّه ولد في زمن عمر بن الخطاب، وأمّا قول السلف، ففيه قولان: تلويح وتصريح، ولنا قول واحد، الصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك، وهو اللاعب بالشطرنج والنرد، والمصيد بالفهود، ومدمن

---

١. سورة الزمر، الآية: ١٩.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ج١ ص١٨٢.

الخمر؟ وكتب الكيا فصلاً طويلاً، ثم قلب الورقة وكتب: لو مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل.[١]

أبو قيس

وحكى ابن القفطي في تاريخه: إنّ يزيد كان له قرد يجعله بين يديه ويكنّيه «أبا قيس» ويسقيه فضل كأسه، ويقول: هذا شيخ من بني اسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يحمله على أتان وحشية قد نصبت له، ويرسلها مع الخيل في حلبة السباق، فحمله يوماً عليها فسبقت، فسرّ وأنشدّ:

تمسّك أبا قيس بفضل زمامها ... فليس عليها إن سقطت ضمان
فقد سبقت خيل الجماعة كلها ... وخيل أمير المؤمنين أتان

وجاء يوماً سابقاً، فطرحته الريح فمات، فحزن عليه حزناً شديداً، وأمر بتكفينه ودفنه، وأمر أهل الشام أن يعزّوه فيه، وأنشأ يقول:

كم قوم كرام ذو محافظة ... إلاّ أتانا يعزّي في أبي قيس[٢]

شربه الخمر

وما أكثر ما قاله من الشعر في الخمر والمجون واللذات البهيمية، والشهوات الحيوانية.

ومنه قوله:

أقول لصحب ضمّت الكاس شملهم ... وداعي صبا باب الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذّة ... فكل وإن طال المدى يتصرّم
ولا تتركوا يوم السرور إلى غد ... فربّ غد يأتي بما ليس يعلم
ألا إنّ أهنا العيش ما سمعت به ... صروف الليالي والحوادث نوم

---

١. جواهر المطالب للدمشقي الشافعي: ج٢ ص٣٠١.
٢. جواهر المطالب: ج٢ ص٣٠٣.

وله أيضاً:

وساق أتاني والثريا كأنها ... قلانص قد أعنقن خلف فنيق
وناولني كأساً كأن بناته ... مخلقة من نورها بخلوق
وقال أغتنم من دهرنا غفلاته ... فعقد وفاء الدهر غير وثيق
واني من لذات دهري لقانع ... بحلو حديث أم بمر عتيق
هما ما هما لم يبق شيء سواهما ... حديث صديق أم عتيق رحيق
اذا شجها الساقي حسبت حبابها ... نجوماً تبدّت في سماء عقيقي

ويقال: ولمّا تحقق معاوية أنّ «جروه» يزيد يشرب الخمر، عزّ عليه ذلك وأنكر عليه وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: من ابتلى بشيء من هذه القاذورات ـ كمعاوية نفسه ـ فليستتر. وإنك تقدر على بلوغ لذّاتك.. في سرّ ـ كأنه يُخبر عن نفسه ـ . فتماسك يزيد عن الشرب بريهة، ثم دعته نفسه لما اعتاده، فجلس على شرابه، فلما استخفه الخمر وداخله الطرب، قال مستخفّاً بنصح أبيه:

أمن شربة من ماء كرم شربتها ... غضبت عليّ، الآن طاب لي الشرُّ
سأشرب فاغضب لا رضيت فانّه ... حبيب إلى قلبي عق وقك والخمرُ

فجائع وقعة الحرّة

لما ولّي يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان على المدينة، بعث وفداً من أهل المدينة إلى يزيد بالشام، وفيهم عبد الله بن حنظلة ـ غسيل الملائكة ـ وعبد الله بن أبي عمرو المخزومي، والمنذر بن الزبير، وآخرون كثيرون من أشراف أهل المدينة، حيث قدموا عليه فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظمهم جوائزهم، وشاهدوا أفعاله، ثم انصرفوا من عنده، وقدموا المدينة كلّهم الا المنذر بن الزبير.

فلما قدم الوفد المدينة، قاموا فيهم، فأظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا: إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، ويشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب

عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الحراب ـ وهم اللصوص والفتيان ـ وإنّا نُشهدكم أنا قد خلعناه. فتابعهم الناس.[١]

وقال عبد الله بن حنظلة ـ ذلك الصحابي الجليل المنعوت بالراهب، قتيل يوم الحرّة ـ: يا قوم، اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله، ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، وإنّ رجلا ينكح الأمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً.[٢]

وقال المنذر بن الزبير، لما قدم المدينة: إنّ يزيد قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره. والله، إنّه ليشرب الخمر. والله، إنّه ليسكر حتى يدع الصلاة.[٣]

فأخرج أهل المدينة عامل يزيد ـ عثمان بن محمد بن أبي سفيان ـ فكتب بنو أميّة إلى يزيد يستغيثون به... فلما قرأ كتابهم تمثّل:

لقد بدّلوا الحلم الذي في سجيتي ... فبدّلت قرمي غلظة بلبان

ثم قال للرسول: أما يكون بنو أميّة ومواليهم ألف رجل؟

فقال: بلى والله، وأكثر.

قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار؟

ثم بعث إلى مسلم بن عقبة المري ـ الذي سمّي بعد ذلك «مسرفا» ـ لأنّ معاوية قال لجروه يزيد: إنّ لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا، فارمهم بمسلم

---

١. تاريخ الطبري: ج٧ ص٤، سنة اثنتين وستّين، مقدم وفد أهل المدينة. وكامل ابن الأثير: ج٤ ص٤٥. وتاريخ ابن كثير: ج٨ ص٢١٦. فتح الباري اللعسقلاني: ج١٣ ص٥٩، باب، إذا قال عند قوم شيئاً.

٢. الطبقات الكبرى لإبن سعد: ج٥ ص٦٦، ترجمة عبد الله بن حنظلة. تاريخ دمشق: ج٧ ص٢٧٢.

٣. الكامل لإبن الأثير: ج٤ ص٤٥. وتاريخ ابن كثير: ج٨ ص٢١٦.

بن عقبة. فتجهّز ابن عقبة إلى الحجاز مع اثني عشر ألفا، فقال له يزيد: إن حدث بك حدث، فاستخلف الحصين بن نمير السكوني، وقال لابن عقبة: ادع القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم، فأبحها ثلاثاً، فكل ما فيها من مال أو دابّة أو سلاح أو طعام، فهو للجند، فإذا مضت الثلاث، فاكفف عن الناس.

فأقبل ابن عقبة بالجيش نحو المدينة، فبلغ أهل المدينة خبرهم، فأخرجوا بني أميّة من المدينة، فساروا بأثقالهم حتى لقوا ابن عقبة بوادي القرى، فقال ابن عقبة لعمرو بن عثمان بن عفان: أخبرني ما وراءك، وأشر عليّ؟ قال: لا استطيع، قد أُخذت علينا العهود والمواثيق.. فانتهره..

ثم قال لعبد الملك بن مروان: هات ما عندك. فقال: نعم، أرى أن تسير ممّن معك، فإذا انتهيت إلى ذي نخلة، نزلتَ، فاستظلّ الناس من ظلّه.. فإذا أصبحت من الغد، مضيت، وتركت المدينة ذات اليسار، ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرّة مشرّقاً، ثم تستقبل القوم، ثم قاتلهم..

فقال له ابن عقبة: لله أبوك، أيّ امرئ ولد.. فصار في كل مكان يصنع على تخطيط عبد الملك، ثم دعاهم، فقال: إنّي أكره إراقة دمائكم، وإنّي أؤجّلكم ثلاثاً، فمن ارعوى وراجع الحق، قبلنا منه.. وإن أبيتم، كنا قد اعتذرنا إليكم..

فلما مضت الثلاث، قال: يا أهل المدينة، ما تصنعون، أتسالمون أم تحاربون؟

فقالوا: بل نحارب.

فصمد اللعين الخبيث فيمن معه، فأقبل من ناحية الحرّة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة.. وقال: يا أهل الشام، قاتلوا عن أميركم، فأخذوا لا يقصدون ربعاً الا هزموه، ثم وجه الخيل نحو ابن غسيل الملائكة، فحمل عليهم ابن الغسيل فيمن معه فكشفهم، فانتهوا إلى ابن عقبة، فنهض في وجوههم بالرجال

وصاح بهم، فقاتلوا قتالاً شديداً.

ثم جاء الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطّلب إلى ابن غسيل الملائكة، فقاتل معه في نحو من عشرين فارساً قتالاً شديداً حسناً، ثم قال لإبن الغسيل: إن كان معك فارسٌ، فليأت فليقف معي، فإذا حملت فليحملوا، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلماً ـ يعني ابن عقبة ـ فأقتله أو اقتل دونه، ففعل ذلك وجمع الخيل اليه، فحمل بهم الفضل على أهل الشام، فانكشفوا.

فقال لاصحابه: احملوا أخرى جعلت فداكم، فوالله لو عاينت أميرهم لأقتلنه أو أقتل دونه، إنّه ليس بعد البصر الا النصر، ثم حمل وحمل أصحابه فانفرجت خيل الشام عن ابن عقبة ومعه نحو خمسمائة راجل، جثاة على الركب، مشرعي الأسنة نحو القوم. ومضى الفضل كما هو نحو ابن عقبة، فضرب رأس صاحب رايته، فقطّ المغفر، وفلق هامته وخرّ ميّتاً، فقال: خذها مني وأنا بن عبد المطّلب، وظن أنّه أمير أهل الشام ـ ابن عقبة ـ فقال: قتلت طاغية القوم.

فقال: أخطأت أُستك الحفرة.

فأخذ ابن عقبة رايته وحرّض أهل الشام، وقال: شدّوا مع هذه الراية، فشدّوا أمام الراية، فقتل الفضل بن عباس وما بينه وبين ابن عقبة إلا نحو من عشرة أذرع.. وأقبلت خيل ابن عقبة ورجّالته نحو ابن غسيل الملائكة، وهو يحرّضهم ويذم أهل المدينة..

فقال ابن الغسيل لأصحابه: إنّ عدوكم قد أصاب وجه القتال الذي كان ينبغي أن يقاتلكم به، وإنّي قد ظننت أن لا يلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم، إمّا لكم وإمّا عليكم، أما إنّكم أهل النصرة ودار الهجرة.. ووالله، ما ميتة بأفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم.. فأخذ أهل الشام يرمونهم بالنبل..

فاقتتلوا أشدّ قتال، وأخذ ابن الغسيل يقدّم بنيه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه، وهو يضرب بسيفه ويقول:

بعداً لمن رام الفساد وطغى وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن إلا من عصى

فقاتل حتى قُتل، وقُتل أصحابه معه..

فاستولى شيعة آل أبي سفيان، وجند يزيد على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، فأباحها ابن عقبة ثلاثاً، يقتلون الناس، ويعتدون على النساء والبنات، حتى حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زواج، وأخذوا ما كان للناس من المتاع والأموال، وأسرفوا في ذلك.

سُئل الزهري: كم كان القتلى يوم الحرّة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس، من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي، وممّن لا أعرف من حرّ وعبد وغيرهم عشرة آلاف...[١]

وكانت وقعة الحرّة لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ثلاث وستين.

نعم، إنّ أهل السنّة والجماعة يعدّون يزيد بن معاوية من خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الإثني عشر، الذين أخبر بهم صلى الله عليه وآله بقوله: يكون بعدي اثنا عشر خليفة.[٢] وهم يعرفون يزيد كما يعرفون أبناءهم، ويعلمون بأنّه قد فاق الأوّلين والآخرين في فسقه وفجوره، فضلاً عن كفره وزندقته، ويعلمون أيضاً أنّه كان سفّاكاً للدماء البريئة، وقاتل النفوس المحترمة، الطاهرة الزاكية، ولم يأت على المسلمين في

---

١. تاريخ الطبري: ج٤ ص٣٧٠. وتاريخ الكامل: ج٤ ص١١١. ومروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٦٩. وتجارب الأمم لإبن مسكويّه: ج٢ ص٧٩. والبداية والنهاية لإبن الكثير: ج٨ ص٢٢٠ و. .. .

٢. مسند أحمد: ج١ ص٣٩٨ و٤٠٦، مسند عبد الله بن مسعود. وقد تقدّم بسط مصادر الحديث تحت عنوان «حديث خلفائي».

مدّة سلطته وطغيانه سوى الفساد والإفساد، وسفك الدماء، ونهب الأموال، وهتك النواميس والأعراض.

ألم يكن قتله سبط النبي صلى الله عليه وآله وريحانته الحسين عليه السلام وسبي نسائه وبناته، من أفضع ما جرى على البشرية في طول تاريخها؟[1]

ألم يكن قوله ـ وهو ينكت ثنايا أبي عبد الله عليه السلام بمخصرته ـ:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل

دليلاً قاطعاً على أنّ يزيداً لم يكن مطلقاً مؤمناً بالله، ولا معتقداً برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بالبعث والنشور، ولا بالميزان والجزاء، ولا بالجنّة والنار؟

ثم ألم يكن أمره لأمير جيشه مسرف «بن عقبة» بإباحة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام، أكبر برهان على هتكه حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فما وقع في المدينة المنورة من جنوده، ما لا يُعدّ ولا يحصى ولا يوصف من المفاسد العظيمة، والجرائم والجنايات الكبيرة، الفظيعة الفجيعة، التي لم تر مثلها عين، ولم تسمع بها أُذن؟

---

١. والدليل على عظم الفاجعة بقتل الحسين بن علي عليهما السلام، وفداحة الخطب على أهل السماوات والأرض، ماروي عن ابن عباس، إنّه قال: أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله: إنّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإنّي قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

أقول: وهذا الحديث رواه الجمهور عن ابن المسيّب، عن ابن عباس، كما في المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٧٨، استشهد الحسين بن علي عليهما السلام يوم الجمعة، يوم عاشوراء. وفيض القدير للمناوي: ج١ ص٢٦٥. وتفسير القرطبي: ج١٠ ص٢١٩، مورد تفسير سورة الإسراء، الآية: ٥. وتفسير الدر المنثور للسيوطي: ج٤ ص٢٦٤، مورد تفسير سورة مريم، الآية: ٩. والذهبي في سير أعلام النبلاء: ج٤ ص٣٤٢، ترجمة سعيد بن جبير. قال: هذا حديث نظيف الإسناد. وابن حجر في لسان الميزان: ج٤ ص٤٥٧، ضمن ترجمة قاسم بن ابراهيم الهاشمي، قال: وقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ستّة أنفس عن أبي نعيم، وقال: صحيح. ووافقه المصنّف في تلخيصه.

رميه الكعبة بالمنجنيق

لمّا فرغ مسلم «مسرف» من قتال أهل المدينة، ونهبها، والتشنيع بأهلها، شخص بمن معه من أمّة معاوية وشيعة يزيد نحو مكّة المكرّمة، يريد عبد الله بن الزبير.. ففي الطريق حضره الموت، فأحضر الحصين بن نمير، وقال له: يا بن برذعة الحمار! لو كان الأمر إليّ ما ولّيتك هذا الجند، ولكن... خذ عني أربعاً: أسرع السير، وعجّل المناجزة، وعمّ الأخبار، ولا تمكّن قريشاً من أُذنك. ثم مات.

فسار الحصين بن نمير بالجند، فقدم مكّة لأربع بقين من المحرّم سنة أربع وستّين. فخرج ابن الزبير إلى لقائهم، فبارز المنذر بن الزبير رجلاً من أهل الشام، فتقاتلا، وقتل كل منهما صاحبه، ثم حمل شيعة يزيد على عبد الله بن الزبير وأصحابه حملة انكشف منها أصحاب ابن الزبير، فصاح بأصحابه: اليّ. فأقبل إليه المسور بن مخرمة، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، فقاتلا حتى قتلا، وصابرهم ابن الزبير إلى الليل.. ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرّم، وصفر كله، وثلاثة أيام من ربيع الأوّل، ورموا الكعبة بالمجانيق، وحرّقوها بالنار، وكانوا يرتجزون ويقولون:

خطّارة مثل الفنيق المزبد   نرمي بها أعواد هذا المسجد

وأقاموا يحاصرون ابن الزبير في المسجد الحرام حتى بلغهم هلاك يزيد.[١]

عبد الملك بن مروان

ثم ملك معاوية بن يزيد قليلاً، فخطب بالناس، فقال: أمّا بعد حمد الله والثناء

---

١. راجع تاريخ الطبري: ج٤ ص٣٨٢. والكامل لابن الأثير: ج٤ ص١١١. وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٥١. والإمامة والسياسة للدينوري: ج١ ص١٨٧. وغيرها من كتب التاريخ.

عليه... ألا وأنّ جدّي معاوية بن أبي سفيان، نازع الأمر مَن كان أولى به منه في القرابة برسول الله ﷺ، وأحقّ في الإسلام، سابق المسلمين، وأوّل المؤمنين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين ﷺ، وأبا بقيّة خاتم المرسلين،[١] ثمّ قلّد أبي، وكان غير خليق للخير... وقال: إنّ أعظم الأمور علينا، علمنا بسوء مصرعه،[٢] وقبح منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ، وأباح الحرمة، وحرّق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم....[٣]

ثمّ تلاه مروان بن الحكم، الوزغ ابن الوزغ،[٤] ولم يُدم طويلاً، حتى خلفه ابنه عبد الملك بن مروان، الذي يعدّه أهل السنّة والجماعة من خلفاء رسول الله ﷺ الاثني عشر ـ الذين أخبر بهم رسول الله ﷺ ـ رغم أنّه لم يكن أقل ظلماً وجوراً من أسلافه، ولا أحسن اسلاماً منهم.

وقد تبين ممّا سبق أنّه كان صاحب تخطيط وقعة الحرّة لإبن عقبة، الذي اثنى عليه ومن أولده!! فحالما تسنّم عرش الملك، عاث في الأمّة الإسلامية فساداً واستهتاراً.

فواحدة من موبقاته ومخازيه أنّه استأنف رمي الكعبة بالمنجنيق، متمّماً بيد الحجّاج بن يوسف الثقفي ما لم يُسعف الهلاك يزيداً لإتمامه.

---

١. إشارة إلى الآية: ٨٦، من سورة هود في قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٢. يُذكر أنّ السبب وراء موت يزيد، إنّه حمل قرده على أتان وحشية له وهو سكران، ثم ركض خلفها، فسقط، فاندقّت عنقه. لافرق سواء ركض أم سقط من على الأتان، مادام الخليفة قد مات سكرانا!!

٣. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٥٤، أيام معاوية بن يزيد. وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة: ج٢ ص٦٤١، نحوه.

٤. روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ج٤ ص٤٧٩، بسنده عن عبد الرحمان بن عوف، إنّه قال: كان لايولد لأحد مولود إلا أُتي به النبي ﷺ فدعا له، فأُدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو الوزغ ابن الوزغ ابن الملعون. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ـ يعني، البخاري ومسلم ـ.

ذكر اليعقوبي، قائلاً: عبد الملك بن مروان، وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة، جدّاه جميعاً طريدا[1] رسول الله ﷺ وكانت البيعة له بالشام في اليوم الذي توفي فيه مروان، وذلك في شهر رمضان سنة٦٥.

فإنّه لمّا أخذ بيده زمام الملك، بعث عروة بن أنيف في ستّة آلاف من جند الشام إلى المدينة، وأمره أن يعسكر بعرصة خارج المدينة، فأقام عروة شهراً ولم يبعث اليهم ابن الزبير أحداً، فعادوا إلى الشام.

وكتب ابن الزبير إلى عامله بالبصرة يأمره أن يرسل اليه ألفي فارس ليعينوا عامله على المدينة، ووجه عبد الملك طارق بن عمر وأمره أن ينزل بين ايلة ووادي القرى، ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار، وأمر ابن الزبير جابر بن الاسود عامله على المدينة أن يسيّر جيش البصرة إلى قتال طارق.

فبلغ طارقاً الخبر، فسار نحوهم، فالتقيا وقاتلا فقتل مقدّم البصريين وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً، وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم، ثم رجع طارق إلى وادي القرى..

ولما قتل مصعب بن الزبير في العراق وأتى عبد الملك الكوفة، وجه الحجّاج بن يوسف الثقفي في ألفين أو ثلاثة آلاف من جند الشام لقتال عبد الله بن الزبير، فسار الحجّاج في جمادي الأولى سنة اثنتين وسبعين، وكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجّاج، فقدم طارق على الحجّاج بمكّة في خمسة آلاف جندي، فحصر الحجّاج ابن الزبير في المسجد الحرام، ونصب المنجنيق على أبي قيس، ورمى به الكعبة، وكان الناس يقولون: خذل عبد الملك في دينه.. فتفرق أصحاب ابن الزبير، ولم يبقى معه الا نفر معدود.

---

١. اشارة إلى جدّه لأبيه، الحكم بن أبي العاص، فضلاً عن جدّه لأُمّه الذي أهدر رسول الله ﷺ دمه.

فحمل فوج من جند الحجّاج على صاحب راية ابن الزبير فقتلوه، وصارت الراية بأيدي أصحاب الحجّاج، فقاتلهم ابن الزبير بغير راية، فرماه رجل بآجرة فأصابته في وجهه، فلما جد الدم على وجهه قال:

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقاتلهم قتالاً شديداً، فتعاودوا عليه فقتلوه.. فبعث الحجّاج برأسه إلى عبد الملك، وأخذ جثته فصلبها.. إلى آخر القصّة.

فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير.. سار إلى المدينة، ولما قدمها أقام بها شهراً أو شهرين، فأساء إلى أهلها واستخف بهم تمام الاساءة والاستخفاف..

وختم أيدي جماعة من بقية أصحاب النبيﷺ بالرصاص، استخفافاً بهم، كما يفعل ببعض أهل الذمّة، ومنهم: جابر بن عبد الله، وسهل بن سعد، ومالك بن أنس، وقيل: ختم بأيديهم وأعناقهم، يريد بذلك تذليلهم.[1]

وذكر اليعقوبي جانباً من مخازي عبد الملك قائلاً: ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج، فضج الناس وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا. فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدّ ثكم أنّ رسول اللهﷺ قال: لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجديّ ومسجد بيت المقدس. فهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أنّ رسول اللهﷺ وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن طوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة!![2]

---

١. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٦٦، أيام مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وأيام من أيام عبد الملك بن مروان. والبداية والنهاية لإبن كثير: ج٨ ص٣٠٩، فصل ضمن سنة ستّة وستّين.

٢. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٦١. وذكر نحوه أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية: ج٨ ص٣٠٩، فصل ضمن سنة ستّة وستّين.

توليته الحجّاج على العراق

في سنة خمس وسبعين أرسل عبد الملك إلى الحجّاج بعهده على العراق وهو بالمدينة، فأمره بالمسير إلى العراق..

فسار الحجّاج حتى دخل الكوفة فجأة، فبدأ بالمسجد وصعد المنبر وهو متلثّم بعمامة حمراء، فقال: عليّ بالناس.. فاجتمع الناس.. فبعد سكوت طويل وهو على المنبر، تكلم وقال: أنا بن جلا وطلاّع الثنايا، متى أضع العمامة تعرفوني.

فقال: أما والله، إنّي لأحمل الشرّ محلّه، وآخذ بفعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت، وقد حان قطافها، إنّي لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى قد شمّرت من ساقها تشميراً، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1].

فقال: وأنتم أولئك وأشباه أولئك، إنّ أميرالمؤمنين عبد الملك نثر كنانته، فجمع عيدانها، فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً، فوجّهني إليكم، ورمى بي في نحوركم، فإنكم أهل بغي، وخلاف، وشقاق، ونفاق، فإنّكم طالما أرضعتم في الشرّ، وسننتم سنن الغي.[2]

وكان الحجّاج أوّل من عاقب بالقتل على التخلّف عن الوجه الذي يكتب إليه...[3]

---

١. سورة النحل، الآية: ١١٢.

٢. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٧٣، أيام عبد الملك، والطبري في تاريخه: ج٥ ص٤٠، تولية عبد الملك الحجّاج بن يوسف العراق. والبداية والنهاية لإبن كثير: ج٩ ص١١، ضمن سنة خمس وستّين.

٣. أُنظر تاريخ ابن خلدون: ج٣ ص٤١، ولاية الحجّاج العراق.

فجائع الحجّاج

روي أنّ أميرالمؤمنين وإمام المتقين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجلين، علي بن أبي طالبعليه السلام قال لرجل: لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف. قيل له: يا أميرالمؤمنين، ما فتى ثقيف؟

قالعليه السلام: ليقالنّ له يوم القيامة: إكفنا زاوية من زوايا جهنّم، رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة، لا يدع لله معصيّة إلا ارتكبها، حتى لو لم تبق إلا معصيّة واحدة وبينه وبينها باب مغلق، لكسره حتى يرتكبها، يقتل بمن أطاعه مَن عصاه.[1]

وروي عن عاصم بن أبي النجود، أنّه قال: سمعت الحجّاج ـ قبّحه الله ـ على المنبر، يقول: والله، لو أمرتكم أن لا تخرجوا من هذا الباب، فخرجتم من هذا، حلّت لي دماؤكم، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد ـ يعني، عبد الله بن مسعود ـ إلا ضربت عنقه، ولأحكنّها من المصحف، ولو بضلع خنزير.[2]

وقال الأوزاعي: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمّة بخبيثها، وجئنا بالحجّاج لغلبناهم...[3]

وكان اللعين يخبر عن نفسه، إنّ أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره.[4] وكان له في القتل وسفك الدماء والموبقات، غرائب لم يسمع بمثلها في تاريخ البشر.

---

١. البداية والنهاية لإبن كثير: ج٦ ص٢٦٦. وكنز العمّال للهندي: ج١١ ص٣٦٣ رقم٣١٧٤٩.

٢. تاريخ دمشق لإبن عساكر: ج١٢ ص١٦٠، ترجمة الحجّاج بن يوسف. والبداية والنهاية لإبن كثير: ج٩ ص١٤٩. والكامل لإبن الأثير: ج٤ ص١٣٣.

٣. أنظر تهذيب التهذيب لإبن حجر: ج٢ ص١٨٥. والبداية والنهاية لإبن كثير: ج٦ ص٢٦٧.

٤. مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص١٢٥، عنه الطريحي في مجمع البحرين: ج١ ص٤٦٠ «باب الحاء».

وممّا يحكى عنه من الموبقات، قوله لأهل السجن: إخسئوا فيها ولا تكلّمون.[١]

ولما أسرف في قتل أسارى دير الجماجم، وتبذيره أموال بيت المال، بلغ ذلك إمامه عبد الملك بن مروان، فكتب إليه يذمّه بذلك! فأجابه: أمّا بعد، فقد أتاني كتاب أميرالمؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماءّ وتبذيري للأموال.. فإن كان قتلي أولئك العصاة سرفاً، وإعطائي المطيعين تبذيرا، فليمض لي أميرالمؤمنين ما سلف، ويحدّ لي حداً أنتهي إليه.. ولا قتلت إلا فيك، ولا أعطيت إلا لك.[٢]

نعم، فالذي يُرضي آل أميّة، هو هذا الصنف من الإنحدار العقائدي والأخلاقي لشيعتهم ومواليهم وعمّالهم، هو أن يقتلوا الناس في سبيل رضاهم، وإن اقتضى الأمر أن يُسرفوا في القتل، ويعطوا أموال بيت مال المسلمين في سبيل ذلك، ولا يُعدّ بسوء طبعهم، سرقةً أو اختلاساً، ولا إسرافاً ولا تبذيراً. ولا ينبغي لخليفة الخانعين المستسلمين، عبد الملك أن يعاقب الحجّاج لإسرافه في قتل المسلمين، ولايجوز له أن يؤاخذه بتبذيره أموال بيت مال المسلمين.

بل وفوق ذلك، وإجلالاً للحجّاج وأمثاله من جلاوزة البلاط الأموي، ومكافأة له على ما أبداه من حسن صنيع للعرش الأُموي بسوء الصنيع للدين وللمسلمين، حرص عبد الملك لأن يوصي أهل بيته ـ لمّا حضرته الوفاة ـ قائلاً:... وأكرموا الحجّاج، فإنّه وطّأ لكم المنابر، وثبّت لكم الملك.[٣]

---

١. تشبيهه نفسه بقول الله تعالى في سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨. أُنظر تهذيب التهذيب لإبن حجر: ج٢ ص١٨٦، مَن اسمه حجّاج.

٢. راجع تاريخ دمشق لإبن عساكر: ج١٢ ص١٥٦، ترجمة الحجّاج بن يوسف.

٣. تاريخ دمشق لإبن عساكر: ج٦٣ ص١٧١، ضمن ترجمة الوليد بن عبد الملك. وتاريخ ابن خلدون: ج٣ ص٥٨، وفاة عبد الملك بن مروان. وفي الإمامة والسياسة للدينوري: ج٢ ص٦٨، موت عبد

ولقد مات الحجّاج وأحصى من قتله صبراً فوجد مائة وعشرين ألفاً، وكان في حبسه خمسون ألف رجلٍ وثلاثون ألف امرأة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، وكان حبسه حائراً لا شيء فيه يكنّهم فيه من حرّ ولا برد، ويُسقون الماء مشوباً بالرماد.[1]

وما كان عليه الحجّاج من شنائع، وفظائع، وموبقات، وجرائم، حتى ليصدق بنعته أنّه جرثومة الرجاسة والخباثة، إنّما لكونه سهماً من سهام عبد الملك، رمى به المؤمنين من أمّة محمدﷺ.

مع هذا، ورغم ما أجابه به سعيد بن المسيّب، بقوله: ألآن تكامل فيك موت القلب.[2] لا زال عبد الملك، بزعم أهل السنّة والجماعة، معدوداً من الخلفاء الاثني عشر، الذين أخبر بهم رسول اللهﷺ.

الملك وبيعة الوليد، يوصي ابنه الوليد، قائلاً: وأُوصيك بالحجّاج خيراً، فإنّه هو الذي وطّأ لكم المنابر، وكفاكم تقحّم تلك الجرائم. .. ثمّ وبعد أن تولّى الأمر، دخل عليه سليمان بن عبد الملك، قائلاً له: اعزل الحجّاج بن يوسف عن العراقين، فإنّ الذي أفسد الله به أكثر ممّا أصلح. فقال له الوليد: إنّ عبد الملك أوصاني به خيراً.

ومن طريف ما يُروى، إنّ الأجلح، قال: اختلفت أنا وعمر بن قيس الماصر في الحجّاج، فقلت أنا: الحجّاج كافر. وقال عمر: الحجّاج مؤمن ضال. قال: فأتينا الشعبي، فقلت: يا أبا عمرو، إنّي قلت: إنّ الحجّاج كافر، وقال عمر: الحجّاج مؤمن ضال. قال: فقال الشعبي: يا عمر! شمّرت ثيابك، وحللت إزارك، وقلت: إنّ الحجّاج مؤمن ضال!! قال: فقال: وكيف يجتمع في رجل إيمان وضلال؟! الحجّاج مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله العظيم. راجع تاريخ دمشق لإبن عساكر: ج١٢ ص١٨٧، ترجمة الحجّاج بن يوسف.

١. راجع البداية والنهاية لإبن كثير: ج٩ ص١٥٦، ضمن ترجمة الحجّاج بن يوسف. والتنبيه والاشراف للمسعودي: ص٢٧٤، ذكر أيام الوليد بن عبد الملك. وتهذيب التهذيب لإبن حجر: ج٢ ص١٨٥، ترجمة الحجّاج بن يوسف.

٢. راجع الكامل لإبن الأثير: ج٤ ص١٠٤. رداً على ما أخبره به عبد الملك، بقوله: يا أبا محمد، صرت أعمل الخير، فلا أسر به، وأصنع الشرّ، فلا أساء به.

الوليد بن عبد الملك

بعد أنّ دُفن عبد الملك، في شوال سنة٢٨٦هـ وانصرف ابنه الوليد عن قبـره، فدخل المسجد وصعد المنبر، وقال: الحمد لله على ما أنعم علينا مـن الخلافـة، قوموا فبايعوا.. أيّها الناس، من أبدى لنا ذات نفسه، ضربنا الذي فيه عيناه، ومـن سكت، مات بدائه....[١]

وقد أقرّ الحجّاج على ولاية العراق وخراسان، وبذلك يكون قد أمضى جميع ما فعله الحجّاج من الجرائم والجنايات بحقّ المسلمين، تاركاً لـه العنـان ليفعـل كل ما من شأنه إستقرار ملك بني أُميّة، مستخدماً مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، بابشع وأحط صوره، ومن بين ما دشّنته هذه السطوة الهوجاء لسفّاح بنـي أُميّـة، ظفـره بالعابد الناسك، سعيد بن جبير، والتمثيل به بعد قتله.

قتله سعيد بن جبير

وكان قتل سعيد بن جبير رضي الله عنه في عهد الوليد، بعد أن كـان قـد هـرب إلـى إصبهان في عهد أبيه عبد الملك، فكتب الحجّـاج إلـى عاملهـا بأخـذه، فخـرج سعيد من إصبهان فأتى آذربايجان، ثم خرج إلى مكّة المكرّمـة، فكـان بهـا هـو وأناس أمثاله يستخفون.

فلما ولّى الوليد عامله خالد بن عبد الله، مكّة، كتب إليه بميل أهل العراق إلى الحجّاج، فأخذ خالد سعيد بن جبير، ومجاهداً، وطلق بن حبيب، وأرسلهم إلـى الحجّاج.. فقدموا بسعيد الكوفة، فأنزل في داره والقيد في رجله، ثم أدخله على الحجّاج، فلما أتى به قال له بعد ما عاتبه بعتابات: والله لأقتلنك.

---

١. الكامل لإبن الأثير: ج ٤ ص ٥٥٢ـ٥٢٣.

قال: إنّي إذن لسعيد كما سمتني أمي، فأمر به فضربت رقبته.. فلما سقط رأسه هلل ثلاثاً، أفصح بمرة، ولم يفصح بمرّتين.

فلما قُتل اختل عقل الحجّاج، فجعل يقول: قيودنا، قيودنا. فظنّوا أنّه يريد القيود، فقطعوا رجلي سعيد من أنصاف ساقيه أخذوا القيود.

وكان الحجّاج يقول بعد قتله سعيد بن جبير: يا قوم! ما لي ولسعيد بن جبير، كلّما عزمت النوم أخذ بحلقي.

وكان سعيد ﷺ لما كبّ على وجهه قال: اشهد أن لا اله الا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الحجّاج غير مؤمن بالله، ثم قال: اللهم لا تسلّط الحجّاج على أحد يقتله بعدي.

فلم يعش الحجّاج بعده إلا خمس عشرة ليلة، حتى وقعت في جوفه الأُكلة فمات من ذلك، ولحق بأسلافه الظالمين في الدرك الأسفل من النار.[1]

فالوليد قد أطلق سراح عمّاله وجلاوزته في ملاحقة، ومضايقة، بل وقتل الثلّة الطيبة أمثال ابن جبير وغيره، حتى صيّر من الحجّاج وسواه عنواناً بشعاً لتنفيذ موبقاته وجرائمه التي ارتكبها بحقّ المسلمين، بل وبحقّ الإسلام والتشريع.

ومن أظرف ما وصِف من إظهار محلّ الحجّاج بعد الموت، ما جرى من حديث لسليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبي مسلم ـ خليفة الحجّاج ـ حين جابهه سليمان بقوله: أين ترى الحجّاج يهوي في النار؟ قال: لا تقل هذا...

---

١. راجع شرح مسند أبي حنيفة للقاري: ص٤٨، رفع القلم. والبداية والنهاية لابن كثير: ج٩ ص١١٥، مقتل سعيد بن جبير. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٤ ص٣٢١ رقم١١٦ ترجمة سعيد بن جبير. وتهذيب الكمال للمزّي: ج١٠ ص٣٥٨ـ٣٧٦، ترجمة سعيد بن جبير. وتفسير الثعالبي: ج١ ص٦٥، مدرسة مكّة، تلاميذ ابن عباس، سعيد بن جبير.

لرجل يُحشر عن يمين أبيك وشمال أخيك، وأنزله حيث شئت تُنزلهما معه.[١]

سليمان بن عبد الملك

وبويع لسليمان بن عبد الملك، في يوم وفاة أخيه الوليد، فباكورة أفعاله الدنيئة، كان تعريضه بِقِسم الله تعالى في ماء زمزم، وجرأته على محاكاة الله سبحانه حين أمرخالد بن عبد الله ـ عامله على مكّة ـ لأن يُجري له عيناً تخرج من الثقبة من الماء العذب، حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود... ثمّ صعد المنبر، فقال: أيّها الناس، احمدوا الله، وادعوا لأمير... الذي سقاكم الماء العذب بعد المالح الأُجاج الذي لا يطاق شربه ـ يعني، زمزم ـ. وكان لا يجتمع على ذلك الماء اثنان، وكانوا على شرب زمزم أكثر ما كانوا! فلمّا رآى خالد ذلك، قام خطيباً، فنال من أهل مكّة، وكلّمهم بكلام قبيح، يُعنّفهم فيه على تركهم شرب ذلك الماء، واقبالهم على زمزم!![٢]

إلى غير ذلك من أعمال الخيانة والغدر بمن لا يروق له، كما جرى له مع عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ـ أبو هاشم ـ بعد أن قدم الشام والتقاه، وقد أُعجب سليمان به، ثم ما لبث أن فارقه متوجّهاً في طريقه إلى فلسطين، فأرسل له سليمان من يسمّه بلبن.[٣]

يزيد بن عبد الملك

كما أنّ يزيد بن عبد الملك ملك في يوم وفاة عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد

---

١. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٩٥، أيام سليمان بن عبد الملك.

٢. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٩٣، أيام سليمان بن عبد الملك.

٣. أنظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٩٦.

هذا يعدّ في الفسق والفجور والزندقة كجدّه لأمّه، يزيد بن معاوية.[١]

كما لا يخفى أنّ واحدة من مثالبه، إنّه كان صاحب سلاّمة القس، وحبابة، وقد غلب عليه عشقهما، وأُشرب في قلبه حبهما، ولما عم الناس بالظلم والجور، عذله أخوه مسلمة بن عبد الملك بذلك، وباحتجابه عن الناس، واقباله على شرب الخمر واللهو، وقال له: إنّما مات عمر بن عبد العزيز أمس، وقد كان من عدله ما قد علمت، فينبغي أن تظهر للناس العدل، وترفض هذا اللهو، فقد اقتدى بك عمالك في سائر افعالك وسيرتك، فارتدع عمّا كان عليه، فأظهر الاقلاع والندم.

فغلظ ذلك على حبابة، فبعثت إلى الأحوص الشاعر ومعبد المغني، انظرا ما أنتما تصنعان، فقال الأحوص في أبيات له:

ألا لا تلمه اليوم إن تبلّدا ... فقد غلب المحزون أن يتجلّدا
إذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجراً من يابس الصلد جلمدا
فما العيش إلا ما تلذّ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشنآن وفنّدا

وغنّاه معبد وأخذته حبابة.

فلما دخل عليها يزيد، قالت: يا أمير.. اسمع منّي صوتاً واحداً ثم افعل ما بدا لك، فغنّته بالأبيات، فلما فرغت منه، جعل يزيد يردّد قولها:

فما العيش إلا ما تلذّ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشنآن وفنّدا

وعاد بعد ذلك إلى لهوه وملذاته، ورفض ما كان عليه.[٢]

فقال يوماً وقد طرب، وعنده حبابة، وسلامة القس: دعوني أطير.

---

١. فأمّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

٢. أُنظر مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص١٩٣. وتاريخ مدينة دمشق لإبن عساكر: ج٦٩ ص٨٨ رقم ٩٣٢٢، ترجمة حبابة. وسير أعلام النبلاء للذهبي: ج٥ ص١٥ رقم ٥٣ ترجمة يزيد بن عبد الملك.

فقالت حبابة: على من تدع الأُمّة؟

قال: عليك!!

وقيل: إنّها غنّته يوماً:

وبين التراقي واللهاء حرارة   وما ظمأت ما يسوع وتبرّدا

فأهوى يزيد ليطير، فقالت: يا أمير.. إنّ لنا فيك حاجة.

فقال: والله لأطيرنّ.

فقالت: على من تخلف الأمّة والملك؟

قال: عليك والله، وقبّل يديها، وخرجت معها إلى ناحية الأردن ينتزهان، فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فرشقت بها وهلكت، فتركها ثلاث أيام لم يدفنها ولم يفارق ميتتها، حتى أنتنت وهو يشمّها ويقبّلها، وينظر إليها ويبكي.[١]

فمثل هذا الفاسق الفاجر الذي لا يراعي الشريعة حتى في حرمة دفن الميّت، يعدّه أهل السنّة والجماعة من الخلفاء الأثني عشر الذين أخبر بهم رسول الله ﷺ بقوله: كون بعدي اثنا عشر خليفة.

هشام بن عبد الملك

وبويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذي هلك فيه أخوه يزيد، وكان ذلك في شهر رمضان سنة١٠٥هـ،[٢] وكان خشناً فظاً غليظاً..

---

١. راجع الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٥ ص١٢١. البداية والنهاية لإبن كثير: ج٩ ص٢٦٠، ضمن خلافة يزيد بن عبد الملك. والطبري في تاريخه: ج٥ ص٣٧٥، ذكر بعض سيره وأموره، ينقل: إنّ يزيد بن عبد الملك بكى على حبابة، فتمثّل قائلاً:

لئن تسل عنك النفس أو تذهل الهوى   فباليأس يسلو القلب لا بالتجلّد

٢. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣١٦.

وكان من أمر هشام أن أقدم زيداً بن علي بن الحسين، فقال له ـ بعد كلام ـ : لقد بلغني أنّك تؤهّل نفسك للخلافة، وأنت ابن أمة!؟

قال: ويلك! مكان أمّي يضعني؟! والله، لقد كان اسحاق ابن حرّة، واسماعيل ابن أمة، فاختصّ الله عزّ وجلّ ولد اسماعيل، فجعل منهم العرب، فما زال ذلك ينمى حتى كان منهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال: اتق الله يا هشام! فقال: أومثلك يأمرني بتقوى الله!؟ فقال: نعم، إنّ ليس أحد دون أن يأمر بها، ولا أحد فوق أن يسمعها.

فأخرجه مع رسل من قبله، فلما خرج، قال: والله، إنّي لأعلم أنّه ما أحبّ الحياة قط أحد إلا ذُلّ... فلما قدم الكوفة، دخل إلى يوسف ـ ابن عمر الثقفي، والي الكوفة ـ ... وقال له: إنّ أمير.. أمرني أن أُخرجك من الكوفة ساعة قدومك... فتمثّل عند خروجه بهذه الأبيات:

منخرق الخفّين يشكو الجوى	تنكبه أطراف مرو حداد
شرّده الخوف وازرى به	كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد

ثمّ قُتل زيد بن علي، وحُمل على حمار، فأُدخل الكوفة، ونُصب رأسه على قصبة، ثم جُمع فأُحرق، وذُري نصفه في الفرات، ونصفه في الزرع، وقال: والله، يا أهل الكوفة! لأدعنّكم تأكلونه في طعامكم، وتشربونه في مائكم![١]

ويروى أنّه كان من أمر هشام بعد أن أُرسل إليه رأس زيد بن علي، أمر بأن يُنصب على باب مدينة دمشق. ثمّ أُرسل به إلى المدينة. ومكث البدن مصلوباً

---

١. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٢٦، أيام هشام بن عبد الملك. وتاريخ الطبري: ج٥ ص٤٩٧، ذكر الخبر عن مقتل زيد بن علي. وروى المسعودي في مروج الذهب: ج٣ ص٢٠٦، نحوه.

حتى مات هشام، ثمّ أمر الوليد، فأنزل وأحرق.[١]

وفي الكامل لإبن الأثير: فقال زيد: إنّ الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحداً عن أن لا يرضى بذلك منه.

فقال هشام: لقد بلغني يا زيد، إنّك تذكر الخلافة وتتمناها، ولست هناك وأنت ابن أمة.

قال زيد: إنّ لك جواباً.

قال: فتكلّم.

قال: إنّه ليس أحد أولى بالله، ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه، وقد كان اسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة، فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشر، وما على أحد من ذلك إذا كان جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه علي بن أبي طالب عليه السلام ما كانت أُمه.

قال له هشام: أُخرج.

قال: أخرج، ثم لا أكون إلا بحيث تكره. فخرج من عنده، وقال:

بكرت تخوفني المنون كأنني	أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها أنّ المنية منهل	لابدّ أن أُسقى بكأس المنهل
إنّ المنيّة لو تمثل مثلت	مثلي اذا نزلوا بضيق المنزل
فأفنى حياءك لا أبا لك فاعلمي	إنّي امرؤ سأموت إن لم أُقتل[٢]

فتوجّه زيد إلى الكوفة، فلما أتاها، أقبل أُناس معروفون بالشيعة يختلفون إليه

---

١. أُنظر تاريخ الطبري: ج٥ ص٥٠٥، ذكر الخبر عن مقتل زيد بن علي. وتاريخ ابن خلدون: ج٣ ص١٠٠، ظهور زيد بن علي.

٢. انظر الكامل لإبن الأثير: ج٤ ص٢٤١.

يبايعونه.

وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، واعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، وردّ المظالم ونصر أهل البيت.

فلما بايعوه على ذلك، وضع يده على أيديهم، ويقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله ﷺ لتفيّن ببيعتي، ولتقاتلنّ عدوي.. فإذا قال: نعم. مسح بيده على يده، ثم قال: اللهم اشهد. فبايعه أُناس كثيرون، وقيل: أربعون ألفاً... فأمر أصحابه بالاستعداد للخروج.

فحاربه يوسف بن عمر الثقفي، حيث أنّه كان على الكوفة من قبل هشام بن عبد الملك، فلما قامت الحرب، انهزم أصحاب زيد وبقي معه جماعة يسيرة، فقاتل شيعة آل أمية أشدّ قتال، ويقول متمثّلاً:

أذل الحياة وعز الممات ... وكلا أراه طعاما وبيلا

فان كان لابدّ من واحد ... فسيرا إلى الموت سيرا جميلا

وكان زيد مثخناً بالجراح، وقد أصابه سهم في جبهته، فجاءوا بحجّام لينزع النصل، واستكتموه الأمر، فاستخرج النصل، فمات من ساعته رضي الله عنه.

ودفنوه في ساقية ماء، وجعلوا على قبره التراب والحشيش، ثم أجروا الماء على ذلك.. فمضى الحجّام إلى يوسف ـ والي الكوفة ـ ودلّه على موضع القبر، فاستخرج يوسف الثقفي الخبيث، جثته الشريفة وبعث برأسه الطاهر إلى هشام ابن عبد الملك، فكتب إليه هشام أن اصلبه عرياناً.. فبقي زيد رحمة الله مصلوباً إلى أنّ هلك هشام وقام مقامه الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة خمسة

وعشرين ومائة، فأمر الوليد بانزال جثته عليه السلام وإحراقه.[١]

فهذا البغي والظلم والجور يكفي لجعل هشاماً من أهل النار، وأن يحشر مع مَن سبقه من ملوك آل أُميّة. فكيف يمكن إذن القول بأنّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الذين بشّر بهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله: يكون بعدي اثنا عشر خليفة.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك

بويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك، في اليوم الذي هلك فيه عمّه هشام، في شهر ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين ومائة.[٢]

كانت له ولاية عهد عمّه هشام بن عبد الملك، وقد ظهر هناك منه مجون وشرب المدام، وكان له ندماء على صفته، فأراد عمّه هشام أن يقطعهم عنه فولاّه الحجّ، فحمل معه كلاباً في صناديق، وعمل قبّة قدر الكعبة ليضعها على الكعبة، وحمل معه الخمر، وأراد أنّ ينصب القبّة على الكعبة ويشرب فيها الخمر، فخوفه أصحابه، وقالوا: لا نأمن الناس عليك وعلينا معاً. فلم يفعل، وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف.

وتمادى الوليد في الشراب وطلب اللذات، فأفرط، فقال له عمّه هشام: ويحك يا وليد! والله، ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير متحاش ولا مستتر به، فكتب إليه الوليد:

أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر

نشربها صرفا وممزوجة ... بالسخن أحيانا وبالفاتر

---

١. راجع مروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٢١٨ـ٢١٩. والكامل لإبن الأثير: ج٥ ص٢٤٦.

٢. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٣١.

وكان مسلمة بن هشام يكنى: أبا شاكر، فعير الوليد به أباه هشاما.[١]

وفي أيام الوليد نهض يحيى بن زيد بن علي بن الحسينعليه السلام وكان يحيى مع أبيه زيد إذ خرج في الكوفة، فلما قُتل أبوه، خرج مستخفياً إلى بلاد خراسان، وكان ذلك في أيام هشام بن عبد الملك، فظهر هناك في أيام الوليد، منكراً للظلم والبغي وما عمّ الناس من الجور.

وكان يحيى بمدينة بلخ عند الحريش بن عمرو بن داود، فكتب يوسف بن عمر ـ اللعين ـ إلى نصر بن سيّار: إنّ يحيى عند الحريش، فخُذه أشدّ الأخذ. فأخذ نصر الحريش، وطالبه بيحيى، فقال: لا علم لي به. فأمر به، فجُلد ستمائة سوطاً، فقال: والله، لو أنّه تحت قدمي ما رفعتهما عنه. فلما رأى ابنه ـ أي، عقيل بن حريش ـ ذلك، قال: لا تقتل أبي وأنا أدلّك على يحيى. فدلّه عليه، فأخذه.

وكتب إلى الوالي بخبره، فكتب الوليد يأمره أن يؤمّنه ويخلّي سبيله، فأطلقه نصر، وأمره أن يلحق بالوليد، فسار إلى سرخس فأقام بها، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس بن عبادة يأمره أن يسيّره عنها، فسيّره عنها، فسار حتى انتهى إلى بيهق، فخاف أن يغتاله يوسف بن عمر، فعاد إلى نيشابور، وبها عمرو بن زرارة.

فكتب نصر بن سيّار إلى عمرو يأمره بمحاربته، فقاتل عمرو وهو في عشرة آلالف من شيعة آل أميّة، ويحيى في سبعين رجلاً من شيعة آل محمدصلى الله عليه وآله وهذه الفئة القليلة غلبت تلك الفئة الكثيرة بإذن الله، فهزمتها، وقتل يحيى عمرواً، وأصاب دواب كثيرة وغنائم..

وسرّح نصر بن سيّار سالماً بن أحوز في طلب يحيى، فلحقه بالجرجان،

---

١. راجع البداية والنهاية لإبن كثير: ج١٠ ص٣، خلافة الوليد بن عبد الملك. وتاريخ الطبري: ج٧ ص٢١٠.

فقاتله قتالاً شديداً، فرمى يحيى بسهم فأصاب جبهته، فقتل وقتل أصحابه عن آخرهم، وأحتز رأس يحيى وحمل إلى الوليد، وصُلب جسده، فلم يزل مصلوباً إلى أن خرج أبو مسلم فأنزله وصلّى عليه ودفنه، وقتل سالم بن أحوز..

فلما بلغ الوليد قتل يحيى كتب إلى يوسف بن عمر في الكوفة: خُذ عجل أهل العراق ـ يعني، زيداً ـ فأنزله من جذعه، وأحرقه بالنار، ثم انسفه باليَم نسفاً...[١]

سبب قتله

ثم إنّ الوليد لما أخذ زمام السلطة لم يزد عليه سوى ممّا كان فيه من اللهو واللذة، وشرب الخمور، ومنادمة الفسّاق والفجّار، جرأةً منه وتماديا، حتى صدق عليه الكفر والزندقة، وغشيان أمّهات أولاد أبيه، كيف لا وقد أُثر عنه أنّه تفائل يوماً في المصحف، فخرج له قوله تعالى: ﴿وَاستَفتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢]، فألقاه ورماه بالسهام، قائلاً:

تهددني بجبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد[٣]

ثم لم يلبث بعد ذلك إلا أياماً، فتفرّق عنه الجيش، وثاروا عليه، فناداهم رجل: اقتلوا عدو الله قِتلة قوم لوط، ارجموه بالحجارة. فدخل القصر وأغلق عليه الباب، وقال:

دعوا لي سلمى والطلاء وقينة ... وكأسا ألا حسبي بذلك مالا
اذا ما صفا عيشي برملة عالج ... وعانقت سلمى ما أريد بدالا

---

١. راجع تاريخ الطبري: ج٥ ص٥٣٦، ذكر الخبر عن مقتله ـ يعني، يحيى ـ.

٢. سورة ابراهيم، الآية: ١٥.

٣. الكامل لإبن الأثير: ج٤ ص٢٨٧ و ٢٩٠. ومروج الذهب للمسعودي: ج٣ ص٢٢٨.

فكان لدواعي خلاعته ومجانته وزندقته أن يُقتل، فقُتل شرّ قتلة، ثم احتزّ رأسه وأرسلوه إلى يزيد بن الوليد الناقص. وفي رواية يذكرها القرطبي، إنّه: صُلب رأسه على قصره، ثم على سور البلدة.[١]

إنّ هذا لشيء عجاب!

أجل، إنّ هذا الوليد المنغمر في اللهو والفسوق والعصيان، يعدّ بزعم أهل السنّة والجماعة آخر خلفاء الرسول الإثني عشر، الذين أخبر بهم رسول الله ﷺ بقوله: يكون بعدي اثنا عشر خليفة!

ثم ملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك، مستهل رجب سنة١٢٦هـ ، بعد قتل الوليد بخمس، ولقب بـ(الناقص) لأنّه نقص عطاء الناس، فقيل له: يزيد الناقص. وكانت حكومته خمسة أشهر.[٢]

ثم ملك ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، في اليوم الذي توفّي فيه يزيد بن الوليد، فأقام أربعة أشهر.

مروان الحمار

ثم ملك مروان بن محمد بن مروان، في صفر سنة ١٢٧هـ وهو آخر ملوك بني أميّة، وكان يلقب بـ(الحمار).

ثم حكم من بعد طواغيت بني أميّة فراعنة بنو العباس، وقد فعلوا ما فعلوا من الظلم والطغيان، والاشتغال بالشهوات والمحرّمات، وأخذوا بالتضييق على أهل البيت عليهم السلام فقضوا عليهم بالسجن والتعذيب تارة، وبالسمّ تارةً أُخرى، فضلاً

١. أُنظر تفسير القرطبي: ج٩ ص٣٥٠، مورد تفسير سورة ابراهيم، الآية: ١٥.

٢. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٣٥.

عن مطاردتهم لذراريهم وشيعتهم أينما كانوا.

فلله درّ الشاعر حين قال:

تالله ما فعلت أُميّة فيهم   معشار ما فعلت بنو العباس

كيف يمكن القول بخلافتهم!؟

وعليه، فكيف يمكن القول بأنّ هؤلاء سواء كانوا من بني أميّة أم نضرائهم من بني العباس وغيرهم أنّهم خلفاء لرسول الله ﷺ، الراعين لكتاب الله؟! وقد هتكوا القرآن واستباحوا حرمة الرسول ﷺ!

فكما في عقيدة ابن حجر الهيثمي وأضرابه. حيث قال ـ بعد أن استعرض الأحاديث مورد الحال ـ: قال القاضي عياض: لعلّ المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها، أنّهم يكونون في مدّة عزّة الخلافة وقوّة الاسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني اُميّة ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد ـ بن عبد الملك ـ فاتّصلت تلك الفتنة بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم.

قال شيخ الإسلام ـ ابن حجر العسقلاني ـ في فتح الباري: كلام القاضي هذا أحسن ما قيل في هذا الحديث، وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طرقه الصحيحة: كلّهم يجتمع عليه الناس. والمراد بإجتماعهم، انقيادهم لبيعته.

والذي اجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة، ثم علي، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين، فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمعوا عليه عند صلح الحسن، ثم على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر، بل قُتل قبل ذلك، ثم لمّا مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك ـ ابن مروان ـ بعد قتل ابن الزبير، ثم

على أولاده الأربعة: الوليد، فسليمان، فيزيد، فهشام، وتخلّل بين سليمان ويزيد: عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر: الوليد بن يزيد بن عبد الملك....

ثم قال ابن حجر الهيثمي: وقيل: المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدّة الإسلام إلى يوم القيامة، يعملون بالحقّ، وإن لم يتوالوا، ويؤيده قول أبي الجلد: كلّهم يعمل بالهدى ودين الحقّ....[1]

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: وبيّنﷺ أنّ هذا الحكم ـ تبعيّة الناس لقريش ـ مستمر إلى آخر الدنيا.. ثم قال: قال القاضي قد توجّه هنا سؤالان:

أحدهما: إنّه قد جاء في الحديث الآخر: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً. وهذا مخالف لحديث اثني عشر خليفة، فإنّه لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن عليعليهما السلام.

قال القاضي: والجواب عن هذا: إنّ المراد في حديث «الخلافة ثلاثون سنة» خلافة النبوّة، وقد جاء مفسّراً في بعض الروايات: خلافة النبوّة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً. ولم يشترط هذا في الإثني عشر.

السؤال الثاني: إنّه قد ولي أكثر من هذا العدد.

قال ـ أي، القاضي ـ : وهذا اعتراض باطل، لأنّهﷺ لم يقل: لا يلي إلا اثنا عشر خليفة، وإنّما قال: يلي. وقد ولي هذا العدد، ولا يضرّهم كونه وجد بعدهم غيرهم. ويحتمل أن يكون المراد: مستحق العادلين. ويحتمل أنّ المراد: من يعزّ الإسلام في زمنه ويجتمع المسلمون عليه...[2]

---

١. راجع الصواعق المحرقة: ج١ ص٥٣ـ٥٦.

٢. شرح صحيح مسلم: ج١٢ ص٢٠١، كتاب الإمارة، الخلافة في قريش.

هذا كل ما عند القاضي من الإشكالات والإعتراضات الواردة على أقوالهم ومعتقداتهم في أمر الخلافة حول مراد النبيﷺ من قوله: إثنا عشر خليفة. والذين هم بحسب الحديث الشريف: اثنا عشر رجلاً، كلّهم من قريش.

ولا يخفى ما فيه من تهافت، فإنّ القاضي لم يأت بدليل أو برهان فما قاله في جوابه عن الإشكالات والإعتراضات الواردة، لا تعدّ سوى جزافات ومحتملات لا تغني من الحقّ شيئاً.

على أنّ بعض طرق الحديث صريح في أنّ مدّة خلافة الإثني عشر ممتدة إلى يوم القيامة، وإلى انقضاء الإسلام.

كما روى مسلم في صحيحه: مُسنداً عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع: أن اخبرني بشيء سمعته من رسول اللهﷺ؟ قال: فكتب اليّ: سمعت رسول اللهﷺ يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي، يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة....[1]

ومفهوم الحديث أنّ بعد انصرام الدنيا بقيام الساعة أو ذهاب الخليفة الثاني عشر لا يعد للدين قيام، فينتفي بانتفاء موضوعه. مما يدلّ على أنّ ديمومة بقاء الدين لواحدة من اثنين، أمّا **الأوّل:** وهو يوم القيامة والذي لم يزل يومه غير معلوما. وأمّا **الثاني:** فلا بدّ لان يظهر فيهّ لأنّه يمثّل يوم التكليف، يوم الدنيا.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن سمرة: دخلت مع أبي على رسول اللهﷺ فسمعته يقول: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة...[2]

---

١. صحيح مسلم: ج٦ ص٤، كتاب الإمارة، باب الإستخلاف وتركه.

٢. صحيح مسلم: ج٦ ص٣، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

ولا مرية أنّ هذين الحديثين لايوافقان المعنى الذي أجاب به القاضي عياض ـ كما تقدّم ـ وحسّنه شيخ الإسلام في فتح الباري، وذلك لما يُنبئان عنه من كون مدّة خلافة الإثني عشر تمتد إلى قيام الساعة، وانقضاء الأمر، ممّا يكشف عن مدى تهافت رأيه، وفساد معتقده، بمقتضى حتم المدّة وانقضاء الخلافة بهلاك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، فبين قول القاضي والحقّ، بون شاسع.

فالحقّ أنّ الحديث لا يتوافق ولا ينطبق إلا على مذهب الشيعة الإثني عشرية.

وأمّا جملة: «كلّهم تجتمع عليه الأمّة» أو «يجتمع عليهم المسلمون» فعلى فرض أنّها ذيل الحديث وجزئه، إلا أنّ معنى «الإجتماع عليه» ليس كما زعموا: انقياد الناس لبيعته ـ لأنّ هذا كما يظهر من التاريخ لم يتّفق إلا لبعض من الذين عدّوهم من الخلفاء الإثني عشر، وهذا معلوم لا ريب فيه ـ بل معناها أنّ كلاً منهم محبوب ومكرّم لدى الأمّة الإسلامية، يحترمونه ويعظّمونه ويجلّونه، ويعترفون بفضله وعلمه وكرامته وشرافته وورعه وتقواه، فضلاً عن لياقته للخلافة والإمامة. ولا شك أنّ اجتماع الأمّة الإسلامية بهذا الشكل لم يتّفق سوى لآل النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته، كما صرّح بذلك المخالف والمؤالف.

فبالتأمل والتدبّر في الحديث الشريف يتبين ويتّضح أنّ مراد النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «يكون خلفي» أو «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» لاينطبق انطباقاً كاملاً إلا على خلفائه المعصومين من أهل بيته وعترته من دون أن يرد عليه إشكال أو اعتراض، لاتّساقه مع الحقّ المؤيد بالعقل والنقل من الكتاب والسنّة.

وقوله صلى الله عليه وآله: «يكون خلفي اثنا عشر خليفة» ظاهر على أنّ خلافة الخلفاء الإثني عشر الذين يعقبونه، تكون خلافتهم من نوع خلافته. يعني، هم خلفاء الله كما كان هو صلى الله عليه وآله خليفة الله، وهم حجج الله على بريته، كما كان هو صلى الله عليه وآله كذلك.

ويؤيّد هذا المعنى حديث رواه الشيخان، البخاري ومسلم في صحيحيهما، بل هو صريح في أنّ خلافة الخلفاء الإثني عشر الذين يخلفون النبيﷺ هي من نوع خلافته، من دون تخلّف أواختلاف، وإليك نصّ الحديث:

عن أبي حازم، قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدّث عن النبيﷺ قال: كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبي خلفه نبي، وإنّه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء، فتكثر. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأوّل فالأوّل، وأعطوهم حقّهم، فإنّ الله سائلهم عمّا استرعاهم.[1]

. وقال النووي في شرحه: «تسوسهم» أي، يتولّون أمورهم الأنبياء كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. و«السياسة» القيام على الشيء بما يصلحه. و«فوا ببيعة الأوّل فالأوّل» معناه، إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الأوّل صحيحة، يجب الوفاء بها، وبيعة الثاني باطلة، يحرم الوفاء بها، ويحرم عليه طلبها، وسواء عقدوا للثاني، عالمين بعقد الأوّل أم جاهلين... إلى آخره.

وعلى هذا فمعلوم أنّ الناكثين ـ أصحاب الجمل ـ خالفوا قول النبيﷺ ولم يفوا ببيعة أميرالمؤمنين عليعليه السلام، ولم يكتفوا بنكث بيعته حسب، بل أنّهم خرجوا عليه وحاربوه. وابن النابغة، عمرو بن العاص، وأمثاله عقدوا البيعة لإبن هند آكلة الأكباد مع علمه ببيعة المسلمين لخليفة رسول اللهﷺ عليعليه السلام! وعلى كلام النووي تكون بيعة معاوية باطلة، يحرم الوفاء بها كما يحرم عليه طلبها.

ومهما كان، فإنّ هذا الحديث الشريف، صريح في أنّ الخلفاء الذين ينبغي أن يكونوا بعد النبيﷺ هم كأنبياء بني اسرائيل، وليسوا بأنبياء، لأنّ النبوّة ختمت

---

١. صحيح البخاري: ج٤ ص١٤٤، كتاب بدء الخلق. وصحيح مسلم: ج٦ ص١٧، كتاب الأمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء.

بنفس النبيﷺ فلا نبي بعده، ولو كان بعدهﷺ نبي لكان الخلفاء بعده أنبياء أيضاً.

فاللازم أن يكون الخلفاء من بعدهﷺ أفضل، وأشرف، وأكرم، وأورع، وأتقى الناس، بل يُفترض أن يكونوا كالأنبياء، بكل صفاتهم ونعوتهم، لما كان قد استرعاهم الله، وهو سائلهم عمّا استرعاهم، وهذا أدلّ دليل، وأكبر برهان على أنّهم ـ أي، خلفاء الرسول الأعظمﷺ ـ عباد الله المكرمين، الذين: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1]، معصومون مطهّرون، قد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا،[2] وأهل السنّة والجماعة وإن لم يعتبروا العصمة إلا في النبيﷺ ـ وإن لم يكن مطلقاً ـ[3] إلا أنّهم قد اعتبروا العدالة في الخلفاء من بعدهﷺ.

والحديث الشريف يمثل أيضاً نصّ صريح في أنّ الخلفاء الذين ينبغي أن يكونوا من بعدهﷺ هم خلفاء الله، إذ أمرﷺ المسلمين بقوله: فوا ببيعة الأوّل فالأوّل، وأعطوهم حقّهم، فإنّ الله تعالى سائلهم عمّا استرعاهم. بأن جعل المسلمين رعيّة بأيديهم، فهم مسئولون عمّا استرعاهم الله عليه يوم القيامة والحساب.

كما ورد عن النبيﷺ أنّه قال: ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته.[4]

---

١. سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

٢. اشارة إلى آية التطهير في سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٣. كما هو معتقدهم، إنّ رسول اللهﷺ قد سحره لبيد بن أعصم اليهودي. فصدّقوا زعم عائشة، وكذّبوا الحق في قوله من سورة النجم، الآية: ٣و٤: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. راجع مسند الشافعي: ص٣٨٢، ومن كتاب الطعام والشراب وعمارة الأرضين. ومسند الحميدي: ج١ ص١٢٥ رقم٢٥٩. وزاد المسير لإبن الجوزي: ج٨ ص٣٣٢ رقم١١٣، سورة الفلق. وغيرهم.

٤. رواه بألفاظ مختلفة كل من: صحيح البخاري: ج٢ ص٦، وج٣ ص١٩٦، وج٤ ص٦، وج٧ ص٣٤ و٤١. ومسند أحمد: ج٥ ص٣. والسنن الكبرى للبيهقي: ج٦ ص٢٧٨، وج٧ ص٢٩١، وج٨

فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته...

وقال النووي: قال العلماء: الراعي: هو الحافظ، المؤتمن، الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره، ففيه: إنّ كل من كان تحت نظره شيء، فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلّقاته.

أقول: فعلى هذا نتساءل علماء السنّة، ونقول: هل يُعقل أن يسترعي الله سبحانه من ليس له صلاح، أمثال الطلقاء وأبنائهم من آل أميّة، أوسواهم ممّن قطعوا أرحامهم، وأفسدوا الأرض، كملوك بني العباس، بأن يجعل منهم خلفاء على المؤمنين من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الأطهار، وأصحابه الذين ما بدّلوا تبديلا، بل وعلى المسلمين جميعاً؟!

وهل يمكن لمن يعتقد بالله العزيز الحكيم، ويؤمن بعدله القويم، ويصدّق برسالة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، أن يقول بهذا؟

كيف يستقيم قولهم مع قول النبي صلى الله عليه وآله: «أعطوهم حقّهم»؟! وأيّ حق ينبغي على المسلمين إعطاءه للغاصبَين ومَن احتلب الخلافة عنهما، أو للطلقاء وأبناءهم، أو للطرداء[1] وأوزاغهم،[2] المنافقين، الزنادقة، الفسقة!؟

فما هو دليل القاضي عياض وأمثاله على أنّ قول النبي صلى الله عليه وآله: يكون بعدي اثنا عشر خليفة. يُراد منه أكثرهم من الطلقاء وأبنائهم؟

وبما يجيبون النبي صلى الله عليه وآله يوم يقفون بين يديه، مُسائِلُهم: من أين قلتم أنّ مرادي بقولي: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» مطلق الخليفة، لا بشرط، كائناً من كان،

ص١٦٠. وغيرهم، فراجع.

١. اشارة إلى جدّ المروانيين، الحكم بن أبي العاص، طريد رسول الله صلى الله عليه وآله. تقدّمت الإشارة إليه.

٢. اشارة إلى أبي المروانيين، مروان بن الحكم بن أبي العاص، الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله، بقوله: الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون. تقدّمت الإشارة إليه.

زنديق، منافق، فاسق؟!

وما عذرهم لو قالﷺ لهم: ما المانع بنظركم أن يكون مرادي من الخلفاء هم الإثنا عشر من عترتي، أهل بيتي؟

أما رأيتموهم لائقين بالخلافة والإمامة، جديرين بهما؟

ألم تتوفّر لديهم شروط خلافة النبوّة وإمامة الأُمّة؟

فلِم، وبم رجّحتم المنافقين، والفاسقين من آل أميّة على أهل بيتي، وعترتي الطيبين الطاهرين!؟

وما هي شروط خلافة النبوّة بزعمكم حتى وجدتموها في آل أُميّة، ولم تجدوها في عترتي، أهل بيتي الهداة المهديين!؟

لا والله، لا عذر لهم، ولا جواب!

نعم، لا شك أنّ الحديثين، لا ينطبقان، ولا يتوافقان سوى على مذهب الإماميّة الإثني عشريّة، المؤيّد بالعقل والنقل، من الكتاب والسنّة، ولايكفي أنّهما لا ينطبقان على مذهب غيرهم فحسب، بل يخالفانه ويردّانه، والحمد لله الذي له الحجّة البالغة.

إذن، فلا ريب أنّ مراد النبيﷺ من قوله: «الخلافة بعدي اثنا عشر». هو الخلافة المعهودة من الله العزيز الحكيم، كما يدّل على ذلك حصرهﷺ الخلافة بعده في اثني عشر رجلاً من قريش،[1] أو كما روي أيضاً: من بني هاشم.[2] حصراً بآل البيتعليهم السلام، ويرجّحه حديث الثقلين، كما يؤيده مارواه السيوطي في تاريخ

١. وفيه استبعاد كل من ليس صلة بقريش، خصوصاً ربيب عبد شمس، أميّة اللصيق، وشجرته الملعونة.

٢. في ينابيع المودّة للقندوزي: ج٢ ص٣١٥ ح٩٠٨، روى عن جابر بن سمرة، إنّه قال: كنت مع أبي عند رسول اللهﷺ فسمعته يقول: بعدي إثنا عشر خليفة. ثمّ خفي صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلّهم من هاشم.

الخلفاء، عن مسدد في مسنده الكبير، عن أبي الجلد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تهلك هذه الأمّة حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة، كلّهم يعمل بالهدى ودين الحق.[١]

فلا مريّة أنّ أهل السنّة والجماعة لا يمكنهم تطبيق ما ورد من الأحاديث الشريفة في أمر الخلافة، على مقالتهم ومذهبهم في أمرها، لأنّهم يقولون ويعتقدون بخلافة معاوية بن آكلة الأكباد، ويزيد بن ميسون، وأمثالهما من آل أميّة وآل العبّاس، والحديث يحصر عدد الخلافاء بعد النبي صلى الله عليه وآله في اثني عشر رجلاً، وعدد الذين يقول أهل السنّة بخلافتهم من بني أميّة وبني العباس يكون أكثر من ذلك بأضعاف.

وهل علمتم في معاوية سوى النفاق والشقاق، وسفك الدماء القانية، ونهب الأموال المحرّمة، وهتكه لنواميس الإسلام بمروقه على إمام المسلمين، وأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فضلاً عن سنّه سبّهُ من على المنابر، قرابة أربعين عاماً؟

وهل لمستم في ابنه يزيد غير الفسق والفجور والعصيان والطغيان والكفر والزندقة؟

وهكذا في ساير مَن تقولون بخلافتهم وإمامتهم، وبحسب تفاوت عنصر الخطيئة والإثم فيهم؟

فنحن نقول: أين كان العمل بالهدى ودين الحق فيمن جاء من بني أُميّة وبني العباس وغيرهم سواء ممّن مهدّ لهم أو من دال على أنقاضهم؟

فإن لم يكن جواب، ولا جواب.

---

١. تاريخ الخلفاء: ج١ ص١٦، في مدّة الخلافة في الإسلام.

نقول، والحق نقول: لا يستقيم، ولن يستقيم الأمر في الذين بشر بهم رسول الله ﷺ بقوله: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة ». سوى لأئمة أهل البيت الإثنا عشر عليهم السلام، والذي تقمّص حقّهم، ظلماً، وعدوانا، واغتصاباً، فكالتي انقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا.[١] وأمّا نسّاجيهم، سواء كانوا من بطانتهم ومواليهم أو ممّن استُرزقوا ويَسترزقون على فُتات إرث غصبهم، وظلمهم، وإعتدائهم، بلا شك فإنّ أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماءً، حتى إذا جاءه، لم يجده شيئاً، ووجد الله عنده، فوفّاه حسابه، والله سريع الحساب.[٢]

كما لا يخلو الأمر نفسه بالنسبة لدولة بني العباس، الذين دالوا على رقاب الأُمّة الإسلاميّة، بعدما شيدوا أركان ملكهم على أنقاض دولة بني أُميّة، ولذات الأسباب التي تقدّم ذكرها في عدم مشروعية مَن سبقهم، بدءً بالسقيفة وانتهاءً بالحمار!

---

١. اقتباس من قوله تعالى في سورة النحل، الآية: ٩٢.

٢. اقتباس من قوله تعالى في سورة النور، الآية: ٣٩.

فصل في

هل الخلافة كمال أم استحقاق؟

بلا شك، إنّ الخلافة لدى المسلمين هي الإمامة الكبرى، وسبق أن قلنا: إنّ الإمام ـ لغة ـ هو المقصود والمتّبع،[1] ومن هذا الباب يّطلق على إمام الجماعة، لأنّه المتّبع في أفعال الصلاة، وكذا أُطلق على الدين والكتب السماوية، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيءٍ أحصَينَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿وَمِن قَبلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحمَةً﴾[3].

ومن ذلك: يُعلم وجه اطلاق صفة الإمام، على الزعيم الديني، لأنّه المقتدى لقومه، كما قال سبحانه: ﴿وَاجعَلنَا لِلمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[4].

وليس بين صفة الخليفة والإمام ترادف. لأنّ الخليفة في اللغة، يُراد منه خلافته للغير، بخلاف الإمام. قال الشيخ الطبرسي: الخليفة والإمام واحد، إلا أنّ بينهما فرقاً. فالخليفة: استخلف في الأمر مكان مَن كان قبله. فهو مأخوذ من أنّه خلف غيره، وقام مقامه. والإمام: مأخوذ من التقدّم، فهو المتقدّم فيما يقتضي وجوب الإقتداء به، وفرض طاعته فيما تقدّم فيه.[5] أي، إنّه لايخلف أحداً في المقام. وفي الإصطلاح ـ أي، المعنى المقصود من الخلافة والإمامة عند المسلمين ـ بينهما عموم من وجه، فالخليفة هو الإمام، ولا عكس.

---

١. راجع الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

٢. سورة يس، الآية: ١٢.

٣. سورة هود، الآية: ١٧.

٤. سورة الفرقان، الآية: ٧٦.

٥. أُنظر تفسير مجمع البيان: ج١ ص١٤٦، مورد تفسير سورة البقرة، الآية: ٣٠.

وقد استفيد من القرآن الحكيم، إنّ الأئمة على صنفين: إمّا هداة مهديون، يدعون إلى رضوان الله تعالى، كأنبياء الله وأوصيائهم، وإمّا ضالّون مضلوّن يدعون إلى النار، كالجبت والطاغوت وأعوانهما.

ولا يشكّ كل ذي مسكة، إنّ بني أميّة وبني العباس وأضرابهما ممّن تقمّص الخلافة بغير حق أواستحقاق، لم يكونوا ولو لسويعة، هداة مهديون، يهدون لرضوان الله، وبأمره يعملون. فكان سعيهم لنيل الخلافة ولو بالغصب والقهر، ضنّاً منّهم يسدوا بها خلّتهمّ، ويرأبوا تصدع ذواتهم المهزومة قبال أزيز الشيطان، ورغبات النفس الأمّارة بالسوء، فامتطوا صهوتها ضنّاً منهم يُكملوا ما قد نقص فيهم، دليله ما ذُكر عن إمام الحنابلة، أحمد بن حنبل، عندما تذاكروا عنده أمر الخلافة، قال: قد أكثرتم، إنّ عليا لم تزنه الخلافة، ولكن هو زانها.[١]

نعم، فعلى منهاج ابن تيمية ونظرائه الذين لا يشترطون في الخليفة أكثر من الإسلام الظاهري، لا يمنع لديهم أن يقولوا ويعتقدوا بإمامة الظلمة والفسقة، رغم روايتهم عن عمر بن الخطاب، في قوله: إنّ هذا الأمر ـ يعني الخلافة ـ لا يصلح للطلقاء، ولا لأبناء الطلقاء.[٢] وماحسّنوه عن سعيد بن جمهان في قوله: حدثّني سفينة، قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك. ثم قال لي سفينة: أمسك، خلافة أبي بكر. ثم قال: خلافة عمر وخلافة عثمان. ثم قال لي: أمسك خلافة علي. قال: فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد: فقلت له: إنّ بني أميّة يزعمون أنّ الخلافة فيهم. قال: كذب بنوا الزرقاء، بل هم ملوك، من

---

١. تاريخ بغداد للبغدادي: ج١ ص١٤٥. وتاريخ دمشق لإبن عساكر: ج٤٢ ص٤٤٦. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١ ص٥٢.

٢. كنز العمّال: ج٣ ص١٨٥.

شرّ الملوك.[١]

ولم يكن ذلك صادر عن جهل منهم بمقام النبوّة والإمامة، بقدر ماهو جحود، ومحاولة منهم لتمييع رفعة وسمو مقاميهما. ولارتباط أمريهما برباط الإصطفاء الغيبي، ألصقوا الإمامة ـ لامتناع أمر النبوّة بختمها ـ بأدون الناس، لكي من بعد ذلك يسهل لهم التجرىء على مقام النبوّة من خلال التزوير والتلاعب بالسنّة المطهرة.

فيا ترى! ألم نُدرك بعد، حقيقة المغزى من قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٢]

ولو حاولنا الجمع بين قول النبي ﷺ: الخلافة ثلاثون عاما، ثم يكون بعد ذلك الملك.[٣] والمجمع على صحّته، من قوله ﷺ: يكون بعدي اثنا عشر خليفة. لابدّ أن نلتزم بأحد أمرين:

الأوّل: إمّا نحكم بانقطاع الخلافة بعد مضي ثلاثين سنة من وفاة النبي ﷺ وطرح حديث «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» مع صحّته، وتواتره المعنوي. وبالنتيجة نجزم بالظلم والجور لكلّ مَن تصدّى للخلافة بعد الثلاثين عام، لخروجهم عن السقف الزمني الذي قيّده الحديث الشريف.

الثاني: وإمّا أن نطرح الحديث القائل: «بأنّ الخلافة ثلاثون سنة» ونعمل بالحديث المُجمع على صحّته: «أنّ الخلفاء اثني عشر» فنقول: بخلافة الأئمة الإثني عشر من أهل بيت النبي ﷺ، خلفة استحقاق، لما توافر فيهم من شرائط خلافة النبوّة وإمامة الأمّة، وانطباق حديث: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» انطباقاً

---

١. سنن الترمذي: ج٤ ص٥٠٣ ح٢٢٢٦. ومسند أحمد: ج٥ ص٢٢٠، حديث أبي عبد الرحمن، سفينة.
٢. سورة النمل، الآية: ١٤.
٣. مسند أحمد: ج٥ ص٢٢٠، حديث أبي عبد الرحمن، سفينة.

كاملاً عليهم من كل حيث وجهة، بما وافق القلوب العامرة، والعقول السليمة، مع ما يؤيده من النصوص الصريحة الصحيحة المعتبرة عند كافّة المسلمين.

الخلافة من أصول الدين

ولمقتضى اشتمال الدين على أُصول أساسيّة بُنيت عليها فروع الأحكام التشريعية، اعتمد المسلمون في إمامة النبي، إنّها أصلاً من أُصول الدين، لضرورة كونها عهد الله الذي لا يناله الظالمين، كما قال تعالى لخليله ابراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

بمعنى ضرورة ارتكاز صفة الإمامة في الرسول، لاعتبارها أعلى مراتب الصفوة، فتسهل بها طاعة الناس للمرسَل، بفعل ماتقتضيه له من هيمنة روحية عليهم، بدليل أنّ تلك الصفة وإن واكبت، بل كانت من سنخ جميع الأنبياء والرسل من عقب الخليل عليه السلام، إلا أنّها خلت ممّن ظلم، فلم ينلها، بنصّ قيد القرآن الحكيم.

ولذا فالمساوقة بين الإمامة النبويّة، وإمامة الوصي، لم تكن وليدة البحث والتأمّل كحال الكثير من الأُمور، وإنّما يُرشدنا إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]، الذي يؤكّد حتمية الولايّة المطلقة لمن يتّصف بالأهلية، أوتكون من سنخه، فيستحقّ الإمامة على الخليقة كلّها، سواء كان نبي أو وصي نبي، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[3].

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

٢. سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٣. سورة القصص، الآية: ٥.

وبما أنّ النبوّة أصل من أصول الدين بالضرورة، فكذلك الخلافة النبويّة، تجب مثلها، كأصل من أُصول الدين بعد التوحيد والنبوّة، لما تمثله من إمتداد طبيعي لوظائف النبوّة الرئيسية، بدليل ما روي عن رسول اللهﷺ، في قوله لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.[1] وتعيينهﷺ علياًعليه السلام في قوله: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقام أبو بكر وعمر، فقال: لا، ولكن خاصف النعل. وعليعليه السلام يخصف نعله.[2]

والذي يؤيد ماتفرّد به مذهب الحقّ باعتماد ذلك في عقيدته، تصريح رسول اللهﷺ عندما عبّر عن الإستخلاف، بكلمة «خلفاء بعدي». وأيضاً كما في حديث أبي هريرة، عن رسول اللهﷺ في قوله: كانت بنوا اسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلّما هلك نبي خلفه نبي، وإنّه لا نبيّ بعدي، وسيكون خلفاء....[3] وعليه، فإنكار الإمام، تحت أي ذريعة، يُعتبر إنكاراً لأصل من أُصول الدين، والمنكر لأصل من أصول الدين، يكون كمن لادين له. كما سيأتي.

وجوب معرفة الإمام

إذن، فإنّ معرفة خليفة رسول اللهﷺ، أوالإمام الحقّ، واجبة عقلاً، كما تجب

---

١. أخرجه أحمد في مسنده: ج١ ص٣٣١. والحاكم في المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٣٢. والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩ ص١٠٨. والحافظ النسّائي في خصائصه: ص٧.

٢. مسند أحمد بن حنبل: ج٣ ص٣١ و٣٣ و٨٢. وأيضاًخصائص النسّائي: ص٥٨. ومستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٢٢ـ١٢٣. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ج١ ص٦٧. وأُسد الغابة لإبن الأثير: ج٤ ص٣٢.

٣. صحيح البخاري: ج٣ ص١٢٧٣ ح٣٢٦٨، كتاب أحاديث الأنبياء. وسنن ابن ماجة: ج٢ ص٩٥٨ ح٢٨٧١، باب الوفاء بالبيعة. ومسند أحمد: ج٢ ص٢٩٧ ح٧٩٤٧. مسند أبي هريرة.

معرفة الله تعالى، ومعرفة النبيّ، والإعتقاد برسالات السماء. كيف لا، ووظيفة الإمام إنّما هي من سنخ وظائف الأنبياء والرسل، سوى ما خرج تخصّصاً، كالنبوّة. كما أسلفنا.

والدليل الصريح على وجوب معرفة الإمام، وأنّ الجاهل به أو الجاحد المعاند له، يموت ميتة الكفر والجاهلية.

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمر، عن النبيﷺ أنّه قال: من خلع يداً من الطاعة، لقي الله يم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية.[١]

أقول: نعم، لقد فهم ابن عمر من الحديث الشريف، إنّه من مات وليس في عنقه بيعة لأحد من آل أميّة مات ميتة جاهلية! ولعقليّته النابية عن إدراك الحقائق بايع عثمان، ولم يبايع سيّد المسلمين وإمام المتقين وأميرالمؤمنين علياًعليه السلام،[٢] وبايع معاوية ويزيد، وحدّث ابن مطيع بهذا الحديث، ليمنعه عن نكث بيعة يزيد، إنّ ابن عمر لم يبايع علياًعليه السلام وهو يعلم أنّه أخو رسول اللهﷺ،[٣] و بمنزلة

---

١. صحيح مسلم: ج٣ ص ١٤٧٨ ح١٨٥١، كتاب الامارة.

٢. روى الطبري في تاريخه: ج٣ ص٤٥١، خلافة علي بن أبي طالب، قال:. .. وجاؤا بابن عمر، فقال: بايع. قال: لا أُبايع حتى يبايع الناس! قال: إئتني بحميل. قال: لا أرى حميلاً! قال الأشتر: حلّ عنّي أضرب عنقه. قال عليعليه السلام: دعوه، أنا حميله. إنّك ماعلمت، لسيء الخُلُق صغيراً وكبيراً. ورواه البلاذري أيضاً في أنساب الأشراف: ص٢٠٧، بيعة أميرالمؤمنينعليه السلام.

أقول: وإن كان قد ذكروا مدى تأسفه وندمه على عدم مبايعته لأميرالمؤمنينعليه السلام مما يدل على سوء عقيدته، وفساد ظنّه، وتهافت إجتهاده. راجع الطبقات لإبن سعد: ج٤ ص١٨٥ـ١٨٧. والمستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣ ص٥٥٨.

٣. راجع سنن الترمذي: ح ٣٦٥٤، كتاب المناقب. ومسند أحمد: ح١٩٣٦.

نفسه ﷺ،[١] وكان من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام،[٢] في حين يجمع أهل بيته ومواليه وحشمه، ويقول:... فلا يخلعنّ أحد منكم يزيد، ولا يسرفنّ أحد منكم في هذا الأمر، فيكون صيلماً فيما بيني وبينه.[٣]

وفي لفظ البخاري: إنّي لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه...[٤]

كما ويروى عن ابن عمر أيضاً: إنّه أتى الحجّاج ليبايع لعبد الملك بن مروان، طواعيّة، ودناءة من نفسه، فمدّ الحجّاج له رجله، وقال: إنّ يدي مشغولة!!

ففي شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد، قال: فإنّه ـ أي، ابن عمر ـ امتنع من بيعة علي، وطرق على الحجّاج بابه ليلاً، ليبايع لعبد الملك، كيلا يبيت تلك الليلة بلا إمام، زعم، لأنّه روى عن النبي ﷺ أنّه قال: من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية. وحتى بلغ من احتقار الحجّاج له، واسترذاله حاله، أن أخرج رجله من الفراش، فقال: اصفق بيدك عليها.[٥]

وفي صحيح مسلم أيضاً: عن النبي ﷺ: من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية.[٦]

---

١. إشارة إلى سورة آل عمران، آية المباهلة: ٦١. راجع المعيار والموازنة للأسكافي: ص٢٠٧، في بيان إجمالي في إختيار رسول الله ﷺ علياً أخاً له. والطبقات الكبرى لإبن سعد: ج٣ ص٢٢. والطبراني في المعجم الكبير: ج٨ ص١٢٧. ومسند الشاميين للطبراني: ج٤ ص٣١٥ رقم٣٤١١. والمناوي في فيض القدير: ج٤ ص٤٦٨ رقم٥٥٨٩.

٢. راجع صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٠٩ رقم٣٥٠٣. وصحيح مسلم: ج٤ ص١٨٧٠ رقم٢٤٠٤، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. مسند أحمد: ج٢ ص٩٦ ح٥٧٠٩، مسند عبد الله بن عمر.

٤. صحيح البخاري: ج٦ ص٢٦٠٣ ح٦٦٩٤، كتاب الفتن.

٥. شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١٣ ص٢٤٢.

٦. صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٧٦ ح١٨٤٨، كتاب الامارة.

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه، قال: قال رسول اللهﷺ: من مات وليس عليه طاعة، مات ميتة الجاهلية، ومن خلعها بعد عقدها في عنقه، لقي الله تبارك وتعالى وليست له حجّة.[١]

وفيه أيضاً، عن عاصم، عن أبي صالح، عن معاوية بن أبي سفيان، قال: قال رسول اللهﷺ: من مات بغير إمام، مات ميتة الجاهلية.[٢]

أقول: نسأل أهل السنّة والجماعة من أنصار معاوية وأودّائه: هل كان أبن آكلة الأكباد، طيلة هذه المدّة، في ذكرٍ من روايته تلك التي رواها متبجّحاً؟

وهل علم أنّه طوى تلكم السنين وليس في عنقه بيعة لإمام؟ وأنّه لا يحلّ لمسلم أن يبيت ليلتين ليس في عنقه لإمام بيعة.[٣] وأنّه إن مات والحالة هذه، مات ميتة الجاهلية.

أم أنّه كان يرى استثناء نفسه من هذه الكليّة التي لم يستثن منها النبيﷺ أحداً؟

أم أنّ إلتفافه على أحكام السماء، بإغوائه السذّج من الذين لا يميّزون بين الناقة والجمل، أطمعه بقوّة السيف والمال، أن يكون هو الخليفة المطاع؟

هيهات ثم هيهات! وهو طليق ابن طليق، لم يؤهّله للخلافة نصٌّ، ولا أجماع.

نعم، فالحق هو عدم اكتراثه بالموت، سواء كان على ولاية ضبّ أو على ولاية ودّ سواع؟

وفي مسند أحمد أيضاً: حدّثنا إسحاق بن عيسى: حدّثنا ابن لهيعة، عن بكير،

---

١. مسند أحمد: ج٣ ص٤٤٦، حديث عامر بن ربيعة.

٢. مسند أحمد: ج٤ ص٩٦، حديث معاوية بن أبي سفيان.

٣. المحلى لإبن حزم: ج٩ ص٣٥٩.

عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير طاعة الله، مات ولا حجّة له، ومن مات وقد نزع يده من بيعة، كانت ميتته ميتة ضلالة.[1]

وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات بغير إمام، فقد مات ميتة جاهلية.[2]

وقال الدولابي في الكنى: إنّ الشعبي قال: سمعت ابن عمر يقول: من مات وليس عليه إمام جامع، فقد مات ميتة جاهلية، ومن خرج عن الجماعة، فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه.[3]

وروى المتقي الهندي في كنز العمال، ما لفظه: من مات ولا بيعة له مات ميتة جاهلية.[4]

وفيه أيضاً: من مات مفارقاً للجماعة، مات ميتة جاهلية.

وفيه أيضاً: من مات ناكثاً عهده، جاء يوم القيامة لا حجّة له.

وفيه أيضاً: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية....[5]

وأخرج البيهقي في سننه، وابن كثير في تفسيره، والهيثمي في مجمع الزوائد، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية.[6]

وأخرج التفتازاني في شرح المقاصد: من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات

---

١. مسند أحمد: ج٢ ص١١١، مسند عبد الله بن عمر.

٢. حلية الأولياء: ج٣ ص٢٢٤، زيد بن أسلم.

٣. الكنى والأسماء: ج٢ ص٣.

٤. كنز العمّال: ج٣ ص٢٠٠، في كتاب أحكام البيعة إكمال.

٥. كنز العمّال: ج٦ ص١٠٠ـ١٠١و١٦٦.

٦. سنن البيهقي: ج٨ ص١٥٦. وتفسير ابن كثير: ج١ ص٥١٧. ومجمع الزوائد: ج٥ ص٢١٨.

ميتة جاهلية. وجعله في المفاد كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.[١]

وذكره أيضاً بهذا اللفظ في شرحه على عقائد النسفي، المطبوع سنة١٣٠٢هـ. غير أنّ يد الطبع الأمينة على ودائع العلم والدين! حذفت من الكتاب في طبع سنة١٣١٣هـ، سبع صحائف يوجد فيها هذا الحديث!![٢]

وهذا الحديث حكاه الشيخ على القاري صاحب المرقاة في خاتمة الجواهر المضّية، وقال: وقوله ﷺ في صحيح مسلم: من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية، معناه، من لم يعرف من يجب عليه الإقتداء والإهتداء به في أوانه.[٣]

وقال ﷺ: من مات ولا إمام له، مات ميتة جاهلية. ذكره أبو جعفر الإسكافي، في خلاصة نقض كتاب العثمانية للجاحظ.[٤]

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ولفظه: من مات وليس لإمام جماعة عليه طاعة، مات ميتة جاهلية. وفي أخرى: من مات وليس عليه إمام، فميتته ميتة جاهلية. وبلفظ: من مات وليس عليه إمام، مات ميتة جاهلية.[٥]

وفي شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد، قال: وجاء في الخبر المرفوع: من مات بغير إمام، مات ميتة جاهلية. وأصحابنا كافّة قائلون بصحّة هذه القضيّة، وهي أنّه لا يدخل الجنّة إلا من عرف الأئمة، الا ترى أنّهم يقولون: الأئمة بعد

---

١. شرح القاصد: ج٢ ص٢٧٥.

٢. راجع الغديرللأميني: ج١٠ ص٣٦٠.

٣. الجواهرالمضيئة: ج٢ ص٥٠٩ و٤٥٧.

٤. نقض كتاب العثمانية: ص٢٩.

٥. مجمع الزوائد: ج٥ ص٣٩٥ و٤٠٤ـ٤٠٥، باب منه لزوم الجماعة، والنهي عن الخروج عن الإمام، وقتالهم.

رسول الله صلى الله عليه وآله فلان وفلان، ويعدّونهم واحداً واحداً.[١]

ومهما يكن، فإنّ هذه حقيقة راهنة أثبتتها الصحاح والمسانيد، فلا ندحة عن البخوع لمفادها، ولا يتم إسلام مسلم إلا بالنزول لمؤدّاها، ولم يختلف في ذلك اثنان، ولا أنّ أحداً خالجه في ذلك شك.

فما يزعمه أهل السنّة والجماعة من أنّ الإمامة من الأحكام الشرعية الفرعية، وليست من الأُصول العقائديّة التي يجب فيها المعرفة والإذعان، مردود بهذه النصوص، التي لا ينكرها مسلم، وهي صريحة على كفر من لا يعرف إمام زمانه، فلو لم تكن معرفة الإمام واجبة، لما كان ترك الإمتثال بها موجباً للكفر، يودي بصاحبه إلى ميتة الجاهلية.

إستدراك

لا بدّ أن يرد على محاولة تعميم «من لم يعرف إمام زمانه» ويبحث في مناط الثمرة من ضرورة تقييده، لكي لا يلزم من عمومه الحكم بالجناية على أحد من المسلمين الذين لم يجدوا في من يُشهّر به بمقتضى حاكمية السلطة والجبروت ليصفوه خليفة عدل وصرف، وليس هو كذلك. لذا إليك هذا الإيراد:

من هو إمام فاطمة عليها السلام؟

بعد أن اطّلعنا على ضرورة وجوب معرفة المسلم لإمام زمانه، وحتميّة بيعته له، من خلال تلك الروايات، يلفت النظر أنّ هناك أمر دقيق ينبغي البحث عنه والتدبر فيه، ليتّضح الأمر لمن يطلب الحق، فيزداد إيماناً، وهو: إنّ الصّديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام التي لايختلف اثنان على كونها من أهل البيت الذين

---

١. شرح نهج البلاغة: ج٩ ص١٥٢.

أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا،[١] ويغضب الله ورسوله لغضبها، ويرضيان لرضاها، ويؤذيهما ما يؤذيها،[٢] عاشتعليها السلام وليس في عنقها بيعة لمن زعم أنّه خليفة الوقت، وولي أمر المسلمين بعد النبيصلى الله عليه وآله، حتى توفّاها الله تعالى دون أن تُقرّ بخلافة أبي بكر. فإذا كان أبو بكر خليفة حقّ لرسول اللهصلى الله عليه وآله ـ كما زعم، ويزعمون ـ فكيف توفّيتعليها السلام ولم تعرفه بالإمامة، فضلاً عن الخلافة، بل وغاضبة عليه، فلم تكلمه،[٣] ولم تأذن بأن يصلّي عليها، أويحظرجنازتها، ودفنها؟!

أيمكن لأحد أن يقول: إنّها ماتت ـ والعياذ بالله ـ ميتة الجاهلية؟! وقد قالصلى الله عليه وآله: إنّها سيّدة نساء أهل الجنّة.[٤]

ومثلها بعلها علي بن أبي طالبعليه السلام الذي كان من رسول اللهصلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى،[٥] وكان بمنزلة نفس النبيصلى الله عليه وآله، كما تدلّ على ذلك آية المباهلة،[٦] لم يبايع طيلة ستّة أشهر، أوحتى وفاة فاطمةعليها السلام، كما يقول علماء أهل السنّة، بينما

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٢. ففي صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٧٤، باب: مناقب فاطمة. قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها، أغضبني. وفي صحيح مسلم: ج٤ ص١٩٠٢، باب: من فضائل فاطمة. قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها.

٣. راجع صحيح البخاري: ج٦ ص٢٤٧٤، كتاب الفرائض. وصحيح مسلم: ح٣٣٠٤. ومسند أحمد: ح٥٢. وسنن الترمذي: ح١٥٣٤.

٤. راجع مسند أحمد: ج٣ ص٨٠، مسند أبي سعيد. وفضائل الصحابة لأحمد: ص٥٨، مناقب فاطمةعليها السلام. وسنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٦، مناقب أبي محمد، الحسن بن علي، والحسين بن عليعليهما السلام. والسنن الكبرى للنسّائي: ج٥ ص٩٥، مناقب فاطّمةعليها السلام. وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج٩ ص١٩٣، وج١٠ ص٢٦٥. وغيرهم.

٥. إشارة إلى حديث المنزلة. سيأتي بحثه في الجزء الثالث، إنشاءالله تعالى.

٦. سورة آل عمران، الآية: ٦١.

علماء الشيعة يرفضون فكرة أنّه عليه السلام بـايع أحـدا أبـداً، بـدليل إقـراره فاطمـة عليها السلام وموافقته بما أوصت به من رفضها أن يصلّي عليها أبو بكـر أو مـن ينوبـه. فـضلاً عن تباطئه عـن البيعـة رغـم مـا عـرف عنـه مـن اسـبقيته لكـل أمـر يرضـي الله ورسوله صلى الله عليه وآله. فهل ياترى، خاف القوم، أم ناقض نفسه، أم داهن على دينه!؟

لا أعلم إنسان، يحمل معاني الإنسانيّة، فضلاً عـن ذوي الـشرافة بكـل قيميهـا، ومعانيها، يؤيّد أنّ علياً عليه السلام بايع القوم، للإحتمالات المفترضة. بـسبب مـاعُلم عـن مبغوضيته عليه السلام لكل فعل يُتنسّم منه عدم استقرار الشخصيّة، أوتزلزل أركان أبعادهـا الدينيّة والدنيويّة، فضلاً عمّا عُلم عنه ـ من ضرورة تاريخيّة ـ فـي سـموّه عليه السلام عـن كل ما من شأنه أن ينال من شخصه، مؤثّراً على رقيّه الديني والدنيوي.

بدليل أنّ أعداء علي عليه السلام وكما اتّفقوا ـ على كثرتهم، وتباين أطيـافهم ـ علـى عدائه، لم يختلفوا كذلك في عدم صدور ما قد صدر عن غيره من الصحابة مـن المثالب والمناقص.[1]

---

١. كما أُثر عن إمام الحنابلة في قوله: ماجاء أحد من الفضائل ما جاء في علـي عليه السلام. والنيـسابوري في قولـه: لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأحاديث الحسان ما ورد في حـق علـي. ذكرهمـا المنـاوي في فـيض القدير: ج٤ ص٤٦٨ رقم٥٥٨٩. وروى الحاكم في المستدرك علـى الـصحيحين: ج٣ ص١٠٧، فـضائل لعلي عليه السلام، عن أحمد، قوله: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعلـي بـن أبي طالب عليه السلام. وروى مثله إبن عـساكر في تـاريخ دمـشق: ج٤٢ ص٤١٨. وذكـر ابـن حجـر في تهـذيب التهذيب: ج٧ ص٢٩٧، عن أحمد، قوله: إنّه لم يرد لأحد من الصحابة من الفضائل ما روي لعلي. وكـذا قال النسّائي وغير واحد. وقال أحمد، واسماعيل القاضي، والنسّائي، وأبو علـي النيـشابوري: لم يـرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد ممّا جاء في علي. راجع ابن حجر في فـتح البـاري: ج٧ ص٥٧، باب مناقب علي بن أبي طالـب عليه السلام. وذكـره أيـضاً المبـاركفوري في تحفـة الآحـوذي: ج١٠ ص١٤٤، مناقب علي عليه السلام. وتاريخ جرجان للسهمي: ص٥١٦ رقم١٠٦٧، روى: إنّ الكسائي كان يقول: لا أقـيم ببلدة لا يُعرف فيها لأبي بكر وعمر وعثمان من الفضائل ما يُعرف لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

أقول: أمّا ما زعمه ابن النابغة، عمرو بـن العـاص، يكفـي صـدقاً بكُنيتـه مـن مـدّعاه. فـضلاً عـن ردّ

ثمّ إنّ أهل السنّة ليس لهم على مدّعاهم من البيعة المزعومة، دليل أوبرهـان، سوى ما زعموا أنّها كانت عن إكراه، ليصححوا بزعمهم هذا خلافة إمامهم!

ومهما يكن، فإنّ الحقيقة ها هنا مردّدة:

أوّلاً: بين أنّ الصدّيقة الطاهرة، وبضعة الرسول صلى الله عليه وآله قد عزبت عن ضرورة من ضروريات دين أبيها صلى الله عليه وآله، بعدم مبايعتها لأبي بكر، وماتت وهي ـ والعياذ بـالله ـ على غير سنّة أبيها!

ثانياً: وبين أن لا يكون للحديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه» صحّة. وقد رواه الحفظة الثقات من كـلا الفـريقين، وتلقتـه الأمّـة بـالقبول، كمـا وصـرّحوا بصحّته!

ثالثاً: وبين أنّها عليها السلام لم تعترف لمن تقمّص الخلافة بعد رحيـل أبيهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله، ولا توافقه على ما يدّعيه بأنّه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فضلاً عن ذلـك لـم تكن تراه أهلاً لمدّعاه.

فلو تجرّد المسلم عن التعصبات، وعالج الأمر بعيداً عن المؤثّرات المسمومة، تاركاً نفسه لنفسه، سيرى وبوضوح، إنّ الخلافة التي لم تكن لتعترف بهـا سـيّدة نساء أهل الجنّة، فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وماتـت وهـي واجـدة علـى صـانعيّها، الخليفة! وصاحبه ـ فضلاً عن تجويز علي عليه السلام في التأخّر عنها ولو أياماً، بل حتى

أميرالمؤمنين علي عليه السلام عليه، بقوله: عجباً لإبن النابغة، يزعم لأهل الشام: إنّ فيّ دعابة، وإنّـي امـريء تلعابة، أعافس، وأمارس!

لقد قال باطلاً، ونطق آثماً. إنّ شرّ القول، الكذب. إنّه ليقول فيكـذب، ويعـد فيخلـف، ويَـسأل فيلحـف، ويُسأل فيبخل، ويخون العهد، ويقطع الآل. .. أما والله، إنّي ليمنعني من اللعب، ذكر الموت، وإنّه ليمنعه من قول الحق، نسيان الآخرة. إنّه لم يبايع لمعاوية حتى شرط أن يؤتيه آتية، ويرضخ لـه علـى تـرك الدين رضيخة. نهج البلاغة: ج١ ص١٤٧، من خطبة له عليه السلام ذكر عمرو بن العاص.

شهوراً، وإن لم يكن بعقيدتنا قد بايع طوعاً أوكرهاً، وهو يعلم أنّه لا يحلّ لمسلم أن يبيت ليلتين ليس في عنقه لإمام بيعة.[١] ويعلم أيضاً أنّ من مات، ولم يعرف إمام زمانه، أو من ليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية ـ حري بأن يكون الإعراض عنها، وعدم البخوع لصاحبيها، إنّما هو من صميم شأنها.

ومهما يكن، فإنّ حديث «من مات بغير إمام، مات ميتة جاهلية» إنّما يُنبأ أنّ لكل مسلم ـ من بعد رحيل النبيﷺ وإلى يوم القيامة ـ إمام، وولي أمر، تجب عليه معرفته، والإقتداء به، والإستضاءة بنور علمه. فمن عرفه، على الإسلام والإيمان، ومن جحده، أو لم يعرفه، مات ميتة الجاهلية والكفر.

ومن ينظر في معتقدات الفرق الإسلامية، يرى بوضوح، إنّ فرقة الشيعة الإمامية الإثنا عشريّة، وحدها قد أخذت بهذا الحديث الشريف، واعتقدت به، بل وتناضل من أجله، وتموت عليه، من بين جميع فرق المسلمين.[٢]

ودلالة الحديث على أنّ الإمامة من أصول الدين، ظاهر باهر لا مريّة فيه، ممّا يثبت به صحّة مقالة الشيعة الإثني عشريّة في الإمامة، اذا لا يمكن، ولا يعقل أن يكن مراد النبيﷺ وجوب معرفة أئمة ضلال، كمعاوية ويزيد، ومَن شاكلهما، ومن ثمّ الإقتداء بهما وبأمثالهما، ويُحذّر مَن يموت ولم يعرفهم، أوتكن له في عنقه بيعة لهم، يكون قد مات ميتة جاهلية!! حاشا رسول اللهﷺ، الذي مَنّ به الله تعالى على الخلق، شاهداً، ومبشّراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً

---

١. المحلّى لإبن حزم: ج٩ ص٣٥٩.

٢. الذين أخبر بافتراقهم رسول اللهﷺ بقوله: تفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، إلا واحدة ناجية. راجع مسند أحمد: ج٢ ص٣٣٢. وسنن ابن ماجة: ج٢ ص٣٢٢ ح٣٩٩٢، كتاب الفتن. سنن الترمذي: ج٥ ص٢٥ ح٢٦٤٠، باب ما جاء في افتراق هذه الأمّة. والمستدرك على الصحيحين للحاكم: ج١ ص٦ و١٢٨ـ١٢٩. وسنن أبي داود: ج٢ ص٣٩٠ رقم٤٥٩٦، كتاب السنّة. والسنن الكبرى للبيهقي: ج٨ ص١٨٨، باب الخلاف في قتال أهل البغي.

منيراً،[١] حين ابتعثه فيهم ليتلو عليهم آياته، ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين،[٢] وألف حاشا أن يخالف ما أُمره الله به، وقد وصفه بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[٣].

نعم، فالخلافة العظمى والإمامة الكبرى، إنّما هي ولاية إلهية عامّة على جميع البريّة وهي استخلاف للنبوّة، كما أنّها حجّة الله على الأرض ـ وقد تقدّم البحث في ذلك ـ[٤] فبينها وبين مدّعيها بغير حقّ، بون شاسع، وبُعد فارع. أفمن كان خليفةً بالعدل والحكمة كمن هيمن بالنفاق والفسوق، لايستوون.

ما المقصود من المعرفة

وممّا يدلّ على أنّ الإمامة أصل من أُصول الدين، ما أفصح عنه كلام سيّد المسلمين وأميرالمؤمنين وأمام المتقين، علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث قال: إنّما الأئمة، قوّام الله على خلقه، وعرفائه على عباده، لا يدخل الجنّة، إلا مَن عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار، إلا من أنكرهم وأنكروه...[٥]

لا شك أنّ المراد من معرفة الإمام، ليس المقصود منه معرفة الأسماء والأشخاص حسب، فإنّ مشركي ومنافقي قريش كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن لم تنفعهم تلك المعرفة المجردة، ما لم ينَدك بها اعتقاد راسخ بما حمل،

---

١. اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٤٥ـ٤٦.

٢. اقتباس من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سورة الجمعة، الآية: ٢٠.

٣. سورة النجم، الآية: ٣ـ٥.

٤. في الجزء الأول، تحت عنوان: فصل في الإمامة وحقيقتها.

٥. شرح نهج البلاغة لعبده: ج٢ ص٤٠.

فقط هذه المعرفة وحدها التي توجب دخول صاحبها الجنّة. وعليه، فكلام الإمام عليه السلام هنا بمثابة بيان وتفسير للحديث النبوي آنف الذكر.

روى القندوزي الحنفي، في تفسير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، قال: إنّ علياً عليه السلام قال: أدنى ما يكون العبد مؤمنا أن يُعرّفه الله نفسه، ويُعرّفه نبيّه، ويُعرّفه إمامه وحجّته في أرضه، وشاهده على خلقه.[2]

هذا صريح في أنّ معرفة الإمام مقرونة بمعرفة الله، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله، وأنّ المرء لا يكون مؤمناً إلا بهذه المعرفة. وسيجيء إن شاء الله تعالى أنّ آية إكمال الدين واتمام النعمة[3] ـ النازلة يوم غدير خم في علي عليه السلام ـ أكبر دليل على أنّ الإمامة أصل من أصول الدين.

تأويل معنى «الإمام»

إنّ أهل السنّة والجماعة بعدما جعلوا الإمامة من فروع الدين لا من أصوله، وحيث نزّلوها عن رتبتها السامية، وبعدما حُصروا بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة الصريحة، بكونها أصل من أصول الدين لا من فروعه، اضطروا إلى تأويل معنى الإمام الوارد في الأحاديث الشريفة بضروب من التكلّف والتجشم.

فتارة: فسّروا الإمام بالقرآن!

وأخرى: بالراشدين من الخلفاء فقط!

وثالثة: بأئمة المذاهب الأربعة!

ولم يأتوا على أيّ منها بسلطان أوبرهان.

---

١. سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢. ينابيع المودّة: ج١ ص٣٤٩ ح٤ باب٣٨

٣. قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ المائدة، الآية: ٣.

أمّا القرآن الكريم

فلا يمكن أن يكون المقصود من الإمام في قولهﷺ ويُراد منه القرآن، لأنّ القرآن ليس بإمام زمان دون زمان، بل أنزله الله تعالى إماماً للأُمّة الإسلاميّة في جميع الأزمنة إلى يوم القيامة.

كما أنّ قوله تعالى: ﴿يَومَ نَدعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم﴾[1]، يدلّ على أنّ لأهل كل زمان إمام يتبعونه ويقتدون به، سواء كان إمام هدى أم ضلالة.

قال السيوطي في تفسيره: أخرج ابن أبي شبية، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس، قال: إمام هدى، وإمام ضلالة.

وفيه أيضاً: وأخرج ابن مردويه، عن عليعليه السلام، قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿يَومَ نَدعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم﴾، قال: يّدعى كل قوم بإمام زمانهم، وكتاب ربّهم، وسنّة نبيّهم.[2]

وهذا صريح باقتران القرآن بإمام الزمان، لا أنّه نفسه فيكون قسيماً له.[3]

وكذلك فإنّ تحذيرهﷺ في قوله: «مات ميتة جاهلية»، و«لقي الله وليست له حجّة» إنّما تدلّ على أنّ المراد بالإمام، هو الشخص الذي يوجّب الشارع فيه على المسلمين كافّة، معرفته، ومبايعته واتباعه، وطاعته.

ولو أريد بالإمام: القرآن. وبمعرفته: معرفة أحكامه وتفاصيله، لزم أن يكون أكثر المسلمين محكومين ـ عند موتهم ـ بميتة الكفر والجاهلية، لجهلهم بمعاني القرآن وتفاصيل أحكامه. دليله، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ

---

١. سورة الإسراء، الآية: ٧١.

٢. الدر المنثور: ج٤ ص١٩٤.

٣. اصطلاح منطقي يُطلق على المقسم والقسيم كما يقول الإمام: الشخص والقرآن والسنّة. فالإمام: قسيم. والشخص، والقرآن، والسنّة: كل واحد منهم مقسم.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1].

وأمّا الخلفاء الراشدون

وأمّا تأويله بالخلفاء الراشدين[2] دون سواهم.

فلا ينطبق معناه على الثلاثة الأوّل، بأي حال من الأحوال، بسبب:

أوّلا: يلزم منه التحميل، والتحكّم، فضلاً عن افتقاره للدليل.

وثانيا: إنّه في غاية البعد عن سياق ومفهوم قوله صلى الله عليه وآله: «من مات وليس في عنقه بيعة» و«من مات وليست عليه طاعة» و«من مات بغير إمام» و«من مات ولم يعرف إمام زمانه» لأنّها غير مقيّدة بزمان دون زمان، بل تعمّ جميع العصور والأزمنة، إلى آخر يوم من عمر الإنسان على هذا الكوكب، فلا شكّ أنّ

١. سورة آل عمران، الآية: ٧.

أقول: لايذهبنّ بحلمك الشيطان، فتذهب بك المذاهب التي تلبّس بها القوم، عندما حصروا تأويل القرآن بالله سبحانه ـ عند تفسيرهم الآية ـ فحصروا أنفاسهم حتى بلغت التراق، بإخراجهم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ما كان الله سبحانه ليرسله حتى يُعرّف الناس من تأويل ما أُنزل إليه من ربّه!!

٢. إنّما شيّع للقب الراشدين ـ الذي لم يكن معهوداً حتى حَكم الأُمويّين ـ معاوية بن أبي سفيان، لّما استأنس بما رأى من أهل الشام وهم يتناقلون حديث العرباض، الذي زعم فيه أنّه سمع في المسجد خطبة بليغة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ذُرفت منها العيون، قال فيها: فعليكم بسنّتي، وسنّة الخلفاء الراشدين، المهديين. فأطلقه حصراً في الثلاثة الذين تقمّصوا الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ليؤكّد على عدم الإحتذاء بسنّة غيرهم بعد النبي صلى الله عليه وآله ـ رغم التباين الواضح فيهمَ ـ إمعاناً منه في إخراج أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لئلا يستنّ بسنّته المسلمين. وإيغالاً منه بذلك، شرع بسنّ سبّه من على المنابر، ما أغرى به مَن ليس له خلاق في الدنيا والآخرة، من أشياعه، وأتباعه، حتى أُشرب فيهم أربعين عاماً.

علماً، إنّ مازعمه العرباض، لم يُروى عن سواه، وكأنّه لوحده كان في المسجد حين خطب رسول الله صلى الله عليه وآله خطبته تلك، التي ذرفت لها العيون، هذا فضلاً عن عدم رواية البخاري ومسلم لما زعمه، مع أنّهم يطرحون ما لم يأتيا به، أويصحّحاه!

وكما أسلفنا في الجزء الأوّل، إنّ القوم لم يكن يقولوا بخلافة علي عليه السلام فضلاً عن عدم عدّه من الراشدين وفق عقيدتهم، حتى جاء أحمد بن حنبل، فقال بالتربيع بعلي!!

مقصوده ﷺ وجوب معرفة الإمام في كل عصر وزمان إلى نهاية أزمنة التكليف من غير اختصاص بوقت دون آخر.

وأمّا أئمة المذاهب الأربعة

نفس الإشكال والإعتراض يردان على تأويله بأئمة المذاهب الأربعة، اضافة إلى أنّ الإمامة لا فرق فيها، سواء كانت أصل من أصول الدين ـ على مذهبنا ـ أم كانت من فروعه ـ على مذهب القوم ـ من عدم إنطباقها على واحد من أُولئك الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل.

على أنّ أحاديث وجوب معرفة الإمام، مرويّة بطرق الصحابة عن النبي ﷺ، فكيف يمكن أنّ يكون مراده ﷺ أئمة المذاهب الأربعة، ولم يكونوا في عهد النبي ﷺ ولا في عهد صحابته، بل لم يدركوا حتى عهد التابعين؟!

ثم إنّ هؤلاء الأربعة، لم يكونوا أئمة في عهدهم، بل كان شأنهم شأن سائر العلماء، من غير أي مزيّة على من سواهم، وإنّما رفعتهم يد السلطة والسياسة في القرن الرابع الهجري، فجعلت منهم أئمةً للمسلمين.

قال المقريزي في خططه: إنّ السلطان صلاح الدين ـ الأيوبي ـ حمل الكافّة على عقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري ـ تلميذ أبي علي الجبائي ـ وشرط ذلك في أوقافه التي في ديار مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب، وصار هذا الإعتقاد في سائر البلاد، بحيث من خالفه، ضُرب عنقه، وقال:

ولم يكن لمذهب أبي حنيفة كثير ذكر، ولا لمذهب أحمد بن حنبل، ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة ومذهب أحمد بعد ذلك، فلما كانت سلطة الملك الظاهر، ولي بمصر والقاهرة أربع قضاة يفتون على مذهب الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي، ومنع ما دون ذلك.

استمر ذلك من سنة خمس وستّين وستمائة حتى لم يبق في مجموع بلاد

الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعري. وعملت لأهلها المدارس والخانات والرباط في الإسلام، وعوديَ من تمذهب بغيرها، وأُنكر عليه. ولم يُول قاض، ولا قُبلت شهادته، ولا قُدّم للإمامة والخطابة، ولا للتدريس أحد، ما لم يكن مُقلّداً لأحد هذه المذاهب، ويحرّم ما عداها إلى هذا اليوم.[١]

أقول: فأين كانت هذه المذاهب ـ مع شدّة الخلاف والإختلاف فيما بينها، وتكفير بعضهم لبعض ـ عن تفسير الأحاديث النبوية بأصحابها ورؤسائها؟

مع أنّ التأويلات المزبورة لا نسبة لها ولا تناسب مورد الحديث، ولا تدلّ على ما استفاد منه الصحابة والتابعون من مجيء ابن عمر عند ابن مطيع بعدما كان من أمر يزيد بن معاوية في وقعة الحرّة، واستشهاده بما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله، فإنّه نصّ على أنّ المقصود من الإمام ليس إلا الخليفة.

ويدلّ على ذلك أيضاً ما في تلك الأحاديث من لفظ «البيعة» و«العهد» و«النكث» و«خلع اليد عن الطاعة» وكل ذلك لا ينطبق ولا يوافق إلا على أولياء الأمر، وحجج الله على عباده، الأئمة الإثني عشر، كلاً في عصره وزمانه.

الإمام هو الهاد

لقد صرّح الكتاب المجيد بوجوب أن يكون لكل قوم هاد، به تهتدي الأُمم إلى شرعة المنذر، من نبي أو رسول، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢]، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وآله هو المنذر، فمن هو الهادي الذي يجب أن يأتي من بعده، وفي كل زمان؟

---

١. خطط المقريزي: ج٤ ص١٦١.

٢. سورة الرعد، الآية: ٧.

فالأحاديث التي تقدّم ذكرها آنفاً،[١] وأحاديث: الخلفاء بعدي إثنا عشر.[٢] وحديث: الثقلين،[٣] والخليفتين،[٤] إنّما تؤيد، وتدلّ دلالة قطعية على أنّ لكل عصر وزمان حجّة، إماماً تجب على أهل العصر معرفته وتبعيته وطاعته.

إذاً، فلا بدّ للمسلمين من بعد المنذر من هاد، ولا يكون ذلك إلا مَن يكون بصفات الرسول وخصالهﷺ ليصحّ أن يُقيمه الله حجّة على عباده، ويفرض عليهم تبعيته وطاعته.

وإن قيل: ما المانع أن يكون علماء كل زمان هم الهادين، والأئمة لأهل زمانهم، وحجج الله عليهم؟

قلنا: إنّ هناك شروط واجبة ينبغي أن تكون في الإمام، كالعصمة وما أشبه، وقد مرّ تفصيل ذلك،[٥] إضافة إلى عدم خلو إختلافهم في المشرب والمذهب، الموجبين للتحزّب والتفرقة، ومن ثمّ الضلال، كما أُثر عمّن كان عملهم بالقياس والإستحسان، واعتمادهم الآراء والأهواء في التفسير وتأويلهم للقرآن، ومن ثمّ ووفق ذلك، استنباطهم للأحكام، وبثّها بين الأنام. وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾[٦].

فكيف يكون أمثال هؤلاء أمناء الله، وحججه على عباده، وهم السبب في تحزّب المسلمين وتفرقّهم وتمذهبهم بمذاهب مختلفة متضاربة في الأُصول

١. كما في حديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية» و«لقي الله، وليست له حجّة» وغيرهما.

٢. قولهﷺ: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» وقدّ مرّ مفصّلاً، فراجع.

٣. قولهﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي...» وقد مرّ مفصّلاً، فراجع.

٤. قولهﷺ: «إني تارك فيكم الخليفتين، كتاب الله وعترتي. ..» وقد مرّ مفصّلاً فراجع.

٥. راجع الجزء الأوّل، تحت عنوان: الخلافة والخليفة عند الشيعة.

٦. سورة القصص، الآية: ٥٠.

والفروع، كالمعتزلة، والأشاعرة، والقدريّة، والمرجأة، والجهميّة، والجبريّة، والمجسمة القائلون بالرؤيّة يوم القيامة، المثبتون له تبارك وتعالى الجهة والأعضاء، والقائلون بالصفات الزائدة له ـ سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون ـ كما فيهم من يُنكر عصمة النبيﷺ!؟

فوصل الأمر لأن يفسّق بعضهم بعضاً، في الفتيا والإجتهاد، حتى أنّ ابن الجوزي ذكر في كتابه «تلبيس إبليس» وجوهاً من تلبيساته على الفقهاء، وعدّ منها أمورا![1] فضلاً عن اختلاف أئمة المذاهب الأربعة أنفسهم، وإلا لما تعددت المذاهب بتعددهم، حتى غدى الواحد منهم مغايراً الآخر.

فإذا كان هذا شأن الكم الهائل من علماء الأعصار والأمصار، فكيف يمكن أن يكونوا حجج الله على عباده، خلفاءً لرسولهﷺ؟! أليس قبيح أن يكون من لطف الله تعالى ـ والحالة هذه ـ إحالة الأمور إليهم!

لذلك، ورحمة بعباده، جعل الله سبحانه للأرض حجّة، وأوحى إلى رسولهﷺ بتبليغه،[2] إماماً مفترض الطاعة، يهدي الناس إلى صراط الحقّ، ويحملهم على المحجّة البيضاء، لكيلا تكون للناس الحجّة على الله!؟

بالإضافة إلى أنّ القول بأصلحيّة كل من اعتلى على دفّة الحكم، أوتصدّى ليكون، أويكوّن مذهباً، ومدى أهليّته للخلافة والإمامة، ينافي ما صحّ عن رسول اللهﷺ من قوله: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش»[3]، وحديث الثقلين[4] وما أشبه.

---

١. راجع تلبيس ابليس: ج١ ص٥٢ ب٥.

٢. إشارة إلى آية التبليغ. سيأتي ذكرها لاحقاً، إنشاء الله تعالى.

٣. تقدّم البحث فيه آنفاً.

٤. وقد مرّ مفصّلاً في بداية الجزء.

فضلاً عن كثرة النصوص التي دلّت على عدم خلو الأرض من الإمام والحجّة، كما جاء في كلام سيّد المسلمين، وإمام المتقين، وأميرالمؤمنين علي عليه السلام لصاحبه كميل بن زياد، على ما ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء بالإسناد عن كميل بن زياد، إنّه قال:

أخذ بيدي أميرالمؤمنين عليه السلام، فأخرجني إلى ناحية الجبّانة، فلما أصحرنا، جلس، فتنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل،... إلى أن قال: اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته، هم الأقلّون عددا، والأعظمون عند الله قدرا، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدّوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر... صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، والدعاة إلى دينه، هاه هاه، شوقاً إلى رؤيتهم....[١] إلى آخره.

وذكره الغزالي في إحياء علوم الدين، وفيه: لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهر مكشوف، وإما خائف مقهور، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته....[٢] إلى آخره.

مقدّمات سبب وجوبه

من مقتضيات العقل والنقل عدم إهمال أمر الخلافة من قبل النبي صلى الله عليه وآله، وترك الأمور من بعده تسير وفق الأراء والأهواء، وكأنّ لاراعي قد مهد مسبقاً لقيام حكومة الله على الأرض! أو شغلته نفسه بمنازعة المنيّة، فلم يول للأمر كثير أهميّة! أولم يكن ليدرك مدى ضرورة الحكم بما أنزل الله سبحانة، لتفعيله بين العباد بما يتوافق وينسجم مع رسالة السماء!

---

١. حلية الأولياء: ج١ ص٨٠.

٢. إحياء علوم الدين: ج١ ص٥٤ ب٦، في آفات العلم من كتاب العلم.

وبما أنّ النفوس البشرية بمقتضى جبّلتها الأولى، ليست مستغنية عن مصالحها النوعية، وليس لها من الفطنة والذكاء ما يمنعها عن ارتكاب القبائح والرذائل والظلم والعدوان، اقتضى الأمر من رسول الإنسانية، راعي خاتم الكتب السماويّة، محمدﷺ ووفق قاعدة اللطف،[1] إلى نصب الإمام، رعاية لإتّحاد المصلحة العامّة لكلا الموردين ـ النبوّة، والخلافة ـ إلى آخر الدهر، بانقضاء دور التكليف.

إذاً، فالغرض من نصب الإمام والخليفة، يستوجبه لطف الله على عباده، ليقرّبهم إلى الطاعة، ويبعدهم عن المعصيّة، وهذه المصلحة لا تتم بحسب العادة إلا بثلاث أمور، فيها قوامها:

الأوّل: ما هو راجع إلى الله ﷻ، ويكون من فعله، بما يوجب عليه سبحانه عقلاً، وذلك لما قرّره من الوعد والوعيد، والعتاب والتهديد، وجعل على ذلك الثواب والعقاب، والجنّة والنار.

والمراد من الوجوب العقلي: هو إدراك العقل السليم، قبح العقاب بلا بيان. وقد صرّح بذلك الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[4].

وقوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[5]. أي، ما علّمها.

---

۱. تقدّم بحثها تحت عنوان: اللطف الإلهي. في الجزء الأوّل.

۲. سورة الإسراء، الآية: ۱٥.

۳. سورة الانعام، الآية: ۱۳۱.

٤. سورة التوبة، الآية: ۱۱٥.

٥. سورة الطلاق، الآية: ۷.

إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في أنّ الله تعالى لا يعذّب عباده على شيء لا سبيل لهم إلى معرفته، وإنّه لو منعهم المعرفة، كان ذلك خلاف المصلحة، ولقامت للناس على الله الحجّة، ويأبى الله إلا أن تكون له الحجّة البالغة.

الثاني: ما ينبغي على الإمام من القيام بالأمر، تقويماً للمصلحة الشاملة، وحفظاً للنظام العام، وهذا متوقّف على وجود القدرة، ولا يتحقّق مع الضعف والعجز، أو خوف الفتنة، فحينئذ يسقط التكليف الواقعي دون الحقيقي للإمام، محتفظاً بكامل منصبه في الإمامة والخلافة، وهو حجّة الله على الناس ما دام حياً.

روي عن رسول الله ﷺ قوله: الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا.[١]

وروي عن النبي ﷺ قوله: لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين.[٢]

وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق، لا يضرّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله.[٣]

فالواجب على الإمام، أوالحجّة الإلهية من نبي أو وصي نبي، هوالعمل بمقتضى قوله تعالى: ﴿ادعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾[٤]، من خلال التبشير، والإنذار، والوعد بالجنّة، والوعيد بالنار ﴿لِّيهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾[٥].

فمن مكّن الإمام وحجّة الله ﷻ من نفسه، وأفرج له، واستهداه، واسترشده، واهتدى بهداه، وسعه لطف الله، كما قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَىَ﴾.[٦]

---

١. أهل البيت عليهم السلام لأبي علم: ص١٩٥، عنه شرح إحقاق الحقّ للنجفي: ج١٩ ص٢١٦.

٢. صحيح البخاري: ج٦ ص٢٦٦٦.

٣. صحيح مسلم: ج٣ ص١٥٢٣ ح١٩٢٠، كتاب الإمارة.

٤. سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٥. سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

٦. سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

وأمّا من خذل الإمام، ومنعه وامتنع من اتّباعه ونصرته، والإستضاءة من نور علمه، فقد لزمته الحجّة، التي هي العلّة من وجوب نصب الإمام أوالحجّة.

الثالث: ما يخصّ تكليف الأمّة الإسلامة في الإتّباع والإنقياد والطاعة، وعدم صدّ الخليفة الإمام من القيام بوظائفه التبليغية، وعكس ذلك فيما إذا عصوه وخالفوه، أو نكثوا بيعته، أو منعوه عن تصرفاته، أُرجيء فعل المعنوَن دون العنوان، كما هو مقتضى الحال لبعض الأنبياء عليهم السلام نوح، لوط، هود، صالح ويونس باديء أمرهم، حيث لم يتبعهم سوى ثلّة من المؤمنين، ولكن رغم ذلك ثبت عنوان النبوّة فيهم، وإن أُرجيء التكليف عنهم، فلم يصدعوا، لكي تكون الحجّة البالغة لله على الناس، فلا يسقط شيء من مصلحة ذلك أبداً.

نعم، علمه جل ثناؤه بامتناع الأكثريّة من الناس، لايُسقط الدواعي الموجبة لنصب الحجّة أبداً، بغيّة أداء تبليغ رسالاته للعباد، و﴿لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[1].

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

فصل في

آية إكمال الدّين

ممّا اتفق عليه أهل السنّة، بل وأجمعوا على فقدان النصّ فيه، هو أمر الخلافة والإمامة، إذ قالوا: إنّ الدين قد كمل برحيل النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾[1]، وهو الإمام المعصوم، وطاعته واجبة إلى يوم القيامة، فلا لطف بعده ﷺ يستوجب تهيئة من يخلفه، وكفى بمن اختاره أهل الحلّ والعقد أهلاً لتنظيم أمور الأمّة بعد نبيّها!

علماً أنّ أمر خلافة رسول الله ﷺ من أعظم المسائل، وأهمّها، وأحوج الأُمور للنصّ عليها، لحتمية غشيان الأُمّة بقطع الفتن المظلمة،[2] فيما إذا افتقرت لمن ينوب عن نبيّها في كل خصائصه التي ميّزته عن غيره من بني جنسه، سوى النبوّة.[3] بدليل قوله ﷺ: إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فقام أبو بكر وعمر، فقال: لا، ولكن خاصف النعل. وعلي عليه السلام يخصف نعله.[4]

---

١. سورة المائدة، الآية: ٣.

٢. عن أبي ليلى الغفاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه أوّل من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمّة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين. الإصابة للعسقلاني: ج٧ ص١٦٧. والإستيعاب لإبن عبد البر: ج٢ ص٦٧٥. وأسد الغابة لإبن الأثير: ج٥ ص٢٨٧.

٣. هل ورد على سمع أحد، أو شُكّ بصدوره في غير علي بن أبي طالب عليه السلام، قول رسول الله ﷺ فيه: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست بنبي. مسند أحمد: ج١ ص٣٣٠، مسند عبد الله بن عباس.

٤. مسند أحمد بن حنبل: ج٣ ص٣١ و٣٣ و٨٢. وأيضاً خصائص النسّائي: ص٥٨. والمستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣ ص١٢٢-١٢٣. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ج١ ص٦٧. وأسد الغابة لإبن الأثير: ج٤ ص٣٢.

ولا أجد مبرراً لرسول الله صلى الله عليه وآله في استثنائه علياً عليه السلام دون سواه، لولا انفراده من بين الناس بمشاكلة النبي صلى الله عليه وآله بكل الخصائص التي تؤهله لخلافة المسلمين من بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وعليه، فكيف يُسوّغ عدم النصّ في وجوبها من الشارع الحكيم، تلميحاً سواءٌ كان أم تصريح، كما ورد في غيرها من الواجبات، كالفرائض الخمس اليومية، والزكاة، والصوم، والحج!؟

ثم نسأل: هل أنّ أمر الخلافة والإمامة من الدين ـ بغض النظر عن كونه من الأصول أوالفروع ـ أو لم يكن من الدين؟

فإن كان من الدين، والدين قد كمل في عهد النبي صلى الله عليه وآله، فلا بدّ أن يكون فيه نصّ قد أمر الله العزيز الحكيم رسوله صلى الله عليه وآله بتبليغ الناس إياه، وإلا ما بلّغ رسالة ربه! وإن لم يكن أمر الخلافة والإمامة من الدين، ولم يرد فيه نصّ، والدين قد كمل في عهد النبي صلى الله عليه وآله، فلم يكن بعدئذ لازماً وواجباً، ولا مستحبّاً بتاتاً، بل ولا حتى مرغوباً في استحصاله، فيسقط حينها قول أهل السنّة: بالوجوب السمعي لأمر الإمامة بعد النبوّة، ولا معنى فيما يوجّبونه على الناس في انتخاب واختيار خليفة النبي وإمام المسلمين، لعدم ثبوت هذا الأمر من الدين لديهم، وإدخال ما ليس من الدين في التشريع، بدعة، والبدعة في النار، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.[1]

أمّا موضوع الإرشاد والهدى، وإيكالهما إلى الصحابة والتابعين، ومن استنّ بسنّتهم إلى آخر الدهر، فيما يستنبطونه من محكم القرآن والسنّة، كما حمّلوا

---

١. سنن النسّائي: ج٣ ص١٨٨ ح١٥٧٨، كتاب صلاة العيدين.

قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم﴾[١]، عليه، تأييداً لمذهبهم.

أقول: كيف يمكن الركون إلى مَن لايأمن عليه الضلال، أو الجهالة في حكم الحرام والحلال؟ كذاك الذي تاه في الكلالة، ثمّ حكم برأيه، عندما سُئل عنها، قائلاً: إنّي أقول برأيي، فإن كان صواباً، فمن الله، وإن كان خطأً، فمنّي، ومن الشيطان.[٢]

فالذي سوغ لأبي بكر أن يُشرك الشيطان معه في أمر الكلالة ـ على بساطة معناها الذي استعصى على فهمه ـ فيخطّئه، جدير بأن يكون قد أشركه في العفو عن خالد بن الوليد الذي قتل المسلمين بغير حق، وبنى في ليلته بزوجة مالك بن نويرة بعد قتله، بل ولم يمهلها حتى حقّها الشرعي في عدّة المتوفّى عنها زوجها، حتى واجهه عمر بن الخطّاب ـ بعد عفو الشيطان وشريكه عنه ـ قائلاً له: لئن وليت الأمر، لأقيدنك به!![٣]

فلله كلمة حق، بكل ما حملت من التوهين والتحقير، قد وصف قائلها بها نفسه من حيث لا يشعر، أويشعر سواء، ظنّاً منه أنّها بأوّل القوم أصدق توصيفاً،

---

١. سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢. أُنظر تفسير الدر المنثور للسيوطي، مورد تفسير سورة النساء، الآية: ٥٩.

أقول: كما ورد أيضاً: إنّ أبا بكر إذا ورد عليه الخصم، نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به، وإلا رجع إلى السنّة، فإن أعياه، خرج يسأل المسلمين، فإن علموه وأخبروه، قضى بذلك، فإن أعياه، جمع رؤوس الناس، خيارهم، فإن اجتمع رأيهم على أمر، قضى به. راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ج١ ص٤٢. وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج٣٠ ص٣٧٨. وسنن الدارمي: ج١ ص٥٨، باب الفُتية وما فيه من الشدّة. والإنصاف للدهلوي: ج١ ص٥١. والصواعق المحرقة للهيتمي: ج١ ص٤٢.

٣. المواقف للأيجي: ج٣ ص٦٠٠، المقصد الرابع.

أقول: ولم يُقده كما وعد، بل قاد الناس به في حروبه في العراق والشام!!

قد صدرت عن حميم أبي بكر وناصره، عمر بن الخطّاب وهو يعرّض بعبد الرحمن بن أبي بكر، في قوله: دويبة سوء، وهو خيرٌ من أبيه!![1]

والثاني والثالث ليسا بأحسن حال منه، ممّا يدلّ على أنّ القول بالركون إليهم بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما هو بحد ذاته قول مجازف، لا قول خبير غيور، فالرضا برمي الأُمّة بأحضان الفتنة والضلال، لايصدر سوى عن مثل من قال بغياب النصّ في تعيين الخليفة والإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ثمّ أليس في ذلك دليل على تناقضهم، وأنّ الدين ـ عندهم ـ ناقصاً بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وليس كاملاً كما زعموا؟

وأما الشيعة الإماميّة ـ الإثني عشريّة ـ فهم في متّسع من هذا الإغراء والتضليل، بعد اجماعهم على إكمال الدين، وإتمام النعمة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ سنة حجّة الوداع، عند منصرف النبي صلى الله عليه وآله عن حجّه، عند مفترق القبائل، في غدير خمّ ـ بتنصيبه علياً عليه السلام إماماً وهادياً من بعده، على مرأى ومسمع مئة ألف أو يزيدون، حيث نزل قوله تعالى: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِينًا﴾[2].

آية الإكمال

نزول آية إكمال الدين في الغدير

وقد نصّ على نزول آية إكمال الدين وإتمام النعمة في علي عليه السلام يوم الغدير كثير من الحفّاظ والمفسرين وأصحاب المسانيد. كما مرّ الإشارة إلى بعض

---

١. المواقف للأيجي: ج٣ ص٥٩٩، المقصد الرابع.

٢. سورة المائدة، الآية: ٣.

ذلك.

أخرج ابن مردويه، وابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نصّب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يوم غدير خم، فنادى له بالولاية: هبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلَامَ دِينًا﴾.

وعن أبي هريرة، قال: لما كان يوم غدير خم ـ وهو يوم ثماني عشرة من ذي الحجّة ـ قال النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه، فعلي مولاه»، فأنزل الله: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾.

وعن أبي سعيد الخدري: إنّها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ، حين قال لعلي: «من كنت مولاه، فعلي مولاه». ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه: إنّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة. يعني، مرجعه عليه السلام من حجّة الوداع.

وروى الخطيب بسنده عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثماني عشرة ذي الحجّة، كُتب له صيام ستّين شهراً، وهو يوم غدير خمّ، لمّا أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه، فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. فأنزل الله: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾.

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾. قال: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي. ثم قال: من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم، وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

كما ويروي حديث أبي هريرة بطريق آخر. ويروي أيضاً عن سعيد بن جبير،

عن ابن عباس: إنّ الآية المباركة في عليعليه السلام. بطريقين آخرين.[١]

نزول الآية المباركة

جميع الروايات تنفي نزول الآية المباركة بعرفات، صراحاً ـ فضلاً عن مفهوم حديث أسماء، والربيع بن أنس، في نفي نزول الآية في يوم عرفة تحديداً ـ وتؤيد جميعها نزولها يوم الغدير، كما أنّ قولهم واتّفاقهم على أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة، واتّفاق المؤرّخين أيضاً على أنّهصلى الله عليه وآله توفّي في يوم الثاني عشر من ربيع الأوّل[٢]، جمع ذلك ينفي نزولها بعرفات، أويوم عرفة بالتحديد. ويؤيد، بل يُعين نزولها يوم الغدير، ورواية نزولها في يوم عرفة من قبل بعض الشواذّ، إنّما هي محاولة يائسة منهم ليُزحزحوا بها خطر نزول الآية عن أهدافها الحقيقية في بيان أمر الولاية الكبرى، والإمامة العظمى.

مثلاً في الدر المنثور يقول: وأخرج الحميدي، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، عن طارق بن شهاب، قال: قالت اليهود لعمر: إنّكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: وأي آية؟ قال: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾، قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول اللهصلى الله عليه وآله نزلت.. عشية عرفة في يوم الجمعة.

---

١. راجع تاريخ بغداد للبغدادي: ج٨ ص٢٩٠. وشواهد التنزيل للحسكاني: ج١ ص١٥٦ رقم٢١٠ـ٢١٥. وتاريخ دمشق لإبن عساكر: ج٤٢ ص٧٥. رقم٧٥٧ و٥٨٨. وتفسير الطبري، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣. وتفسير الدرّ المنثور، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣. وتفسير ابن كثير، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣.

٢. راجع شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج١ ص١٦٠ ب٣.

وفيه أيضاً: وأخرج إسحاق بن راهويه، عن أبي العالية، قال: كانوا عند عمر فذكروا هذه الآية، فقال رجل من أهل الكتاب: لو علمنا أي يوم نزلت هذه الآية لاتخذناه عيداً. فقال عمر: الحمد لله الذي جعله لنا عيداً، واليوم الأوّل نزلت يوم عرفة، واليوم الثاني يوم النحر، فأكمل لنا الأمر، فعلمنا أنّ الأمر بعد ذلك في انتقاص.

وفيه أيضاً: وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، عن عنترة، قال: لما نزلت: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. وذلك يوم الحجّ الأكبر، بكى عمر، فقال له النبيﷺ: ما يبكيك؟ قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأمّا إذ كمل، فإنّه لم يكمل شيء قط إلا نقص. فقال: صدقت.

وفيه أيضاً: وأخرج ابن جرير، عن قبيصة بن أبي ذؤيب، قال: قال كعب: لو أنّ غير هذه الأمّة نزل عليهم هذه الآية، لنظروا اليوم الذي أُنزلت فيه عليهم، فأتخذوه عيدا، يجتمعون فيه. فقال عمر: أي آية يا كعب؟ فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. فقال عمر: لقد علمت اليوم الذي أُنزلت، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت في يوم جمعة، ويوم عرفة. كلاهما بحمد الله لنا عيد.

وفيه أيضاً: وأخرج ابن جرير، والطبراني، عن ابن قيس السكوني، إنّه سمع معاوية بن أبي سفيان، على المنبر ينزع بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، حتى ختمها. فقال: نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً. فقال ابن عباس: فإنّها نزلت في يوم عرفة وفي يوم جمعة.

وفيه أيضاً: عن سمرة، قال: نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، على رسول اللهﷺ وهو بعرفة واقف. يوم الجمعة.[1]

---

١. تفسير الدر المنثور للسيوطي: ج٢ ص٢٥٨ـ٢٥٩، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣.

ألا يريك أنّ أكثر روايات نزولها في عرفة منسوب إلى عمر، وواحدة منها منسوبة إلى معاوية، وأُخرى إلى سمرة بن جندب! وأي شأن لليهود والنصارى في القرآن ومناسبة نزول آياته، وأيام نزولها؟ بمفاد قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بل توافقهم أصدق ممّا زعمه شواذّ المسلمين في حقيقة مكان، وسبب نزول قوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، بدلالة استفحال يأسهم في ذلك اليوم، لأنّهم كانوا ضمن الذين يئسوا من عدم جدوى القضاء على دين المسلمين.

ثم إنّ يوم عرفة لم يُعهد عنه عيداً للمسلمين، لا في صدر الإسلام ولا بعده، فضلاً عن كونه يوم التاسع من ذي الحجّة، بينما يوم النحر والأُضحية، هو يوم العاشر من ذي الحجّة، وهو عيد المسلمين.

ثمّ هل يُعقل أن ينزل الوحي بنزول آية الإكمال، ومن ثم يهدد بلزوم التبليغ؟! فإذا كان الدين قد كمل، والنعمة قد تمّت، وارتُضي الإسلام ديناً للأُمّة، فأي مسوغ بفرض التهديد لعدم التبليغ في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؟! ألا يجدر التامل، والتدبّر يا أُولي الألباب!!

كما وقد تقدّم قولهم واتفاقهم على أنّ النبيّ ﷺ لم يعش بعد نزول الآية إلا إحدى وثمانين ليلة. وهذا لا ينطبق، بل ولا يتوافق مع نزولها في عرفات، فإنّ بعض المؤرّخين قد اتفقوا على أنّه ﷺ توفّي يوم الثاني عشر من ربيع الأوّل، بما ينطبق ويتوافق مع نزول الآية المباركة في غدير خم، كما نقله السيوطي أيضاً في رواية أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نصّب رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم، فنادى بالولاية، هبط جبرئيل عليه بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. ورواية أبي هريرة، قال: لمّا كان يوم غدير خم، وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجّة، قال

النبيﷺ: من كنت مولاه، فعلي مولاه. فأنزل الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.[١]

ممّا يدلّ على أنّ الملازمة الوثيقة لآية الإكمال بآية التبليغ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢]، هي السبب الرئيس من وراء صرفهم للمكان الحقيقي لآية الإكمال، والتشبث بباطل زعمهم.

ومن المسلّم عند ذوي العقول السليمة، وأرباب العلم والمعرفة، إنّ إئتمار رسول اللهﷺ بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، كان عند منصرفه من حجّة الوداع صوب المدينة، عند مفترق طرق القبائل، في بقعة يقال لها: غدير خم. والمأمور بتبليغه إنّما كان في ولاية عليعليه السلام. وقد مرّ حصول التواتر القطعي في نقل حديث الغدير.[٣]

وهذه الولاية بمفاد قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، تُعدّ فريضة من الفرائض الإلهية التي نصّ عليها القرآن، بل هي آخر الفرائض التي لم يعقبها فريضة أُخرى، وعلى ذلك لم يجز تأخيرها عن آية الإكمال، فآية الإكمال قد نزلت بعد فرض الولاية بتبليغ رسول اللهﷺ إياه، وبالتالي فلا اعتماد على ما ينافي ذلك ممّا زعموا، لمنافاته المرويات المطابقة لحقائق الآثار.

وجه للجمع بين الروايات

ثم إنّه لو سلّمنا بنزول آية الإكمال في يوم عرفة، فيكون من الجائز أن يُنزل الله سبحانه وتعالى معظم السورة، بما فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وينزل معها أمر الولاية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

---

١. تفسير الدر المنثور للسيوطي: ج٢ ص ٢٥٩، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٣.

٢. سورة المائدة، الآية: ٦٧.

٣. راجع الجزء الأول، تحت عنوان: الغدير هو الفيصل.

﴿رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، وكل ذلك يوم عرفة، فأخّر النبيﷺ بيان وتبليغ الولاية إلى غدير خم حيث نزل، وهناك بلّغ رسول اللهﷺ، لما لخصوصيّة المكان في أهمّيّة، حيث مفترق القبائل، وعود أهل مكّة إلى ديارهم بعد تشييعهم النبيﷺ، فضلاً عن قساوة الظرف الجوّي، مع ما لا يلائم ووقوف الناس ولو لدقائق، تحت لفح الرمال، وحرّ الهجير، ليستمعوا لما ألفوا سماعه من النبيﷺ في أريح مكان، لولا خطر البلاغ وعظمه، وتحذير الإله نبيه إن لم يُبلّغه، خصوصاً وبعد كل ما وصفنا، كان الحجيج ساعتئذ خليط من رجال ونساء، عجائز وصغار، كهول وشباب، بين سليم وسقيم، عليل وزمين، لم يلبثوا أن تركوا مكّة بعدما جهدوا بأعمال حجّهم الأكبر، ثمّ إنّ تبليغ الولاية بنصب عليعليه السلام على الأمّة، يّليق بأن يتلاه بآية الإكمال، لملازمة إكمال الدين بآخر الفروض، وعليه، فمن الجائز أن تكون نازلة في يوم عرفة، ومبيّنة يوم الغدير، بعد تبليغ أمر الولاية.

وعلى هذا فلا منافاة بين الروايات الناطقة بنزولها يوم عرفة، والروايات الناطقة بنزولها يوم الغدير.

مناقشة مع توجيهاتهم

وأمّا ما يقال: من أنّ نزول الآية في عرفة، تدلّ على أنّ إكمال الدين إنّما كان لبيان أعمال الحج وما أشبه.

أقول: فإنّه من فهم الراوي، فلا ينطق به الكتاب، ولا بيان من النبيﷺ، فيُعتدّ به.

وأمّا الروايات المنقولة عن عمر، ومعاوية، وسمرة ـ إن صحّت ـ فإنّما تروم لبيان أنّ معنى نزول الآية يوم عرفة، هو بما فُسّر به من أنّ إكمال الدين وإتمام النعمة إنّما يعود إلى ما كان يشاهده المسلمون من ظهور أمر الدين واستقلاله بمكّة في الموسم، لإلفات نظر الناس بصفاء جو مكّة وخلوص الأمر للمسلمين

يومئذ، فلا دين بعدئذ يُعبد به دون الله سوى دينهم، من غير أن يخشوا أحداً أويحذروا منه.

وبعبارة أخرى: يكون المراد بكمال الدين وتمام النعمة عندهم، هو كمال ما بأيديهم من غير أن يختلط بهم أعداهم أويُكلّفوا بالتحذّر منهم، دون الدين بمعنى الشريعة الإلهية من المعارف والأحكام الإسلامية والقوانين الأساسية الشرعية، وكذا كان المراد بالإسلام عندهم هو ظاهر الإسلام الموجود بأيديهم في مقام العمل.

بعبارة أدق: يكون المراد بالدين عندهم، هو صورة الدين وليس حقيقته، فالصورة الصطحية المشهودة من أعمالهم، يمكن أن يعتورها الخدش والضبابية، بل وحتى الإضمحلال، فيما لو صُنّف الدين على أنّه مجرّد تراث، متوارث عن الأجداد والأباء، بينما حقيقة الدين، ككليات المعارف الدينية، والأحكام الشرعية، والقوانين الأساسية، لاتقبل الإنفصال، أوالإجتزاء مطلقاً. فالذي لا يأتي بحقيقة الدين، مؤمناً بأصله، مراعياً لجهد نبيّه ﷺ، فلا مشاحة بكونه جاحد له، فيحكم حينها بخروجه عن ربقة الإسلام، وإن أتى بجميع أعماله.

فحقيقة الدين، لا تقبل الإنتقاص بعد الإزدياد، ولا النقص بعد الكمال، وما أشار إليه عمر في قوله: إنّه لم يكمل شيء قط إلا نقص. إنّما هو سُنّة كونيّة تجري في أمور غير ثابتة، كما في التاريخ والمجتمعات والحضارات عادة، وأمّا الدين، حقيقة واعتقاد، فإنّه غير محكوم بأمثال هذه السنن والنواميس إلا عند من يقول: إنّ الدين سُنّة اجتماعية متطورة، متغيّرة كسائر السنن الإجتماعية، وإلى التراث هو أقرب منه كمعتقد.

وعليه. فإنّ ما زعموا من معنى كمال الدين فإنّه:

أوّلا: لا يصدق عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

ثانيا: كيف يمكن أن يعدّ الله سبحانه وتعالى الدين بصورته التي كان يترائى عليها كاملاً، ونسبه إلى نفسه امتناناً، بمجرّد خلو مكّة المكرمة أو الحجاز من مظاهر الشرك؟!

وكيف يُعدّ كون المجتمع الإسلامي على ظاهر الإسلام، فارغاً من أعدائه ـ بعد ظهوره على المشركين ـ وفي نفس المجتمع يكثر المنافقون، الذين هم أشدّ ضرراً على المؤمنين من المشركين، بل وأخطر، على ما لهم من مجتمعات ومؤتمرات سريّة ظلّت تعمل داخل نسيج المجتمع الإسلامي! فهل يصح مع وجودهم أن يمنّ الله على المسلمين بإكمال ظاهر دينهم، وإتمام ظاهر النعمة عليهم، والرضا بظاهر الإسلام لهم، ولازال المنافقين يجوسون بين ظهرانيهم، وقد وصفهم الله تعالى لنبيهﷺ بقوله: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾[1]؟

كيف يمتن الله سبحانه وتعالى، ويصف بالكمال ظاهر دين يكون ذلك باطنه؟ أو يذكر نعمة بالتمام وهي تكون مشوبة بالنقمة؟ أو يخبر برضاه عن صورة إسلام يكون ذلك معناه!؟

سبحان الله عمّا يصفون.

إنّه تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[2].

وقال في المنافقين ـ ولم يرد إلادينهم ـ : ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3].

وآية الإكمال مطلقة، لم تقيّد شيئاً من الإكمال والإتمام والرضا، ولا الدين

---

١. سورة المنافقون، الآية: ٤.

٢. سورة الكهف، الآية: ٥١.

٣. سورة التوبة، الآية: ٩٦.

والنعمة والإسلام، بجهة دون جهة.

وقد قال البخاري في صحيحه: وقال: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾، فإذا ترك شيئاً من الكمال، فهو ناقص.[1]

فثبت أنّ الإكمال، إنّما هو إظهار الحجّة البالغة على المخالفين، وإلزامهم بها. وهي حقيقة الدين الحنيف بكل مقوماته، بل وختمها بما أُمر بهﷺ من قوله: ﴿وَإِن لَّم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ﴾، ولا أخال ذي لبّ، يشكّ بخاتميّة الولايّة والوصيّة كحجر أساس لإكمال الدين، أُسوة بخاتميّة الرسالة المحمديّة في ختمها لرسالات السماء، بدليل ربط استيفاء تبليغ الرسالة بالإتمار بتنفيذ البلاغ.

بحث في آية إكمال الدين

إنّ قوله تعالى: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾، مسبوق بقوله تعالى: ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، واليومان فيهما إنّما هو يوم واحد. بمعنى، إنّ اليوم الذي يأس فيه الكفّار من ظهورهم وغلبتهم على دين المسلمين فيُفسدوا فيه، ليعدل المسلمين عنه وتمحى آثاره، هو نفس اليوم الذي أكمل الله فيه للمسلمين دينهم، وأتمّ عليهم نعمته، ورضي لهم الإسلام ديناً.

وهذه الجمل: يأس الكفّار. وإكمال الدين. وإتمام النعمة. ورضا المسلمين بالإسلام ديناً. مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، وكلها واقعة في يوم واحد. فلننظر أي يوم كان ذلك؟

قال السيّد في تفسيره: قوله تعالى: ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم فَلاَ تَخشَوهُم وَاخشَونِ﴾، أمر الآية في حلولها محلّها، ثمّ في دلالتها، عجيب! فإنّك إذا تأمّلت

---

١. صحيح البخاري: ج١ ص١٥، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

صدر الآية، أعني، قوله تعالى: ﴿حُرِّمَت عَلَيكُمُ المَيتَةُ وَالدَّمُ وَلَحمُ الخِنزيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ وَالمُنخَنِقَةُ وَالمَوقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيتُم وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَستَقسِمُوا بِالأَزلاَمِ ذَلِكُم فِسقٌ﴾، وضفت إليه ذيلها. أعني، قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضطُرَّ فِي مَخمَصَةٍ غَيرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وجدته كلاماً تامّاً، غير متوقّف في تمام معناه، وافادة المراد منه، إلى شيء من قوله تعالى: ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم﴾، وألفيته آية كاملة مماثلة لما تقدّم عليها في النزول من الآيات الواقعة في سورة «الأنعام» و«النحل» و«البقرة» المبيّنة لمحرّمات الطعام.

ففي سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثمَ عَلَيهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللهِ فَمَنِ اضطُرَّ غَيرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثمَ عَلَيهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ويماثله ما في سورتي الأنعام والنحل، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُم أَلاَّ تَأكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عَلَيهِ وَقَد فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيكُم إِلاَّ مَا اضطُرِرتُم إِلَيهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهوَائِهِم بِغَيرِ عِلمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِالمُعتَدِينَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَأكُلُوا مِمَّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ لَفِسقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَولِيَآئِهِم لِيُجَادِلُوكُم وَإِن أَطَعتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشرِكُونَ﴾[٤].

وينتج ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، كلام معترض موضوع في وسط هذه الآية، غير متوقف عليه لفظ الآية في دلالتها وبيانها، سواء قلنا: إنّ

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

٣. سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

٤. سورة النحل، الآية: ١١٥.

الآية نازلة في وسط الآية، فتخلّلت بينها من أوّل ما نزلت.

أو قلنا: إنّ النبيﷺ هو الذي أمر كتّاب الوحي بوضعها في هذا الموضع مع انفصال الآيتين واختلافهما نزولا.

أو قلنا: إنّها موضوعة في موضعها الذي هي فيه عند التأليف، من غير أن تصاحبها نزولاً، فإنّ شيئاً من هذه الإحتمالات، لا يؤثّر أثراً فيما ذكرناه من كون هذا الكلام المتخلّل، معترضاً إذا قيس إلى صدر الآية وذيلها.

ويؤيد ذلك أنّ جلّ الروايات الواردة في سبب النزول ـ لو لم يكن كلّها، وهي أخبار جمّة ـ يخصّ قوله تعالى: ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بالذكر، من غير أن يتعرّض لأصل الآية. أعني، قوله تعالى: ﴿حُرِّمَت عَلَيكُمُ المَيتَةُ وَالدَّمُ﴾، أصلاً.

وهذا يؤيد أيضاً نزول قوله تعالى: ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، نزولاً مستقلاً، منفصلاً عن الصدر والذيل، وأنّ وقوع الآية في وسط الآية، مستند إلى تأليف النبيﷺ أو إلى تأليف المؤلّفين من بعده.

ويؤيده ما رواه في الدر المنثور: عن عبد بن حميد، عن الشعبي قال: نزل على النبيﷺ وهو بعرفة: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾، وكان اذا أعجبته آيات، جعلهن صدر السورة، قال: وكان جبرئيلﷺ يعلّمه كيف ينسك.

ثم إنّ هاتين الجملتين. أعني، قوله تعالى ـ ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، و﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾ ـ متقاربتان مضموناً، ومرتبطتان مفهوماً، بلا ريب، لظهور ما بين يأس الكفّار من دين المسلمين وبين إكمال هذا الدين من الإرتباط القريب، وقبول المضمونين لأن يمتزجا فيتركّبا مضمونا واحداً، مرتبط الأجزاء، متّصل الأطراف بعضها ببعض، مضافاً إلى ما بين الجملتين من الإتّحاد في السياق.

ويؤيد ذلك ما نرى أنّ السلف والخلف من مفسّري الصحابة والتابعين والمتأخّرين إلى يومنا هذا، أخذوا الجملتين متّصلتين، يتمّ بعضهما بعضاً، وليس

ذلك إلا لأنهم فهموا من هاتين الجملتين ذلك، وبنوا على نزولهما معاً، واجتماعهما من حيث الدلالة على مدلول واحد.

وينتج ذلك: إنّ هذه الآية المعترضة. أعني، قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1]، كلام واحد متّصل بعض أجزائه ببعض، مسوق لغرض واحد، قائم بمجموع الجملتين من غير تشتت، سواء قلنا بارتباطه بالآية المحيطة بها أم لم نقل، فإنّ ذلك لا يؤثّر ألبتة في كون هذا المجموع كلاماً واحداً معترضاً، لا كلامين ذوى غرضين، وأنّ اليوم المتكرّر في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، و﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، أُريد به يوم واحد يئس فيه الكفّار، وأُكمل فيه الدين.[2]

يوم يأس الكفّار وإكمال الدين

فلننظر متى ذلك اليوم الذي يئس فيه الكفّار من دين المسلمين، وأي يوم كان؟

يوم البعثة

أكان هو يوم ظهور الإسلام ببعثة النبيّ ﷺ ودعوته المشركين إلى التوحيد؟

لا سبيل إلى ذلك، لأنّ ظاهر السياق أنّ المسلمين كانوا حديثي عهد بالإسلام الجديد، ولم يدخله إلا القليل من أهل مكّة، فلا مندوحة من اليأس حينذاك، خصوصاً بعدما كان يراود الكفّار ضحالة هذا الدين الجديد، وإنّه لم يدخل فيه سوى ضعاف الناس وبعض الموالي، الأمر الذي كان يحفّز في نفوسهم العزّة

---

١. سورة المائدة، الآية: ٣.

٢. أنظر تفسير الميزان للطباطبائي: ج٥ ص١٦٧، في معنى العقد ـ بحث قرآني ـ.

والأمل على إطفاء جذوة هذا الدين مادام لم يتّخذ بعد شكله العام في نفوس القبائل بهذه الصورة المتكاملة.

وهذا الإحتمال فاسد، لا يتفوّه به ذو ملكة علم.

يوم فتح مكّة

أم كان ذلك اليوم بعد فتح مكّة؟ حيث أنّ الله عَزَّوَجَلَّ أبطل فيه كيد مشركي قريش، وهدم بنيان دينهم، وكسّر أصنامهم، فغلبوا هنالك على أمرهم وانقلبوا صاغرين، وانقطع رجاؤهم أن يقوموا على ساق ويضادّوا الإسلام، ويمنعوه عن التقدّم وانفاذ أمره وانتشار صيته؟

لا سبيل إلى هذا أيضاً، فإنّ الآية تصرّح بأنّ الله عَزَّوَجَلَّ أكمل في ذلك اليوم للمسلمين دينهم، وأتمّ عليهم نعمته، ولمّا يكمل الدين بفتح مكّة ـ وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة ـ فكم من فريضة قد نزلت بعد ذلك، وكم من أحكام الحلال والحرام شرّع فيما بينه وبين وفاة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه.

على أنّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعمّ جميع مشركي العرب، بل المشركين والكفّار جميعاً، ولم يكونوا جميعاً آيسين من دين المسلمين، كما أنّ كثيرا من المعاهدات والمواثيق على عدم تعرّض أحدهما على الآخر كانت باقية على اعتبارها واحترامها. وكان المشركون يحجّون حجّة الجاهلية على سنّتهم، ونساؤهم يحججن عاريات مكشوفات العورة، حتى بعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أخاه علياً عَلَيْهِ السَّلَام بآيات البرائة[1]، فأبطل بقايا رسوم الجاهلية.[2]

---

١. قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، سورة التوبة، الآية: ١.

٢. راجع سنن الترمذي: ج٥ ص٢٧٥ ح٣٠٩١، كتاب تفسير القرآن، سورة التوبة. وسنن النسّائي: ج٥ ص٢٣٤ ح٢٩٥٨، كتاب مناسك الحجّ، قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. ومسند أحمد: ج١ ص٣ ح٤، مسند أبو بكر. وسنن الدارمي: ج١ ص٣٩٣ ح١٤٣٠، باب النهي عن دخول المشرك المسجد الحرام.

وهذا الإحتمال أيضاً لم يجرىء أحد على القول به.

إذاً فلا بدّ أن يقال: بأنّ المراد باليوم، الذي يأس فيه الكفّار من دين المسلمين، هو يوم نزول الآية نفسها، وهو يوم نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وكان ذلك في أواخر عهد النبيﷺ حيث انبسط الإسلام على جزيرة العرب تقريباً، وعفت آثار الشرك، وصفا لهم الأمر، وأبدلهم الله من بعد خوفهم أمناً، يعبدونه لا يشركون به شيئاً.

إذاً، فلا سبيل إلى القول بأنّ المراد باليوم، هو يوم فتح مكّة بعينه، أو هو يوم البعثة بعينه، لما يرد فيهما من الإشكالات المتقدّمة.

يوم عرفة

أمّا إذا كان المراد باليوم هو يوم عرفة ـ سنة حجّة الوداع ـ فيمكن، ولكن ما المراد بيأس الكفّار من دين المسلمين؟

فإن كان المراد باليأس من الدين، هو يأس مشركي قريش من الظهور على دين المسلمين، فقد كان ذلك يوم الفتح عام ثمانية، وأُطبق بما أعقبه عند نزول البرائة في السنة التاسعة من الهجرة، حين تمّ تفعيل الشريعة على أوسع من نطاق المسلمين، فشمل الناس جميعاً.

وإن كان المراد باليأس، هو يأس جميع الكفّار، بما فيهم اليهود والنصارى والمجوس ـ كما يقتضي ذلك اطلاق: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ـ فهؤلاء لم يكونوا آئسين من الغلبة والظهور على دين المسلمين أبداً، ولمّا ظهر ذلك اليوم ـ يوم عرفة سنة حجّة الوداع ـ للإسلام، سلطة وقوّة وغلبة في خارج الجزيرة العربية، كما هو في داخلها.

ومن جهة أخرى، لم ينزل في يوم عرفة شيء، ولم يحدث حدث عظيم

يوجب ذلك، فاللازم أن نتأمل فيما لهذا اليوم ـ وهو يوم عرفة تاسع ذي الحجّة سنة عشر من الهجرة ـ من الشأن الذي يناسب قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، بل ربما يقال: لو كان المراد بهذا اليوم يوم عرفة، لكان الأولى نزول الآية في يوم العيد، كما هو واضح؟

كما يمكن أن يقال: إنّ المراد بإكمال الدين هو إكمال أمر الحجّ بحضور نفس النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله فيه، وتعليمه المسلمين تعليماً عملياً مشفوعاً بالقول.

ولكن يجاب: أنّ مجرد تعليمه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله المسلمين مناسك حجّهم ـ وقد أمرهم بحجّ التمتّع ولم يلبث أن صار مهجوراً ـ وقد تقدّمه تشريع أركان الدين من صلاة وصوم وحجّ وزكاة وجهاد، وغير ذلك، لا يصح أن يسمّى إكمالاً للدّين. وكيف يصح أن يقال في تعليم واجب لفرع من فروع الدين: إنّه إكمال لذلك الفرع الواجب، فضلاً أن يقال: إنّ تعليم واجب من واجبات الدين هو إكمال لمجموع الدين؟!

على أنّ هذا الإحتمال يوجب انقطاع قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، عن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، ثم أي ربط ليأس الكفّار من الدين بتعليم رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله المسلمين مسائل حجّهم؟!

أمّا إذا قيل: إنّ المراد ب ـ إكمال الدين، هو يوم عرفة سنة حجّة الوداع: هو إكمال الدين بنزول بقايا أحكام الله من الحلال والحرام في سورة المائدة في ذلك اليوم، فلا حلال بعده ولا حرام، وبإكمال الدين استولى اليأس على قلوب الكافرين، وظهرت آثاره على وجوههم.

فيجاب: إنّه يجب أن يُتبصّر في تمييز هؤلاء الكفّار الذين أخبر الله عن يأسهم من دين المسلمين، فمن هم؟

إن أُريد بهم كفّار العرب، فقد كان الإسلام يومئذ عمّهم جميعاً!، ولم يكن

منهم يوم ذاك من يتظاهر بغير الإسلام. وإن أُريد كفّار غير العرب من الأمم الأخرى، فلا شك أنّهم لم يكونوا يومئذ آيسين من الغلبة والظهور على المسلمين.

كما يلزم من هذا القول انسداد باب التشريع بنزول سورة المائدة، وانقضاء يوم عرفة، ولا يخفى ما فيه.

فقد وردت روايات كثيرة، لا يستهان بها عدداً، بنزول أحكام وفرائض بعد ذلك اليوم، كما في آية الصيف «وهي آية الكلالة في أواخر سورة النساء»[1] و«آيات الربا»[2].

حتى إنّه روي عن عمر، إنّه قال في خطبة خطبها: من آخر القرآن نزولاً، آية الربا، وإنّه مات رسول اللهﷺ ولم يبيّنه لنا، فدعوا ما يريبكم إلى مالا يريبكم.[3]

وفي سنن ابن ماجة: بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: إنّ آخر ما نزلت آية الربا، وإنّ رسول اللهﷺ قبض ولم يفسّرها لنا، فدعوا الربا والريبة.[4]

وفي مسند أحمد: بسنده عن عمر، قال: إنّ آخر ما نزل من القرآن آية الربا وإنّ رسول اللهﷺ قبض ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة.[5]

وفي سنن الدارمي: بسنده عن الشعبي: إنّ عمر قال: يا أيّها الناس، إنّا لا ندري لعلنا نأمركم بأشياء لا تحلّ لكم، ولعلنا نحرّم عليكم أشياء هي لكم حلال، إنّ آخر ما نزل من القرآن، آية الربا، وإنّ رسول اللهﷺ لم يبيّنها لنا حتى

---

١. قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ سورة النساء، الآية: ١٧٦.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٧٥ـ٢٧٨.

٣. المحلّى لابن حزم: ج٨ ص٤٧٧.

٤. سنن ابن ماجة: ج٢ ص٧٦٤ ح٢٢٧٦، باب التغليظ في الربا.

٥. مسند أحمد: ج١ ص٣٦ ح٢٣٨، مسند عمربن الخطّاب.

مات، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم.[١]

وفي صحيح البخاري: عن ابن عباس قال: أخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا.[٢]

وليس لأحد أن يضعّف الروايات ويقول: بأنّ المراد من يوم إكمال الدين يوم عرفة، لأنّ الآية ليست بصريحة ولا ظاهرة في أنّ اليوم هو هذا اليوم بعينه، وانمّا هو وجه محتمل يتوقّف تعيّنه على انتفاء جميع ما ينافيه من الإحتمالات، والأخبار السابقة التي تدلّ بنزولها يوم عرفة، لا تقصر عن الإحتمالات المجرّدة عن السند.

وإن قيل: إنّ المراد بإكمال الدين في يوم عرفة ـ سنة حجّة الوداع ـ هو خلوص بيت الله الحرام للمسلمين، واجلاء المشركين عنه، فحجّ المسلمون، ولم يخالطهم المشركون.

فيجاب: إنّ صفاء الجو وخلوص البيت للمسلمين كان قبل ذلك بسنة، فما معنى تقييده باليوم في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؟

على أنّه لو سلّم أنّ هذا الخلوص كان اتماماً للنعمة، لم يسلم أنّه إكمال للدين، اذ لا نسبة بين خلوص البيت وإكمال الدين، فانّ الدين ليس إلا مجموعة من العقائد والأحكام، وليس إكماله إلا أن يضاف إلى عدد أجزاءها وأبعاضها عدداً، وأمّا صفاء الجو لإجرائها وتنفيذها، بانتفاء الموانع والمزاحمات عند العمل بها، فلا يقال له: إكمالاً للدين. على أنّ اشكال يأس الكفّار من الدين يبقى على حاله.

---

١. سنن الدارمي: ج١ ص٦٤ ح١٢٩، باب كراهية الفتيا.

٢. راجع صحيح البخاري: ج٤ ص١٦٥٢ ح٤٢٧٠، سورة البقرة.

وإنّ قيل: إنّ المراد بإكمال الدين ـ في يوم عرفة سنة حجّة الوداع ـ هو بيان هذه المحرّمات تفصيلاً، ليأخذ به المسلمون، ويجتنبوا عنها، ولا يخشوا الكفّار في ذلك، لأنّهم قد يئسوا من دينهم بإعزاز الله المسلمين، واظهار دينهم وغلبتهم عليهم.

توضيح ذلك: إنّ حكمة الإكتفاء في صدر الإسلام بذكر المحرّمات الأربعة ﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[1]، الواقعة في بعض السور المكّية، وترك تفصيل ما يندرج فيها ممّا كرهه الإسلام للمسلمين من سائر ما ذُكر في هذه الآية إلى ما بعد فتح مكّة، إنّما تقع تحت التدرّج في تحريم هذه الخبائث والتشديد فيها، كما وقع التدرّج من قبل في تحريم الخمر، لئلا تنفر العرب عن الإسلام، ولا يروا فيه حرجاً يرجون به رجوع من آمن فقرائهم، وهم أكثر السابقين الأوّلين.

وجاء التفصيل للمحرّمات بهذا المعنى بعد قوّة الإسلام وسلطته، وإعزاز الله المسلمين، وبعد أن يأس المشركون بذلك، وزال طمعهم في الغلبة والظهور على المسلمين، فكان المؤمنون أجدر بأن لا يخافوا ولا يحذورا منهم ولا يخشوهم، لا على دينهم ولا على أنفسهم. فلا مانع من أن يكون المراد باليوم هو يوم عرفة سنة حجّة الوداع.

فيجاب عليه: إنّ هذا أراد الجمع بين عدّة من الإحتمالات المتقدّمة، ليدفع بكل احتمال ما يتوجّه إلى الآخر من الإشكال، ولكنّه تورّط بين المحاذير كلها، وأفسد شاهد نزول الآية لفظا ومعنى.

فذُهل عن أنّ المراد باليأس إن كان هو اليأس المستند إلى ظهور الإسلام

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

وقوّته، وهو ما كان بفتح مكّة أو بنزول آيات البراءة، لا يوم عرفة سنة حجّة الوداع.

ولو أراد أن يخبر في يوم عرفة عن يأس الكفّار من الدين قبل سنة أو سنتين، فحقّ اللفظ أن يقال: «قد آيس الذين كفروا» فلا مكان لقوله سبحانه وتعالى: ﴿اليَومَ يَئِسَ﴾، أو يقال: «إنّهم آيسون».

وذُهل عن أنّ التدرج الذي ذكره في محرّمات الطعام، وقاس تحريمها بتحريم الخمر ـ إن أُريد به التدرج من حيث تحريم بعض الأفراد بعد بعض ـ فقد عُلم أنّ الآية لا تشتمل على أزيد ممّا تشتمل عليه آيات التحريم السابقة نزولاً على هذه الآية ـ وهي في سورة البقرة والأنعام والنحل ـ وأنّ صنف المنخنقة والموقوذة، من أفراد ما ذُكر فيها.

وإن أُريد به التدرج من حيث البيان الإجمالي والتفصيلي ـ خوفا من امتناع الناس من القبول ـ فهذا في غير محلّه، فإنّ ما صرّح به في السور السابقة على المائدة كما في قوله تعالى: ﴿المَيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللّهِ﴾[1]، أغلب مصداقاً، وأكثر ابتلاءً، وأوقع في قلوب الناس من أمثال المنخنقة والموقوذة، التي هي أمور نادرة الوقوع والتحقق، وشاذّة الوجود والإبتلاء.

فما بال تلك الأربعة التي هي أهم وأكثر وقوعاً، يُصرّح بتحريمها من غير خوف وخشية، ثم يتقى من ذكرها ما لا يعبأ بأمره، بالإضافة إلى تلك الأربعة، فيتدرج في بيان حرمتها، ولا يصرّح بها خوفاً وخشية؟.

ثم لو سلّم ذلك، فإنّه لم يكن إكمالاً للدين، وهل يصح أن يسمّى تشريع الأحكام، ديناً؟ وإبلاغه وبيانه إكمالاً للدين؟ ولو سلّم فإنّه إكمال لبعض الدين،

---

۱. سورة البقرة، الآية: ۱۷۳.

وإتمام لبعض النعمة، لا للكلّ والجميع، وقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فأطلق القول من غير تقييد.

على أنّ الله ﷻ قد بيّن أحكاما كثيرة، فما لهذا الحكم في هذا اليوم الذي خصّه الله بالمزية فسمّاه، أو سمّى بيانه تفصيلاً: بإكمال الدين وإتمام النعمة؟

وإن قيل: إنّ المراد بإكمال الدين ـ في يوم عرفة ـ هو إكماله بسدّ باب التشريع بعد هذه الآية المبيّنة لتفصيل محرّمات الطعام.

فيجاب عليه: ما هو شأن الأحكام النازلة بين نزول المائدة ووفاة النبي ﷺ؟

بل ما شأن سائر الأحكام النازلة بعد هذه الآية في سورة المائدة نفسها؟!

وبعد كل ذلك، ما معنى قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وتقديره: «اليوم رضيت لكم الاسلام دينا». لو كان المراد بالكلام هو الإمتنان بما ذكر من الآية في المحرّمات يوم عرفة عام حجّة الوداع؟ وما هو وجه اختصاص هذا اليوم بأنّ الله سبحانه وتعالى رضى فيه الإسلام للمسلمين ديناً، ولا شيء يختصّ به اليوم ممّا يناسب هذا الرضا؟

وبعد كل ذلك يرد على هذا الوجه أكثر الإشكالات الواردة على الوجوه السابقة، أو ما يقرب منها ممّا تقدّم بيانه.

فهذا شطر من البحث عن الآية المباركة بحسب السير فيما قيل أو يمكن أن يقال في توجيه معناها.

ما يناسب البحث حول الآية المباركة

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، اليأس يقابل الرجاء، والدين نزل من عند الله تدريجياً، والآية تدلّ على أنّ الكفّار قد كان لهم مطمع في دين المسلمين، وكانوا يرجون زواله منذ ظهوره، وأمرهم هذا كان يهدد الإسلام حيناً فحيناً،

وكان الدين منهم على خطر يوماً فيوماً، وذلك كان يوجب للمؤمنين أن يحذروا منهم ويخشوهم على دينهم، فقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾، تأمين منه ﷻ للمؤمنين، واطمئنان لهم ممّا كانوا فيه من خطر، ومن تسرّ به على خشية.

قال سبحانه: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[2]

والكفّار لم يكونوا يتربّصون بالمسلمين الدوائر إلا عصبيّة لدينهم، ولم تكن تضيق صدورهم، وتتصدّع قلوبهم إلا من جهة أنّ الدين الإسلامي كان سيذهب بسؤددهم، وشرفهم، وشوكتهم، ويمنع استرسالهم في اقتراف كل ما تهواه طباعهم الحيوانية، وتألفه أنفسهم الشيطانية.

فقد كان المبغوض عندهم هو الدين، بل كانوا يريدون إطفاء نور الله، وتحكيم أركان الشرك والكفر المتزلزلة، الضطربة به، وردّ المسلمين كفّاراً، قال تعالى: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[4].

فلذلك لم يكن للكفّار من هدف إلا قلع هذه الشجرة الطيبة من أصلها، وهدم بنيان الدين من الأساس، وذلك عن طريق تفتين المؤمنين وتسرية الشك

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٣. سورة الصّف، الآية: ٨.

٤. سورة غافر، الآية: ١٤.

في جماعتهم، وبثّ الشبهات والخرافات بينهم، لإفساد دينهم.

فقد كانوا بادئ الأمر يأخذون في تفتير عزيمة النبي ﷺ من خلال عرقلة همّته في دعوته بالمال والجاه، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[1]. أو باستخدام سياسة الإغراء والمداهنة، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[2].

وكان آخر ما يرجونه في زوال الدين، وموت الدّعوة المحقّة، إنّهم كانوا يمنون أنفسهم بموت القائم بأمره وصاحب الدعوة، النبي الأعظم ﷺ.

لما كانوا يتصورون النبي ﷺ أنّه مجرد ملكاً في صورة النبوّة، وسلطاناً في لباس الدعوّة والرسالة، فإذا مات أو قتل، انقطع أثره ومات ذكره وذكر دينه، على ما كان مشهودهم عادة من أوضاع وأحوال الملوك والسلاطين، بأنّهم مهما بلغ أمرهم من السلطة والشوكة والجبروت، فإنّ ذكرهم لا بدّ أن يموت بموتهم، ما لم يكن لمن يموت منهم ولياً للعهد، يخلفه ويقوم مقامه، ويحتفظ بسننه وقوانينه، فيموت تبعاً كل ما كان لهم من السنن والقوانين الحاكمة على الشعوب، فتدفن معهم تحت التراب، وبما أنّ النبي ﷺ لم يكن له ولد ذكر، يخلفه بحسب العادة، ويقوم مقامه، ليحفظ سننه وقوانينه، وكما كان من شأن رجائهم حين وصفه شانئه بـ: الأبتر ـ يعني، منقطع النسل، لا عقب له.[3] قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[4] ـ فقد كان هذا وأمثاله أماني تمكّن الرجاء من نفوسهم وتطمعهم في إطفاء نور الإسلام، وبالتخيّلات والأوهام كانوا يزعمون

---

١. سورة ص، الآية: ٦.

٢. سورة القلم، الآية: ٩.

٣. راجع كتب اللغة.

٤. سورة الكوثر، الآية: ٣.

أنّ هذه الدعوة المقدّسة ليست إلا أحدوثة ستكذّبها المقادير، وتقضي عليها، ويعفى أثرها بمرور الأيام والليالي.

ولكن ظهور الإسلام تدريجياً، وانتشار صيته، وإعلاء كلمته بالموعظة الحسنة تارةً، وأُخرى بالشوكة والقوّة، قد قضى على شطر من أمانيهم في افساد عزيمة النبيﷺ والصدّ عن دعوته.

نعم، قوّة الإسلام وشوكته قد أيأستهم من جميع ما كان لهم من الرجاء بزوال الدين في حياتهﷺ، ولم يبق هناك إلا شيء واحد، وهو أنّ النبيﷺ مقطوع العقب، وليس له ولد ذكر يخلفه، ويقوم مقامه في أمره ودعوته، فسيموت ويموت دينه بموته، وذلك لأنّ من البديهي أنّ كمال الدين من جهة أحكامه ومعارفه ـ وإن بلغ ما بلغ ـ لا يقوى بنفسه على حفظ نفسه.

ومن البداهة أيضاً أنّه عادة لا تبقى السنن المحدثة والأديان المتّبعة على حال حدوثها وظهورها من النظارة والصفاء، لا بنفسها، ولا بانتشار صيتها، ولا بكثرة المنتحلين لها، كما أنّها تنمحي وتُعفى آثارها بموت حملتها وحفظتها والقائمين بتدابير أمورها.

فيظهر أنّ يأس الكفّار تمام اليأس، ليس بإكمال الدين كصفة مجرّدة سوى عن إطارها العام، بقدر ماتحويه من الحفاظ على كيانه قلباً وقالباً، تشريعاً وتنفيذاً، وهذا إنما يتحققّ حينما يُنصّب اللهﷻ للدين من يخلف النبيﷺ ويقوم مقامه في حفظه وتدبير أمره، وإرشاد القائمين به، فيتعقّب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين تمام اليأس، وعلى وجه أكمل، بما شاهدوا من خروج الدين عن مرحلة الحدوث إلى مرحلة البقاء، وعن مرحلة القيام بالحامل الشخصي إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي، متمثّلاً بحملة وخلفاء تجتمع فيهم شرائط الإمامة والخلافة، ليكون بهم بعد ذاك اتماماً للنعمة ـ

نعمة الدّين ـ كما لا يخفى.[١]

وليس ببعيد أن يكون قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]، إشارة إلى هذا المعنى أيضاً، فيكون المراد بـ ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، أي، أمر الخلافة ونصب الخليفة.

وهذا المعنى[٣] يؤيد ما ورد من الروايات، إنّ الآية المباركة نزلت يوم غدير خمّ ـ وهو الثامن عشر من ذي الحجّة سنة عشرة من الهجرة ـ في أمر ولاية علي عليه السلام، وعلى هذا، فيرتبط قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بقوله تعالى:

---

١. أقول: شاهد كلامنا، بل اعتقادنا بحتمية تمثّل خليفة النبي صلى الله عليه وآله بكامل مقومات الخلافة، المشاكلة لمقومات النبوّة، والتي من شأنها السير بالأُمّة على محجّة بيضاء، لاعوج فيها ولا أمتا، ما أشار إليه عمر بن الخطّاب في نزاعه، قائلاً: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رجلاً أمركم، هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى علي عليه السلام ـ. تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٩٣، قصّة الشورى. وقوله أيضاً: وإن أخلفهم أن يحملهم على المحجّة البيضاء، الأصلع ـ يعني، علي عليه السلام ـ. تاريخ المدينة للنميري: ج٣ ص٨٨٣، كان عمر يميل إلى عدم استخلاف شخص معيّن. كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ما يؤكّد أنّ عمر بن الخطاب إنّما حفظها عنه من قوله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام:... وإن تستخلفوا علياً، وما أراكم فاعلين!! تجدوه هادياً مهدياً، يحملكم على المحجّة البيضاء. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج١ ص٦٤، فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام. هذا فضلاً عمّا رصده الهندي من روايات عدّة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتابه كنز العمّال: ج١١ ص٩٥١، فضائل الخلفاء. فراجع.

الأمر الذي حتّم على الإسكافي المعتزلي، لأن ينبري في ذكر نصّ خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام في جموع المسلمين، بعد أن أجبروه باستخلافهم، قائلاً: كنت والله، كارهاً للحكومة بين أمّة محمد صلى الله عليه وآله حتى أكرهتموني عليها. .. فإن أنتم، معاشر أمّة محمد صلى الله عليه وآله، سمعتم قولي، وأطعتم أمري، أقمتم على المحجّة البيضاء، وإن أبيتم، عاقبتكم بسيفي هذا، حتى يحكم الله بيني وبينكم، والله خير الحاكمين. المعيار والموازنة: ص٥٠، إسراع الناس بعد مقتل عثمان إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٣. أي، إنّ المراد من الآية، يأس الكفّار بنصب الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، كمال الإرتباط، ولا يرد عليه أي إشكال من الـشكالات المتقدّمة الواردة على الأقوال والتفاسير التي قدمناها تفصيلا.

اليوم في الآية المباركة

ثم بعدما عُلم وعُرف من معنى اليأس في الآية، يُعلم ويُعرف أيـضاً أنّ اليـوم في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يتعلّق بقوله تعالى: ﴿يَئِسَ﴾، وأنّ التقـديم للدلالة على تفخيم أمر اليوم، وتعظيم شأنه ـ كما ذكر ذلك في علم البلاغة ـ لما وقع فيه من خروج الدين عن مرحلة القيام بالقيّم الشخصي إلـى مرحلـة القيـام بالقيّم النوعي، ومن صفة الحدوث والظهور إلى صفة البقاء والـدوام، ولا تقـاس الآية فيما سيأتي من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[١]، فـإنّ سـياق الآيتـين مختلف، فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ﴾، في سياق الإعتـراض، وقولـه تعـالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ﴾، في سياق الإستئناف، والحكمان مختلفان، فحكم الآيـة الأولـى تكـويني، مشتمل على البشرى من وجه، والتحذير من وجـه آخـر. وحكـم الآيـة الثانيـة تشريعي، منبأ عن الإمتنان، فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ﴾، يدلّ على تعظيم أمر اليوم، لاشتماله على خير عظيم الجدوى، أو هو يأس الذين كفروا من دين المـؤمنين. والمراد بـ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مطلق الكفّار من الوثنيين واليهود والنصارى وغيرهم.

فمحصّل البحث، إنّ معنى الآية، هو: ﴿الْيَوْمَ﴾، وهـو اليـوم الـذي يـئس فيـه الذين كفروا من دينكم. ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾، مجمـوع المعـارف الدينيـة التـي أنزلتهـا إليكم بفرض الولاية. ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، وهي الولاية التـي هـي إدارة أمـور الدين وتدبير تلك الأمور تدبيراً إلهيا، فإنّها إلى اليوم كانت ولايـة الله ورسـوله، وهي إنّما تكون كافية ما دام الوحي يتنزّل، ولا تكفي لما بعـد ذلـك مـن زمـان

١. سورة المائدة، الآية: ٥.

انقطاع الوحي، ولم يكن الرسول ﷺ بعد ذلك بين الناس ليحمي دين الله ويحفظه ويذب عنه، بل من الواجب أن يُنصّب من يقوم بذلك، وهو ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ القيّم على أمور الدين والأمّة.

فالولاية مشروع بلاغي تكليفي متمّم لأمر الرسالة، وعدم إبلاغها وتعيّنها وتعيّن من يقوم بها، يلزم عدم تبليغ الرسالة برمّتها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وبهذا لم تكن كذلك إلى أن تمّت بنصب ولي الأمر بعد النبي ﷺ.

واذا كمل الدين في تشريعه، وتمّ بنعمة الولاية، يكون قد رضيت لكم الإسلام ديناً إلى يوم القيامة، دين التوحيد الذي لا يُعبد فيه إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُطاع فيه إلا هو، ومن أمر هو بطاعته، من رسول أو وليّ من بعده.

إذاً، فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾، ليس له مقام نزول يصحّ معناه، ويمكن تفسيره وتأويله من دون أن يرد عليه أي إشكال أو اعتراض، إلا يوم غدير خم ـ الثامن عشر من ذي الحجة عام حجّة الوداع ـ إذ نزل فيه جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ في ذلك المكان عند رجوعه ﷺ إلى المدينة، بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

مصادر نزول الآية في غدير خمّ

فآية إكمال الدين وإتمام النعمة نزلت، يوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة حجّة الوداع ـ السنة العاشرة من الهجرة النبويّة المباركة ـ وذلك لمّا بلغ النبيّ الأعظم ﷺ غدير خمّ، فأتاه جبرئيل عليه السلام بها، فقال: يا محمد، إنّ الله عزّ وجلّ يقرئك السلام، ويقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، في علي ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا

﴿بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ﴾. وقد صرّح بذلك كثير من المفسّرين والمؤرّخين والمحدثّين كما مرّ تفصيله في الجزء الأوّل، وتتميماً للفائدة إليك نماذج، منهم:

النيسابوري

قال في تفسير غرائب القرآن، المطبوع على هامش تفسير الطبري: عن أبي سعيد الخدري: إنّ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ﴾، نزلت في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام يوم غدير خم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فلقيه عمر، وقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس، والبرّاء بن عازب، ومحمد بن علي، انتهى.[1]

الفخر الرازي

والفخر الرازي في تفسيره، قال:

العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام. ولمّا نزلت هذه الآية، أخذ بيده، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فلقيه عمر فقال: هنيئا لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس، والبرّاء بن عازب، ومحمد بن علي انتهى.[2]

الواحدي

والواحدي في أسباب النزول: بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ﴾، يوم غدير خمّ في علي بن أبي طالب عليه السلام.[3]

---

١. تفسير الطبري: ج٦ ص١٩٤.

٢. التفسير الكبير: ج١٢ ص٤٩.

٣. أسباب النزول: ص١١٥.

الخطيب البغدادي

روى في تاريخ بغداد، بسنده عن أبي هريرة، إنّه قال: من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجّة، كُتب له صيام ستّين شهراً، وهو يوم غدير خمّ، لمّا أخذ النبيﷺ بيد علي بن أبي طالبعليه السلام فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم. فأنزل الله، اليوم أكملت لكم دينكم....[1]

ورواه أيضاً كل من ابن عساكر في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية، والخوارزمي في مناقبه. وروى نحوه الإسكافي في المعيار والموازنه.[2]

الحافظ الحسكاني

والحافظ عبيد الله الحسكاني في شواهد التنزيل:: بسنده عن أبي هريرة، عن النبيﷺ قال: لما أُسرى بي إلى السماء، سمعت تحت العرش: إنّ علياًعليه السلام راية الهدى، وحبيب من يؤويني (كذا) بلّغ يا محمد، قال: فلما نزل النبيﷺ أسرّ ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ـ في علي بن أبي طالب ـ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وبسنده المتّصل عن أبي الخدري، قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

وبسنده عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قولهعزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا

---

١. تاريخ بغداد: ج٨ ص٢٨٤، حديث الغدير.

٢. راجع تاريخ دمشق: ج٤٢ ص٢٣٣. والبداية والنهاية: ج٧ ص٣٨٦، حديث الغدير. والمناقب: ص١٥٦، ح١٨٤، الفصل ١٤. والمعيار والموازنة: ص٢١٢.

الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ﴾، قال ابن عباس: نزلت في علي عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن بلغ فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

يقول: رواه ـ يعني، نزول الآية في علي عليه السلام ـ جماعة، عن الحبري، أخرجه السبيعي في تفسيره عنه، فكأني سمعته من السبيعي، ورواه جماعة، عن الكلبي.

ثم قال الحافظ الحسكاني: وطرق هذا الحديث مستقصاة في كتاب: «دعاء الهداة إلى أداء حقّ الموالاة» من تصنيفي في عشرة أجزاء.[1]

وبسنده عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ، وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ثمّ رفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه، ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم قال: اللهم، اشهد.

وبسنده عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدّثني أبي، قال: سمعت زياد بن المنذر يقول: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي، وهو يحدّث الناس، إذ قام إليه رجل من أهل البصرة، يقال له: عثمان الأعشى ـ كان يروي عن الحسن البصري ـ فقال له: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، إنّ الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا يخبرنا من الرجل، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

فقال أبو جعفر: ولو أراد أن يخبر به لأخبر به، ولكنّه يخاف! إنّ جبرئيل هبط

---

١. قال السيّد ابن طاووس في كتاب إقبال الأعمال: ص٤٥٣، فيمن صنّف في حديث الغدير: ومن ذلك ما رواه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني في كتاب سمّاه: «دعاء الهداة إلى أداء حق الموالاة».
وقال في الطرائف: وصنّف في حديث يوم الغدير، الحاكم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني كتاباً سمّاه: «دعاء الهداة إلى أداء حق الموالاة» إثنا عشر كراساً مجلّداً.

على النبيﷺ فقال: إنّ الله يأمرك أن تدلّ أُمّتك على وليّهم علي، مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجّهم، يُلزمهم الحجّة من جميع ذلك.

فقال رسول اللهﷺ: يا رب، إنّ قومي قريبوا عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليّهم، وإني أخاف، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، تامّة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. فلما ضمن الله [له] بالعصمة وخوفه، أخذ بيد علي بن أبي طالب، ثم قال: يا أيّها الناس، من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه.

قال زياد: فقال عثمان: ما انصرفت إلى بلدي بشيء أحب إليّ من هذا الحديث.

ومسنداً عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله، قالا: أمر الله محمداًﷺ أن ينصّب علياً للناس، ليخبرهم بولايته، فتخوّف رسول اللهﷺ أن يقولوا: حابا ابن عمّه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، فقام رسول الله بولايته يوم غدير خمّ.

ومسنداً عن عباية بن ربعي، عن عبد الله بن عباس، عن النبيﷺ، وساق حديث المعراج إلى أن قال: وإني لم أبعث نبياً إلا جعلت له وزيراً، وإنك رسول الله وأنّ علياً وزيرك. قال ابن عباس: فهبط رسول اللهﷺ فكره أن يحدّث الناس بشيء منها، إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية، حتى مضى من ذلك ستّة أيام، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾[١]، فاحتمل رسول اللهﷺ حتى كان يوم الثامن عشر ـ من ذي الحجّة عام حجّة الوداع ـ أنزل الله

١. سورة هود، الآية: ١٢.

عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ثم إنّ رسول الله ﷺ أمر بلالاً حتى يأذن في الناس أن لا يبقى غداً أحد إلا خرج إلى غدير خم، فخرج رسول الله ﷺ. فقال: أيّها الناس، إنّ الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً مخافة أن تتهموني وتُكذبوني، حتى عاتبني ربي فيها بوعيد، أنزله عليّ بعد وعيد، ثم أخذ ﷺ بيد علي بن أبي طالب فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض ابطيهما، ثم قال: أيّها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.[1]

ثم إنّ الروايات الواردة عن أعاظم أصحاب النبي ﷺ وكبار التابعين في نزول هذه الآية، وآية إكمال الدين وإتمام النعمة، يوم غدير خمّ ـ الثامن عشر من ذي الحجّة سنة حجّة الوداع ـ في علي عليه السلام بلغت حدّ التواتر،[2] ولا ينكر ذلك إلا ناصبي معاند، أو مارقي مبغض.

كما رواه الحفّاظ في التفاسير والصحاح والمسانيد، عن إبن مسعود، وابن عباس، وجابر بن عبد الله الانصاري، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، والبرّاء ابن عازب، وابن أبي أوفى، وزيد بن أرقم.. وغيرهم.

شاء الله عزّ وجلّ أن يبقي حديث الغدير في ولاية أميرالمؤمنين، وسيّد المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام غضّا طريّاً، لا يبليه الملوان، ولا يأتي على جدّته مرّ الحقب والأعوام، فأنزل فيه آيات ناصعة البيان، ترتلها الأمّة صباحاً ومساءً، ليذكّر القارئ، أويُنكت في قلبه، أو يُنقر في أذنه ما يجب عليه من ولاية الله

---

١. شواهد التنزيل: ج١ ص٢٤٩ـ٢٥٩.

٢. كما مرّ تفصيله في الجزء الأوّل من الكتاب، فصل: في الغدير ورواته.

ورسوله وعلي أميرالمؤمنين، وذلك ﴿لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[1].

وهناك أقوال أخرى حول نزول آية التبليغ ذكرها الطبري والفخر الرازي في تأويل وتفسير الآية، ولا منافات بين أكثرها وبين نزول الآية يوم الغدير في علي عليه السلام والمنافي منها يضرب بالجدار لتضادّه والروايات الصحيحة، والإعتبارات العقلية الصريحة.

فالثابت الذي لا إشكال فيه ولا يرتاب فيه ذوو العقول السليمة، هو نزول آية التبليغ وآية إكمال الدين وإتمام النعمة يوم غدير خم في علي عليه السلام، بمعنى أنّ الشيء الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله بإبلاغه الناس، وإن لم يبلّغه، ما بلّغ رسالة ربّه ـ تماماً وكمالاً، كان هو أمر ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

كما ظهر أنّ الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وآله أن يبلغه الناس، هو أصل من أصول الدين وأركانه الأساسية لا من الفروع الجزئيةّ كما يتصوره البعض، كما ثبت أنّ الأمر الذي به انقطع رجاء الكفّار ويئسوا من دين المسلمين ـ بعد أن علموا وتيّقنوا أنّ بعد وقوع ذلك الأمر وثبات وجوده، قد ثبت الدين أساساً وأركاناً وأصولاً، ثبات الجبال الرواسي، بل أثبت ـ بظهورهم عليه، ليس سوى: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما أنّ هذه الآيات المحكمات، والأحاديث النبويّة الشريفة المتواترة في أنّ «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»، و«من مات وليست عليه طاعة، مات ميتة جاهلية»، و«من مات بغير إمام، مات ميتة جاهلية»[2] كلّها دلائل ساطعة، وبراهين قاطعة على أنّ خلافة النبوّة وإمامة الأمّة من أُصول الدين

---

١. سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

٢. سبق تفصيله، فراجع.

وأركانه لا من فروعه وأجزائه، فأوجب الله سبحانه وتعالى على نفسه - لطفاً بعباده - أن ينصّب لهم بعد نبيّهﷺ من يكون حجّته عليهم، ليهديهم إلى طريق الحق وسبيل النجاة، ويرشدهم إلى ما فيه الرشاد، حتى صرّح رسول اللهﷺ بالخليفة من بعده، والإمام على أمّته كراراً ومراراً، بما دلّت عليه الآيات النازلة في علي بن أبي طالبعليه السلام والروايات المتواترة التي مرّ بعضها وسنذكر الباقي منها في الجزء الثالث من الكتاب، والمخصص عن حياة علي أميرالمؤمنينعليه السلام إن شاء الله تعالى.

فصل في

من هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله

بعد أن ذكرنا[1] الإتفاق في الإجماع بين الفريقين على صحّة قول النبيﷺ: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش»[2]، وأن قد ثبت عدم إنطباقه أو موافقته سوى لما يعتقده مذهب الشيعة الإثني عشريّة، بعد اعتمادهم على الأدلّة والبراهين التي تؤكّد أنّ لرسول اللهﷺ اثني عشر خليفةً ووصياً، يقومون مقامه في أمّته، واحداً تلو الآخر، من يوم وفاتهﷺ وإلى يوم القيامة، وجميعهم من عترته، أهل بيته، أوّلهم الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام. والثاني والثالث منهم، سبطاه وأبناه: الحسن والحسينعليهما السلام، والتسعة الباقون، كلّهم من ذريّة الحسينعليه السلام، أوّلهم: علي بن الحسين زين العابدين وسيّد الساجدين، وتاسعهم: الحجّة بن الحسن المهدي، الموعود المنتظر، الذي لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّله الله حتى يظهر، فيملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.[3]

فضلاً عن التخبّط بما فسّر به أهل السنّة والجماعة هذا حديث، بإقحامهم فيه لأكثر من منافق وفاسق، فضلاً عن زعمهم بكونهم خلفاء بعد النبيﷺ لأسمى وأطهر منزلة بعدهﷺ وأنّهم الأئمة على الخلق، وحجج الله على الناس!! ممّا يأبى الله رسوله وأولوا الألباب أن يعدّوهم حتى من المسلمين.

---

١. تحت عنوان: من هم الخلفاء. .. في الجزء الأوّل.

٢. مسند أحمد:: ج٥ ص٩٢، حديث جابر بن سمرة.

٣. إشارة إلى قولهﷺ: «المهدي منّي. . يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت جوراً وظلماً». راجع سنن أبي داود: ج٢ ص٣٠٩ ح٤٢٨٢، كتاب المهدي. ومسند أحمد: ج٣ ص٢٧، ٢٨، ٣٦، ٣٧، ٢٥، ٧٠، مسند أبي سعيد الخدري.

خلفاء الرسولﷺ عند الشيعة

وعليه، لا يمكن أن ينطبق عنوان الخلفاء الإثني عشر الذين ذُكر نصابهم في حديث: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة»، إلا بما اعتقد به الشيعة الإثني عشريّة، من إنعقاد الحديث بقضّه وقضيضه، بأهل بيت الوحي والنبوّة، والعصمة والطهارة، الذين اجتمعت فيهم جميع شرائط الإصطفاء للإمامة والخلافة، من عصمة وعلم، بل جميع الفضائل التي اعترف لهم بها العدو قبل الصديق.

فأوّل الحجج: سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، أميرالمؤمنين، علي بن أبي طالبعليه السلام.

وثاني الحجج: الإمام الحسن بن علي، المجتبىعليه السلام.

وثالث الحجج: الإمام الحسين بن علي، الشهيد بكربلاءعليه السلام.

ورابع الحجج: الإمام علي بن الحسين، زين العابدينعليه السلام.

وخامس الحجج: الإمام محمد بن علي، الباقرعليه السلام.

وسادس الحجج: الإمام جعفر بن محمد، الصادقعليه السلام.

وسابع الحجج: الإمام موسى بن جعفر، الكاظمعليه السلام.

وثامن الحجج: الإمام علي بن موسى، الرضاعليه السلام.

وتاسع الحجج: الإمام محمد بن علي، الجوادعليه السلام.

وعاشر الحجج: الإمام علي بن محمد، الهاديعليه السلام.

وحادي عشر الحجج: الإمام الحسن بن علي، العسكريعليه السلام.

وثاني عشر الحجج: الإمام محمد بن الحسن، المهديعجل الله فرجه.

وختامه مسك

ومن لطيف ما ذكره ابن حجر الهيثمي الشافعي في كتابه الصواعق المحرقة حين أتى على أسماء الأئمة الإثني عشر حسب الترتيب الذي ذكرناه واحداً واحداً، وصرّح بفضائلهم وعظيم قدرهم... ولله الحجّة البالغة، وإليك تفصيله:

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

فقد ذكر ابن حجر في الصواعق، باباً كاملاً في مآثر أميرالمؤمنين عليه السلام، وفضائله، ونبذ من أحواله، فراجع.[١]

الإمام الحسن عليه السلام

ثم ذكر باباً في خلافة الإمام الحسن، وفضائله، ومزاياه، وكرامته عليه السلام.[٢]

الإمام الحسين عليه السلام

ثم ذكر فضائل الإمام الحسين عليه السلام في أبواب مختلفة، وتحت عناوين متفرّقة وأشار إلى قضية عاشوراء واستشهاد الإمام عليه السلام، بشيء من التفصيل.

ثم أخذ يذكر الأئمة من ذريّة الحسين، واحداً تلو الآخر، وحسب الترتيب الذي يعتقده الشيعة الإثنا عشريّة، ننقل نصّ كلامه، تتميماً للفائدة.

الإمام زين العابدين عليه السلام

والإمام زين العابدين، هذا هو الذي خلف أباه، علماً وزهداً وعبادة، وكان أذا توضأ للصلاة، اصفّر لونه، فقيل له في ذلك، فقال: ألا تدرون بين يدي من أقف؟!

---

١. راجع الصواعق المحرقة: ج٢ ص٣٤٩ـ٣٩٤ ب٩.

٢. راجع الصواعق المحرقة: ج٢ ص٣٩٥ـ٤١٥ ب١٠.

وحكي أنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة. وحكى ابن حمدون، عن الزهري: إنّ عبد الملك حمله مقيّداً من المدينة بأثقلة من حديد، ووكّل به حفظة، فدخل عليه الزهري لوداعه، فبكى، وقال: وددت أنّي مكانك. فقال: أتظن أنّ ذلك يُكربني؟ لو شئت لما كان! وإنّه ليذكّرني عذاب الله. ثم أخرج رجليه من القيد، ويديه من الغلّ، ثم قال: لأجزت معهم على هذا يومين من المدينة! فما مضى يومان إلا وفقدوه حين طلع الفجر وهم يرصدونه فطلبوه، فلم يجدوه!!

قال الزهري: فقدمت على عبد الملك، فسألني عنه، فأخبرته، فقال: قد جاء في يوم فقده الأعوان، فدخل علي، فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي! فقال: لا أحب. ثم خرج، فوالله، لقد امتلأ قلبي منه خيفة.

ومن ثم، كتب عبد الملك إلى الحجّاج أن يجتنب دماء بني عبد المطّلب، وأمره بكتم ذلك، فكوشف به زين العابدين، فكتب إليه: إنّك كتبت للحجّاج يوم كذا سرّا في حقّنا بني عبد المطّلب، بكذا وكذا، وقد شكر الله لك ذلك، وأرسل به إليه، فلما وقف عليه، وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجّاج، ووجد مخرج الغلام موافقاً لمخرج رسوله للحجّاج، فعلم أنّ زين العابدين كوشف بأمره، فسرّ به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته، دراهم وكسوة، وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه.

وأخرج أبو نعيم والسلفى: لما حجّ هشام بن عبد الملك في حياة أبيه أو الوليد لم يمكنه أن يصل للحجر من الزحام، فنُصب له منبر إلى جانب زمزم وجلس ينظر إلى الناس، وحوله جماعة من أعيان أهل الشام، فبينا هو كذلك أن أقبل زين العابدين، فلما انتهى إلى الحجر، تنحّى له الناس حتى استلم، فقال أهل الشام لهشام: من هذا، قال: لا أعرفه!! مخافة أن يرغب أهل الشام في زين

العابدين، فقال الفرزدق: أنا أعرفه، ثم أنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم

ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت   عن نيلها عرب الإسلام والعجم

القصيدة المشهورة، ومنها:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله   بجدّه أنبياء الله قد ختموا

فليس قولك: مَن هذا؟ بضائره   العرب تعرف من انكرتَ والعجم

ثم قال:

من معشر حبهم دين وبغضهم   كفر وقربهم منجى ومعتصم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم   ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

فلما سمعه هشام، غضب، وحبس الفرزدق بعسفان! وأمر له زين العابدين باثني عشر ألف درهم، وقال: أعذر، لو كان عندنا أكثر لوصلناك به. فقال: إنّما امتدحتك لله لا لعطاء. فقال زين العابدين: إنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده. فقبله الفرزدق، ثم هجا هشاماً في الحبس، فبعث فأخرجه.

وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى أنّه سبّه رجل، فتغافل عنه، فقال له: إيّاك أعني، فقال: وعنك أعرض. أشار إلى آية: ﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَاهِلِينَ﴾[1].

.. توفي وعمره سبع وخمسون، منها سنتان مع جدّه علي ثم عشرة مع عمّه الحسن ثم إحدى عشرة مع أبيه الحسين، وقيل: سمّه الوليد بن عبد الملك، ودُفن بالبقيع عند عمّه الحسن عن أحد عشر ذكراً وأربع إناث، وارثه منهم عبادة وعلما وزهادة: أبو جعفر محمد الباقر.

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

الإمام الباقرعليه السلام

سُمّي بذلك: من بقر الأرض. أي، شقّها وأثار مخبآتها ومكامنها. فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطويّة والسريرة، ومن ثم قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه، وزكى علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة، وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر، إنّه قال له وهو صغير: رسول اللهﷺ يسلّم عليك. فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره، وهو يداعبه، فقال: يا جابر يولد له مولود، اسمه علي، إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: ليقم سيّد العابدين. فيقوم ولده، ثم يولد له ولد، اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر، فاقرءه منّي السلام.

توفّي سنة سبع عشرة، عن ثمان وخمسين سنة، مسموماً كأبيه. وهو علوي من جهة أبيه وأمّه، ودفن أيضاً في قبّة الحسن والعبّاس بالبقيع، وخلّف ستّة أولاد، أفضلهم وأكملهم: جعفر الصادقعليه السلام.

الإمام الصادقعليه السلام

ومن ثم كان خليفته ووصيّه، ونقل الناس عنه من العلوم، ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان. وروى عنه الأئمة الكبار: كيحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، والسفياني، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السختياني.

وأمّه امّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، كما مرّ.

وسُعي به عند المنصور لما حجّ، فلمّا حضر الساعي به يشهد، قال له: أتحلف؟ قال: نعم. فحلف بالله العظيم إلى آخره، فقال: أُحلّفه يا أميرالمؤمنين

بما أراه؟ فقال له: حلّفه. فقال له: قل برئت من حول الله وقوّته والتجأت إلى حولي وقوّتي، لقد فعل جعفر كذا وكذا. وقال: كذا وكذا. فامتنع الرجل، ثم حلف، فما تم حتى مات مكانه. فقال أميرالمؤمنين لجعفر: لا بأس عليك أنت المُبرأ الساحة، المأمون الغائلة، ثم انصرف، فلحقه الربيع بجائزة حسنة وكسوة سنية... وللحكاية تتمة.

ومن مكاشفاته

إنّ ابن عمّه عبد الله المحض كان شيخ بني هاشم وهو والد محمد الملقّب بالنفس الزكية، ففي آخر دولة بني أُميّة وضعفهم، أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه، وأُرسل لجعفر ليبايعهما، فامتنع، فاتّهم أنّه يحسدهما، فقال: والله، ليست لي ولهما، إنّها لصاحب القباء الأصفر، ليلعبنّ بها صبيانهم وغلمانهم. وكان المنصور العبّاسي يومئذ حاضراً، وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا، وسبق جعفر إلى ذلك والده الباقر، فإنّه أخبر المنصور بملك الأرض، شرقها وغربها، وطول مدّته، فقال له: وملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم. قال: ويملك أحد من ولدي؟ قال: نعم. قال: فمدّة بني أُميّة أطول أم مدّتنا؟ قال: مدّتكم، وليلعبنّ بهذا الملك صبيانكم كما يُلعب بالكرة! هذا ما عهد إليّ أبي. فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الأرض، تعجّب من قول الباقر!!

وأخرج أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب، قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة، ولما صلّيت العصر في المسجد، رقيت أبا قبيس، فإذا رجل جالس يدعو، فقال: يا رب، يا رب، حتى انقطع نفسه، ثم قال: يا حي، يا حي، يا حي، حتى انقطع نفسه، ثم قال: إلهي، إنّي أشتهي العنب، فأطعمنيه. اللهم، وإنّ بُرداي قد خلقا، فاكسني. قال الليث: فوالله، ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلّة مملوءة عنباً، وليس على الأرض يومئذ عنب،

وإذا بُردان موضوعان، لم أر مثلهما في الدنيا.

توفّي سنة أربع وثمانين ومائة مسموماً أيضاً على ما حُكي، وعمره ثمان وستّون سنة، ودُفن بالقبّة السابقة عن ستّة ذكور وبنت، منهم: موسى الكاظم، وهو وارثه علماً ومعرفة، وكمالاً وفضلاً.

الإمام موسى الكاظمعليه السلام

سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم، وسأله الرشيد: كيف قلتم: إنّا ذريّة رسول اللهﷺ وأنتم أبناء علي؟ فتلا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾[1]، إلى أن قال: ﴿وَعِيسَى﴾[2]؛ وليس له أب، وأيضاً قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾[3]. ولم يدع النبيﷺ عند مباهلته النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين، فكان الحسن والحسين هما الأبناء.

ومن بديع كرامته: ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي وغيرهما، عن شقيق البلخي: إنّه خرج حاجّاً سنة تسع وأربعين ومائة، فرآه بالقادسية منفرداً عن الناس، فقال في نفسه: هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس، لأمضين إليه، ولأوبخنه. فمضى إليه، فقال: يا شقيق! ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[4]، فأراد يجادله، فغاب عن عينيه، فما رآه إلا بواقصة يصلّي، وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تتحادر. فجاء إليه ليعتذر، فخفّف في صلاته، وقال:

---

١. سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

٢. سورة الأنعام، الآية: ٨٥.

٣. سورة آل عمران، الآية: ٦١.

٤. سورة الحجرات، الآية: ١٢.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ﴾[١]، فلما نزلوا زبالة، رآه على بئر، فسقطت ركوته فيها، فدعا، فطغى الماء له حتى أخذها، فتوضأ وصلّى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل، فطرح منه فيها وشرب، فقال له: أطعمني من فضل ما رزقك الله تعالى، فقال: يا شقيق! لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربّك. فناولنيها فشربت منها، فإذا سويق وسكر، ما شربت والله، ألذ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهي شراباً ولا طعاماً، ثم لم أره إلا بمكّة وهو بغلمان وغاشية وأمور على خلاف ما كان عليه بالطريق.

ولما حجّ الرشيد سُعي به إليه، وقيل له: إنّ الأموال تُحمل إليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار، فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة، عيسى بن جعفر بن المنصور، فحبسه سنة، ثم كتب له الرشيد في دمه، فاستعفى وأخبره أنّه لم يدع على الرشيد، وأنّه إن لم يُرسل بتسليمه، وإلا خلّى سبيله، فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسندي بن شاهك بتسليمه، وأمره فيه بأمر، فجعل له سمّاً في طعامه، وقيل: في رطب، فتوعك ومات بعد ثلاثة أيام، وعمره خمس وستّون سنة.

وذكر المسعودي: إنّ الرشيد رأى علياً في النوم معه حربة، وهو يقول: إن لم تُخل عن الكاظم وإلا نحرتك بهذه. فاستيقظ فزعاً وأرسل في الحال والي شرطته إليه بإطلاقه، وثلاثين ألف درهم، وأنّه يخيّره بين المقام فيكرمه، أو الذهاب إلى المدينة، ولما ذهب إليه قال: رأيت منك عجباً، فأخبره أنّه رأى النبيﷺ، وعلّمه كلمات، قالها، فما فرغ منها إلا وأُطلق.

قيل: وكان موسى الهادي حبسه أوّلاً ثم أطلقه لأنّه رأى علياً يقول: ﴿فَهَل

---

١. سورة طه، الآية: ٨٢.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[١]، فانتبه وعرف أنه المراد، فأطلقه ليلاً، فقال له الرشيد حين رآه جالساً عند الكعبة: أنت الذي تبايعك الناس سراً؟ فقال: أنا إمام القلوب، وأنت إمام الجسوم.

ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، قال الرشيد: السلام عليك يا ابن عم، سمعها من حوله. فقال الكاظم: السلام عليكم يا أبه. فلم يحتملها وكانت سبباً لإمساكه له، وحمله معه إلى بغداد وحبسه، فلم يخرج من حبسه إلا ميّتاً، مقيداً، ودفن جانب بغداد الغربي.

وكانت أولاده حين وفاته، سبعة وثلاثين ذكراً وأنثى، منهم: علي الرضا، وهو أنبههم ذكراً، وأجلّهم قدراً.

الإمام علي الرضاعليه السلام

أحلّه المأمون محلّ مهجته، وأنكحه ابنته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته. فإنّه كتب بيده كتاباً سنة إحدى ومائتين: بأنّ علياً الرضا ولي عهده. وأشهد عليه جمعاً كثيرين، لكنّه توفّي قبله، فأسف عليه كثيراً، وأُخبر قبل موته بأنّه يأكل عنباً ورماناً مسموماً، ويموت، وأنّ المأمون يريد دفنه خلف الرشيد، فلم يستطع، فكان ذلك كله كما أُخبر به.

ومن مواليه: معروف الكرخي، أُستاذ السريّ والسقطي، لأنّه أسلم على يديه وقال لرجل: يا عبد الله! إرض بما يريد، واستعد لما لابدّ منه، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام. رواه الحاكم.

وروى الحاكم عن محمد بن عيسى، عن أبي حبيب، قال: رأيت النبيﷺ في المنام في المنزل الذي يُنزل الحُجّاج ببلدنا، فسلّمت عليه، فوجدت عنده طبقاً

---

١. سورة محمد، الآية: ٢٢.

من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فناولني منه ثماني عشرة، فتأوّلت أن أعيش عدّتها، فلما كان بعد عشرين يوماً، قدم أبو الحسن علي الرضا من المدينة، ونزل ذلك المسجد، وهرع الناس بالسلام عليه، فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبيﷺ جالساً فيه، وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فسلّمت عليه، فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا عدّتها بعدد ما ناولني النبيﷺ في النوم، فقلت: زدني. فقال: لو زادك رسول اللهﷺ لزدناك.

ولما دخل نيسابور ـ كما في تاريخها ـ وشقّ سوقها، وعليه مظلّة لا يُرى من ورائها، تعرّض له الحافظان أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه، ويروي لهم حديثاً عن آبائه، فاستوقف البغلة، وأمر غلمانه برفع الستار، وأقرّ عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكانت له ذؤابتان مدلّيتان على عاتقه، والناس بين صارخ، وباك، ومتمرّغ في التراب، ومقبّل لحافر بغلته، فصاحت العلماء: معاشر الناس، أنصتوا. فأنصتوا، واستملى منه الحافظان المذكوران فقال: حدّثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالبعليه السلام، قال: حدّثني حبيبي، وقُرّة عيني، رسول اللهﷺ قال: حدّثني جبريل، قال: سمعت ربّ العزّة يقول: «لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني، أمن من عذابي»، ثم أرخى الستر وسار، فعُد أهل المحابر والدوى الذي كانوا يكتبون، فأنافا على عشرين ألفاً.

وفي رواية: إنّ الحديث المروي: «الإيمان: معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان». ولعلهما واقعتان.

قال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون، لبُرئ من جُنّته.

ونقل بعض الحفّاظ: إنّ امرأة زعمت أنّها شريفة ـ بحضرة المتوكّل ـ فسأل عمّن يخبره بذلك، فدلّ على علي الرضا، فجاء، فأجلسه معه على السرير وسأله، فقال: إنّ الله حرّم لحم أولاد الحسنين على السباع، فلتلق للسباع، فعُرض عليها بذلك، فاعترفت بكذبها، ثم قيل للمتوكل: ألا تُجرّب ذلك فيه؟ فأمر بثلاثة من السباع، فجيء بها في صحن قصره، ثم دعاه، فلما دخل بابه، أغلق عليه، والسباع قد أصمّت الأسماع من زئيرها، فلما مشى في الصحن يُريد الدرجة، مشت إليه، وقد سكنت، وتمسّحت به، ودارت حوله، وهو يمسحها بكمّه، ثم ربضت، فصعد للمتوكل وتحدث معه ساعة ثم نزل، ففعلت معه كفعلها الأوّل حتى خرج، فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، فقيل للمتوكل: إفعل كما فعل ابن عمك، فلم يجسر عليه، وقال: أتريدون قتلي؟ ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك.

ونقل المسعودي: إنّ صاحب هذه القصّة هو ابن ابن علي الرضا، هو: علي العسكري، وصوّب، لأنّ الرضا توفّي في خلافة المأمون اتفاقاً ولم يدرك المتوكّل. وتوفّي وعمره: خمس وخمسون سنة عن خمسة ذكور وبنت أجلّهم: محمد الجواد، لكنّه لم تطل حياته.

الإمام محمد الجواد عليه السلام

وممّا اتفق أنّه بعد موت أبيه بسنة، كان واقفاً والصبيان يلعبون في أزقة بغداد إذ مرّ المأمون، ففرّوا، ووقف محمد وعمره تسع سنين، فألقى الله محبته في قلبه، فقال له: يا غلام، ما منعك من الإنصراف؟ فقال له مسرعاً: لم يكن بالطريق ضيق، فأسعه لك، وليس لي جُرم، فأخشاك، والظنّ بك حسن، إنّك لا تُضر من لا ذنب له، فأعجبه كلامه، وحُسن صورته، فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال:

محمد بن علي الرضا، فترحّم على أبيه، وساق جواده، وكان معه بزاة للصيد، فلما بعُد عن العمار، أرسل بازاً على درّاجة، فغاب عنه، ثم عاد من الجو في منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة، فتعجّب من ذلك غاية العجب! ورجع فرأى الصبيان على حالهم، ومحمد عندهم، ففرّوا إلا محمداً، فدنا منه وقال له: مافي يدي؟ فقال: إنّ الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً، يصيدها بازات الملوك والخلفاء، فيُختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى، فقال له: أنت ابن الرضا حقاً، وأخذه معه وأحسن إليه وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنّه، وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل، وصمّم على ذلك، فمنعه العباسيون من ذلك، خوفاً من أنّ يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، فلما ذكر لهم أنّه إنّما أختاره لتميّزه على كافّة أهل الفضل، علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنّه، فنازعوا في اتصاف محمد بذلك، ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره، فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم، ووعدوه بشيء كثير، إن قطع لهم محمداً.

فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواصّ الدولة. فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد، فجلس عليه، فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه. فقال له الخليفة: أحسنت يا أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة.

فقال له: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أوّل النهار، حراماً، ثم حلّت له عند ارتفاعه، ثم حرمت عليه عند الظهر، ثم حلّت له عند العصر، ثم حرمت عليه المغرب، ثم حلّت له العشاء، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلّت له الفجر؟ فقال يحيى: لا أدري. فقال محمد: هي أمة، نظرها أجنبي بشهوة، وهي حرام، ثم اشتراها ارتفاع النهار، فأعتقها الظهر، وتزوجها العصر، وظاهر منها المغرب،

وكفّر العشاء، وطلّقها رجعياً نصف الليل، وراجعها الفجر...

وتوفّي في آخر ذي العقدة، ودُفن في مقابر قريش في ظهر جدّه الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة ـ ويقال: إنّه سُمّ أيضاً ـ عن ذكرين وبنتين، أجلّهم، علي العسكري.

الإمام علي الهاديعليه السلام

سُمّي بذلك، لأنّه لمّا وجه لإشخاصه من المدينة النبويّة إلى سُرّ من رأى وأسكنه بها، وكانت تسمّى العسكر، فعُرف بالعسكري، وكان وارث أبيه علماً وسخاءً.

ومن ثم جاءه أعرابي من أعراب الكوفة، وقال: إنّي من المتمسّكين بولاء جدّك، وقد ركبني دين أثقلني حمله، ولم أقصد لقضاءه سواك، فقال: كم دينك؟ فقال: عشرة آلاف درهم، فقال: طب نفساً بقضائه إن شاء الله تعالى، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ ديناً عليه. وقال: ائتني به في المجلس العام وطالبني بها، وأغلظ عليّ في الطلب. ففعل، فاستمهله ثلاثة أيام، فبلغ ذلك المتوكّل فأمر له بثلاثين ألفاً، فلما وصلته، أعطاها الأعرابي، فقال: يا ابن رسول الله إنّ العشرة آلاف أقضي بها أربي. فأبى أن يستردّ من الثلاثين شيئاً، فولّى الأعرابي وهو يقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1].

ومرّ: إنّ الصواب في قضية السباع الواقعة من المتوكّل أنّه هو الممتحن بها وإنّها لم تقربه، بل خضعت واطمأنت لما رأته، ويوافقه ما حكاه المسعودي وغيره: إنّ يحيى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط لمّا هرب إلى الديلم ثم أُتي به الرشيد، وأمر بقتله، اُلقي في بركة فيها سباع قد

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

جوّعت، فأمسكت عن أكله، ولاذت بجانبه، وهابت الدنو منه، فبنى عليه ركن بالجصّ والحجر، وهو حي.

توفّي بسرّ من رأى في جمادي الآخرة، سنة أربع وخمسين ومائتين، ودُفن بداره، وعمره أربعون، وكان المتوكّل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين، فأقام إلى أن قضى عن أربعة ذكور وأُنثى، أجلّهم، أبو محمد الحسن الخالص.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وجعل ابن خلّكان هذا هو العسكري، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ووقع لبهلول معه: إنّه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون، فظنّ أنّه يتحسّر على ما في أيديهم! فقال: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال: يا قليل العقل! ما للّعب خُلقنا. فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: من قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

ثم سأله: أن يعظه؟ فوعظه بأبيات، ثم خرّ الحسن مغشياً عليه، فلما أفاق، قال له: ما نزل بك وانت صغير لا ذنب لك؟ فقال: إليك عني يا بهلول، إنّي رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار، وإنّي أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم.

ولما حُبس، قحط الناس بسُرّ من رأى قحطاً شديداً، فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكّل بالخروج للإستسقاء ثلاثة أيام، فلم يُسقوا، فخرج النصارى ومعهم راهب، كلّما مدّ يديه إلى السماء، هطلت. ثم في اليوم الثاني كذلك، فشكّ بعض الجهلة، وارتدّ بعضهم، فشقّ ذلك على الخليفة، فأمر باحضار الحسن الخالص،

---

١. سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

وقال له: أدرك أُمّة جدّك رسول اللهﷺ قبل أن يهلكوا، فقال الحسن: يخرجون غداً وأنا أُزيل الشكّ إن شاء الله. وكلّم الخليفة في اطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم، فلما خرج الناس للإستسقاء، ورفع الراهب يده مع النصارى، غيّمت السماء، فأمر الحسن بالقبض على يده، فإذا فيها عظم آدمي، فأخذه من يده وقال: استسق، فرفع يده، فزال الغيم، وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك! فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي، ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف من عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم، فكان كما قال، وزالت الشبهة عن الناس ورجع الحسن إلى داره، وأقام عزيزاً مكرّماً، وصلات الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات بسُرّ من رأى، ودُفن عند أبيه وعمّه، وعمره ثمانية وعشرون سنة، ويقال: إنّه سُمّ أيضاً، ولم يَخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجّة.

الإمام المهديعجّل الله فرجه

وعمره عند وفاة أبيه، خمس سنين، لكن أتاه الله فيها الحكمة، ويسمّى القائم المنتظر، قيل: لأنّه سُتر بالمدينة وغاب، فلم يعرف أين ذهب، ومرّ في الآية الثانية عشرة، قول الرافضة فيه: إنّه المهدي، وأوردت ذلك مبسوطاً فراجعه،[١] إنّه مهم.[٢]

تم ما نقلناه عن كتاب الصواعق المحرقة لإبن حجر الشافعي وهو مما ينبغي التوقف عنده قليلاً، والتروي فيه، حيث وصف فيه كل واحد من أئمة أهل

---

١. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٤١٦، الباب الحادي عشر: في فضائل أهل البيت النبويعليهم السلام.

٢. أنظر الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٥٩ـ٦٠١، الفصل الثالث: في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت، كفاطمة وولديهاعليهم السلام.

البيت بأنّه خلف أباه: علماً، وزهداً، وعبادة. أو: كان خليفته، ووصيه. أو: وارثه علماً، ومعرفة، وكمالاً، وفضلاً. أو: آتاه الله الحكمة ـ كما في حق الحجّة ـ وإنّه يسمّي القائم المنتظر. وأمثال ذلك، ممّا ينبيء عن الإعتراف بفضلهم الشامل، وتفوقهم الكبير من بين الأمّة.

فهل يا تُرى، ورد لسواهم معشار ما تناقلته الألسن من ذكرهم، بل ولو لواحدٍ من غيرهم مثلما قيل بحقّهم؟

إذاً، فهاهم الأئمة الإثنا عشر ـ كما في المأثور[1] عند الفريقين ـ بلا منازع، أو مماثل، ومادام قد تمّ إتفاق المسلمون على الإعترف بفضلهم، إذاً فما الضير لو اتفقوا أيضاً على الإعتراف بما أنزل الله تعالى فيهم، وبلّغه رسوله ﷺ في حقّهم: من أنّهم ولاة الأمر من بعده؟

قال تعالى: ﴿لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحيَى مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[2]

---

١. سبق هذا الحديث مفصّلاً. فراجع.

٢. سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

الخاتمة

هذا آخر ما أردنا إيراده في «المدخل»، وسنتطرق بحول الله تعالى في الأجزاء التالية من الموسوعة إلى دراسة تاريخ خلفاء الرسول ﷺ ولكل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام، مشرعين ابتداءً بدراسة بحثية عن تاريخ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بإذن الله تعالى.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
قمّ المقدّسة/١٤٠٧هـ

الفهرس